

الجزء الثاني

الكتاب الرابع
في الأحكام الاعتقادية

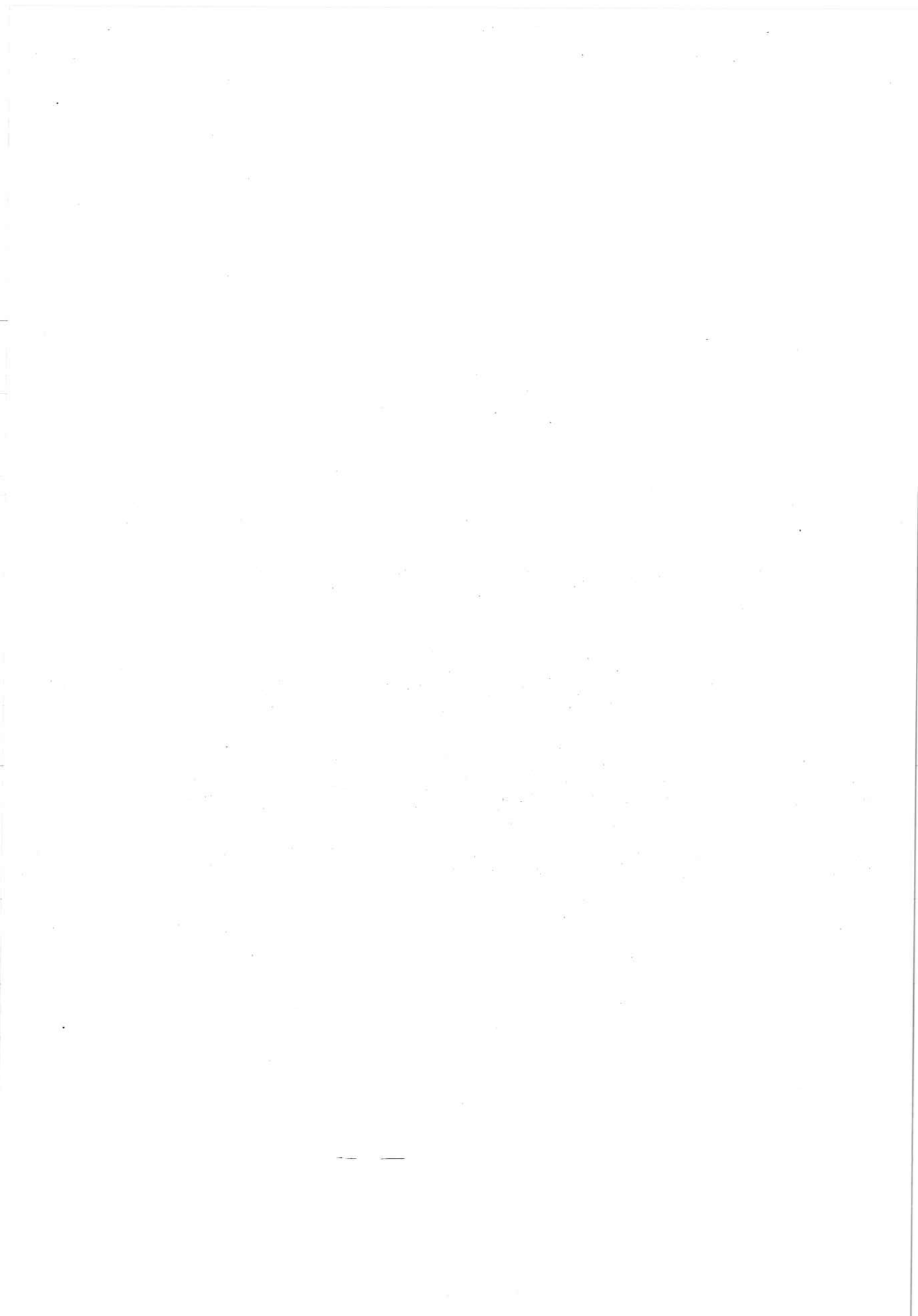
نفحات منبرية في القضايا الإيمانية

ألقاها

الشيخ عبد العزيز الخطيب الحسني
الشافعي الأشعري الدمشقي

قدم لها

العلامة الشيخ عبد الرحمن الشاغوري
العلامة الشيخ طادق حبنكة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نفحات منبرية
في
القضايا الإيمانية

الآيات النسخية ونهاية فرعون

- ٤١ -

الحمد لله الذي فتح أقفال هذا العالم بمفتاح ظهور سيد السادات
وجعل أمته وسطاً وفضلها على سائر الأمم في العبادات ،
فسبحان من فضل بعض النبيين على بعض ورفع بعضهم فوق بعض
درجات ، فأعطى آدم الصفوة وإبراهيم الخلّة وموسى تسع آيات بينات ،
وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات ، واتخذ سيدنا محمداً
حبيباً وشفيعاً ورفعته إلى ما فوق سبع سموات .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تنزه عن الوزير والنظير
والمشير في سائر الحالات .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أزاح بنور وجوده ظلم
الجهالات ، وجعل الصلاة عليه تحية عقد الآمال والأعمال الصالحات .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد
وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم عندك في
مقعد صدق يا مليكنا المقتدر ، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا
بحقهم وحق من جعله رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليماً .
أما بعد : فيا حمة الإسلام وحراس العقيدة :

مازلنا في تمادي فرعون في تكذيب سيدنا موسى وهارون وقد أخذته
العزة بالإثم وعتا عن أمر الله تعالى ، « وقالوا مهما تأنتابه من آية لتسحرنا
بها فما نحن لك بمؤمنين » / الأعراف : ١٣٢ .
واسمعوا إلى قول مولانا جل جلاله :

﴿ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾ / القمر : ٤١ - ٤٢ .

وأوهم فرعون بني إسرائيل أنه ستيخذ الوسيلة للصعود إلى إله موسى ليصفي الحساب بينه وبينه ، ولعله فهم من قول موسى ﴿رب السموات والأرض﴾ أنه موجود في السماء ، لأن العظيم القادر على العلو لا ينزل إلى أسفل ، وأوهم القوم أن الصعود إلى السماء أمر تناله قدرته ، فأصدر أمره إلى هامان أن يطبخ له الأجر ، ويبني له صرحاً يأخذ في السماء صعداً حتى ينالها ويطلع إلى إله موسى ، ثم أردف قائلاً : بأنه يظن أن موسى كاذب في أن له إلهاً سوى فرعون .

وهذا أمر عجيب فإن هذا كمن كَذَبَ كذبة على الناس ثم صدقها ، فمن الناس من يذكر فكرة ما عالماً بأنها غير صحيحة ، ثم لا يزال يخادع نفسه ونفسه تخادعه حتى يخيل إليه أن الأمر صحيح فيصدقّه . وهذا ما حدث تماماً لفرعون ، إن فرعون كان من الجهل بدرجة أمل فيها أن ينال السماء ببناء يبنيه صاعداً فيها ، أراد أن يخاتل القوم الذين معه حتى لا يخامر أنفسهم خلجة في حطه عن عرش الربوبية ، فأراد أن يدخل في روعهم أنه من القدرة بحيث يقدر على منازل كل إله ولو كان في السماء ، وأنه على استعداد لمحاربة إله موسى الذي في السماء إذا كان فيها ، ولذلك أمر باتخاذ صرح يبلغ به أبواب السموات وعهد بينائه إلى وزيره هامان ، ومع علم هامان والحاضرين بكذب فرعون فإنهم أخذوا يظهررون له إمكانية هذا الأمر ، ولم يجسر أحد منهم على تكذيبه أو رده . واسمعوا إلى هذه الدعوى الكاذبة التي أخبر عنها مولانا في كتابه الكريم : ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً ، وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل﴾ / غافر : ٣٧ .

إننا مع الحلقة الحادية والأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع

الدرويشية ومع هذه الحلقة أدعكم لتملؤوا قلوبكم بتوحيد الله تعالى ،
أسمعوني شعار التوحيد الذي يتضمن الشهادتين :

لا إله إلا الله محمد رسول الله

أيها السادة اسمعوا لي - أن أنتقل بكم إلى مصر فإن الحركة الشعبية نحو الإيمان على أشدها ، وبدأت هذه الحركة ببناء الصرح الذي قام به هامان حتى بلغ نهاية ما قدر عليه من البناء ، ثم صعد الإله المزعوم وصوب سهماً إلى السماء ورمى به فعاد إليه النصل منخضاً بالدم ، أتدرون ماذا قال الأفاك الأثيم قال : لقد قتلت إله موسى ، ﴿وما كيد فرعون إلا في تباب﴾ / غافر : ٣٧/ ، فلما قال مقالته تلك كان ربك له بالمرصاد ، حذره موسى غضب الله ، وأعلن له على ملأ من حاشيته بأن الله سيوقع بهم العذاب جزاء لهم على تكذيبه ، فقالوا له :

﴿مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ / الأعراف : ١٣٢/ فماذا كان رد ربك على الذين قالوا هذا القول ، اسمعوا الرد القاصم ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾ / الأعراف : ١٣٣/ .

هذه الضربات التأديبية وقعت على رؤوس القبط أمهلهم خلالها مولانا ليؤمنوا به ويتركوا عبادة فرعون ، فهل أفلحت هذه الضربات؟ ، وأريد أن أذكركم أن موسى حذرهم بطش مولانا وشدة عذابه ، لكنهم لم يرتدعوا أو يرجعوا عن غيهم ، فبدأت سلسلة طرق العذاب بأن منع عنهم مولانا ماء النيل وقصر عن إرواء أرضهم فأصابهم الجذب ونقصت الثمرات ، اسمع إلى قول مولانا : ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾ / الأعراف : ١٣٠/ .

فجاءوا إلى سيدنا موسى يرجونه أن يسأل ربه كشف ما وقع بهم من العذاب ، وأعطوه العهود والمواثيق على الإيمان به وأن يرسلوا معه بني إسرائيل ، فدعا مولانا عزوجل أن يكشف البلاء عنهم وقد دام عليهم أياماً

ممتدة فلما كشف عنهم إذا هم ينكثون ، وبعد شهر من نكثهم أتاها عذاب آخر وآية أخرى إنه الطوفان ، فاض نهر النيل حتى أغرق الحرث والنسل ونزلت الأمطار بغزاره وفتحت الغمام وكأنها أفواه القرب حتى قيل إن الماء فاض حتى وصل الماء إلى تراقيهم ، بينما بنو إسرائيل لم يدخل بيوتهم من الماء قطرة ماء واحدة وهذا من تمام المعجزة البالغة والحجة القاطعة ، وجاؤوا إلى سيدنا موسى يرجونه أن يكشف الله عنهم هذا العذاب ويؤمنون به فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان ، فلم يؤمنوا فأنبأ الله تعالى لهم في تلك السنة الكلاً والزرع والثمرة ما لم ينبت قبل ذلك ، فقالوا هذا ما كنا نتمنى ، وما كان هذا الماء إلا نعمة لنا فأقاموا شهراً في عافية ، ثم أرسل الله عليهم جيشاً قال عن الحبيب المصطفى : إنه أكثر جنود الله ، جيشاً يجوز أكله ، إنه الجراد الذي ورد عن ﷺ في الصحيحين : «أنه غزا سبع غزوات يأكل مع أصحابه الجراد» (خ ٥٠٧١ - م ٣٦١٠ - ت ١٧٤٤ - ١٧٤٥ - ن ٤٢٨١ - د ٣٣١٧ - أحمد ١٨٣٣٤٠) .

فقد كتب على باب القيادة العليا للجبار جل جلاله ، كتب على بابها ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ / المدثر : ٣١ / فصدرت الأوامر لأفراد الجراد أن تتحرك من قواعدهم على جناح السرعة ، وتحرك سلاح الطيران الجرادي ليأكل في طريقه كل شيء من نبات الأرض فيزدها قاعاً صفعاً لا ترى عوجاً ولا أمناً ، جعلها الجراد حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كل ذلك ولم يدخل بيوت بني إسرائيل جراد واحدة ، فضجوا وعجوا وعاهدوا على الإيمان فخرج موسى إلى الفضاء وأشار إلى المشرق بعصاه فعادت الجيوش إلى قواعدهم سالمة .

والقمل : حشرة خطيرة انتشرت في فراش القبط وآل فرعون فأقلقته مضاجعهم مهما استعملوا من المبيدات فلم تجزئ المبيدات شيئاً أمام خالق الأرض والسموات ، فقد أمر سيدنا موسى أن يضرب بعصاه صخرة فإذا بها تتحول إلى قمل ملأت فرشهم ، فأمسوا لا ينامون من الليل فإذا ناموا تحركت جيوش القمل بأمر الواحد الديان . فهل آمنوا؟ لا ، بل رجعوا إلى غيهم وطغيانهم ، فماذا فعل الله بطعامهم وشرابهم؟

إن الذين اتهموا موسى بالسحر ونكثوا العهد وعادوا إلى أخبت أعمالهم وقالوا ما كنا قط أحق أن نستيقن أن موسى ساحرا الا اليوم فعلى ماذا نؤمن ونرسل معه بني إسرائيل ، فقد أهلك زرعنا وحرثنا وأذهب أموالنا فأوحى الله إليه أن يقوم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه ، ففعل فتتابع جيوش الضفادع بالنقيق ، من كل جانب وخرجت من النيل قبل الليل الدامس ، ودخلت كل بيت بغتة فكانوا لا يعجبون عجبنا إلا أكله الضفادع ولا يطبخون قدراً إلا امتلأت منه — فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا لموسى وعاهدوا ثم غدروا .

فجاء الأمر الالهي لموسى أن اضرب بعصاك النيل ، وإذا بقدرة قادر لا شريك له يتحول الماء في بيوتهم إلى دم ، كل ذلك وبنو إسرائيل في أتم خير وعافية ، فكان القبط يأتون اليهم ليشربوا من عندهم الماء ، فما إن يضع أحدهم فمه على كوب الماء حتى يحوله الله إلى دم أحمر ، كما يتحول الماء في أيامنا إلى عرق سوس أسود ، ارجعوا إلى الله فتصبحوا في أتم عافية ، ارجعوا إلى الله قبل أن ينفذ فينا عذابه فتندمون ولات ساعة مندم .

فقد أمهلهم العظيم الحليم القدير ولم يعجل عليهم ، أخر عذابهم وهو يمدلهم مداً ، إن رب العزة أقام الحجة عليهم بعدد من المعجزات فلما أعرضوا أخذهم أخذ عزيز مقتدر ، اسمع إلى قول مولاك : ﴿ فلما أسفونا انتقمنا منهم ﴾ / الزخرف : ٥٥ .

﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم (لماذا؟) بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ / الأعراف : ١٣٦ / التكذيب والغفلة ، لا تسمحوا للتاريخ أن يعيد نفسه إنني لكم منه نذير مبين .

إن الدم كان آية من آيات الله ومعجزة عظيمة ، لكن آل فرعون تمادوا بالنذر عصوا رسول ربهم فحول الله طعامهم إلى ضفادع ومياه الشرب إلى دماء ، هذا هو مخزن الأسلحة الإلهية : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم

والأخذ بالسنين والنقص من الثمرات وجور الحاكم وهو فرعون وكفى بجور فرعون طغيانا فماذا بعد ذلك؟

إن مولانا وصف خداعهم ، أرادوا أن يخدعوا من؟ الواحد الديان يخادعون الله وهو خادعهم ، اسمع إلى مولانا يقول : ﴿ولما وقع عليهم الرجز (أي العذاب) قالوا : يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ / الأعراف : ١٣٤ .

فكان سيدنا موسى يدعو الله لهم ليكشف عنهم الرجز والعذاب فماذا حدث؟ اسمع :

﴿فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون﴾ / الأعراف : ١٣٥ (يرجعون) ولكن الله لا يخادع .

معشر السادة :

لا تظنوا إذا أقمنا على المعاصي أن الله يغفل عنا ، لا تظنوا أنا بمنجى عن عذاب الله ، من يرتكب المعاصي فقد أعلنها عصياناً على الله كما فعل آل فرعون ، إن الله يهمل ولا يهمل والدليل آل فرعون .

معشر السادة

اسمحوا لي أضع أمامكم اليوم نهاية هذا الطاغية ، فبعد أن قَدَّم له موسى البراهين والأدلة على وجود الله تعالى ، وأيد رسالته بالمعجزات الكثيرة رفض فرعون ذلك كله وأعلنها الوهية في الأرض وربوبية بين عباد الله تعالى ، وأكل أرزاق العباد واستعبد شعب مصر واسترقهم لخدمة مأربة ونزواته وشهواته ، فأراد الله تعالى أن يذله ويقهره أمام أعين العباد الذين ادعى أمامهم الألوهية ، لقد أصبح جرثومة أن انجعاها وثمره خبيثة أن قطافها ، ومنهجة ملعونة تحتم إتلافها ، فدعا موسى ربه قال :

﴿وقال موسى : ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة

الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴿ /يونس : ٨٩ / .

إنها لدعوة عظيمة دعا بها كريم الله موسى على عدو الله فرعون غضبا عليه لمكابرته الحق الواضح الجلي الحسي والمعنوي ، فاستجاب الله له فكيف تم ذلك؟ أدعكم أولاً لتوحدوا ^{الله} تعالى .

أمر الله كريمه موسى أن يستعير بنو إسرائيل من القبط جواهرهم وحليهم لعيد لهم فأعاروهم شيئاً كثيراً ، ثم أمر موسى بني إسرائيل أن يخرجوا جميعاً من مصر نحو بلاد الشام ومعهم هذه الحلي والجواهر في غفلة عن القبط .

وفي تلك الليلة وبلحظة واحدة حول الله أموال القبط إلى حجارة منقوشة كهيئة ما كانت عليه حتى الحمص والبيض حولها إلى حجارة ، فخرج القبط يطلبون حليهم من بني إسرائيل فلم يجدوهم ، فأخبروا فرعون الذي أعلن حالة الطوارئ والتعبئة العامة فجمع جنوده وحاشيته ، واسمعوا هذه الأنباء سطررتها آيات سورة الشعراء ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون فأرسل فرعون في المدائن حاشرين إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لفائضون وإننا لجميع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم مشرقين ﴾ /الشعراء : ٥٣ - ٦٠ / .

وسار موسى ببني إسرائيل رغم جبروت الطاغية فرعون ، وأمرهم أن يجمعوا متاعهم وما خف حمله وغلا ثمنه ونزل الجبار الطاغية بدروعه وصولته وجبروته ، وساق جيشه يتبع موسى ومن معه .

أيها السادة الكرام :

إننا هناك ، وأرى مشهداً رهيباً أمام البحر الأحمر ممتداً عبر الأفق إلى سيناء وبني إسرائيل يتجهون إليه ، وخلفه على بعد أميال قوم فرعون وجنوده وحاشيته ، وحينما وصلوا إلى شاطئ البحر الأحمر ورأوا ما خلفهم وسمعوا وشاهدوا الغبار يعم طبقات السحاب من شدة كثرة جنوده ، فوقع الخوف في قلوبهم وراحوا يستنجدون بموسى ويقولون جميعاً : ﴿إنا لمغرقون﴾ ، إنها النهاية إنه الدمار والهلاك ، أتعرفون ماذا أجاب موسى أجاب بثبات وإيجاز ﴿كلا إن معي ربي سيهدين﴾ ، الله أكبر ، ما أعظم تلك القوة ، وما أشد هذا السند ، الله سند من لا سند له .

وقف سيدنا موسى أمام البحر الهائج وقال لمن معه : هنا أمرت . ونظر الناس بعضهم إلى بعض ، وضاق الحال واشتد الأمر ، واقترب فرعون وجنوده في حدهم وجددهم وحديدتهم وغضبهم ، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، عند ذلك جاء الأمر الإلهي : ﴿ان اضرب بعصاك البحر﴾ / الشعراء : ٦٣ / ورفع موسى عصاه وقال : انفلق يا أبا خالد بإذن الله تعالى .

فإذا بالمياه السائلة تنشق عن أرض يابسة ، وترتفع المياه إلى أعلى وأمسكها الله أن تنزل إلى الأسفل بقدرته القادرة ، ارتفعت إلى أعلى فرقتين على اثني عشر طريقاً قال تعالى ﴿فكان كل فرق كالتود العظيم﴾ الشعراء : ٦٣ / ، وصارت أرض البحر كاليابسة ، ونزل موسى ومن معه ، سعياً وسط البحر وهم لا يصدقون ، ساروا وهم يتطلعون إلى هذه الآية العظيمة والدرس الإيماني الذي أخذه أن الله يخلق في لحظة واحدة من العسر يسراً ومن الضيق الفرج ومن الكرب النجاة .

يا رب قد ثقلت علي كباتر	يا رب قد ثقلت علي كباتر
يا رب مالي غير لطفتك ملجأ	يا رب مالي غير لطفتك ملجأ
يا رب هب لي توبة أقضي بها	يا رب هب لي توبة أقضي بها
يا رب عيني لم تزل تتردد	يا رب عيني لم تزل تتردد
ولعلني عن بابسه لا أطرد .	ولعلني عن بابسه لا أطرد .
ديناً علي به جلالك يشهد .	ديناً علي به جلالك يشهد .

من أي بحر غیر بحرك نستقي ولأي باب غیر بابك نقصد .
 فالله لا يريد شيئاً إلا أن نكون معه ، إلا أن نلتجئ إليه والله لو عدنا
 إلى الله ، والتجأنا إلى الله حق الالتجاء لجعل لهذه الأمة فرجاً ومنجراً
 ولكننا نخاف من العباد أكثر مما نخاف من الله ، فيارب حول قلوبنا إلى
 الخوف منك ، والرجاء لك ، يا رب ثبتنا على دينك ، ثبت قلوبنا على
 طاعتك ، وثبت أقدامنا على عبادتك .

ونظر فرعون مع جنوده إلى هذه الآية العظيمة ، وبدل أن يدخل الإيمان
 قلبه قال لقومه : انظروا كيف انحسر البحر لي ، لأدرك بيدي الآبقين الهاربين
 من يدي الخارجين عن طاعتي وبلدي . لقد بقي مصرّاً على أنه إله إلى آخر
 لحظة ، فإذا بجواده يقتحم البحر وفرعون لا يملك أن يوقفه فلما رآته الجنود قد
 سلك البحر اقتحموا وراءه مسرعين .

إن فرعون لم يفكر بأن هذه آية ومعجزة لقوم موسى وللناس من بعد
 موسى ، بل فكر أنه سحر ، ومسح الله عقله وفهمه

إذا أراد الله أمراً بامريء وكان ذا عقل وسمع وبصر
 أصم أذنه وأعمى قلبه وسلّ منه عقله سلّ الشعر
 حتى إذا نفذ فيه حكمه ردّ إليه عقله ليعتبر

وأراد موسى بعد أن نُجِّي إلى سيناء أن يضرب البحر ليعود كما كان
 ولكن الله أمره ﴿واترك البحر رهوا﴾ أتركه كما هو حتى أريك كيف أنتقم
 لك ولبنی إسرائيل .

وما إن همّ أول جنود فرعون بالخروج من البحر حتى جاء الأمر الإلهي
 لموسى أن اضرب بعصاك البحر ، الله أكبر ، وهوت الأمواج المرتفعة العظيمة
 على جنود فرعون ، واسمعوا البيان الإلهي على موجات سورة يونس :
 ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً ،

حتى إذا أدركه الغرق قال أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبلُ وكنت من المفسدين ﴿ /يونس : ٩٠-٩١ .

الله أكبر ، ورأى فرعون الموت بعينه وأحس أنه عبد حقيقي فاعترف بعبوديته ، وشهد بربوبية الواحد الأحد ﴿ قال أمنت برب العالمين رب موسى وهارون ﴾ . ولكن مع الأسف حيث لا ينفعه الإيمان ، أمهلناك كثيراً ، والآن وقد وصلت الروح إلى الحنجرة وعانيت الغرق تؤمن ، لا ، إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر .

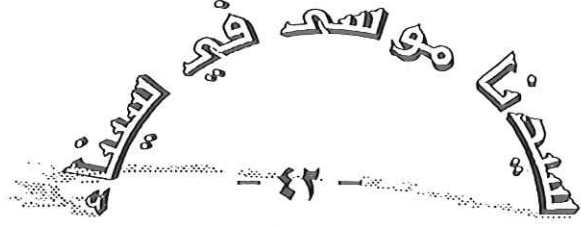
وألقيه الله جثة هامة على الشاطئ ، هذا هو إلهم المزعوم ، فيامن لا يعترفون بالله رباً ، ولا يخافون عذاباً يا من تريد العبرة لنفسك في هذا الزمن اذهبوا إلى مصر وادفعوا قرشاً واحداً لتروا جثة فرعون داخل زجاج مكتوب عليه فرعون موسى ، وصدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم .

﴿ فاليوم ننجيكَ بيدنك لتكون لمن خلفك آية ﴾ /يونس : ٩٢ / لأهل القرن العشرين ، سننجيك بيدنك إلى زمان تقل فيه العبودية لله ، إلى زمن يشعر الناس فيه أنهم أرباب مخلدون ، إله مع الله ، إله مع الله مع الله »
لا إله الا الله - لا إله الا الله - لا إله الا الله

معشر السادة الكرام :

هذه هي نهاية كل ظالم متكبر لا تقولوا هذه حالة نادرة فريدة في الزمن ، أبداً ، لقد سبق فرعون النمرود في ادعائه الألوهية ، وأتى بعد فرعون آخرون انتظروا نهايتهم اليوم أو غداً ﴿ قل فانتظروا إنني معكم من المنتظرين وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ . ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنی على بني إسرائيل بما صبروا ﴾ .

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى



الحمد لله المرتفع عن إدراك الأبصار الناظرة ، المنزه عن التخيلات والأوهام الخاطرة ، العالم ما تحت أمواج البحار الزاخرة ، كعلمه بحركات خلقه الظاهرة ، الذي جعل الموت أول منازل الآخرة ، فأقام به القوي والضعيف تحت قدرته القاهرة .

أحمده على آلائه ونعمه المتواترة ، وآياته الباهرة المتظاهرة ، حمدا أرفع به حلول كل فاقرة .

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة صادرة عن طوية غير مرتابة ولا فاقرة .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالآيات الباهرة والمفضل بالمقامات الفاخرة ، الذي أَلَّفَ اللهُ به بين القلوب المتنافرة .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى عترته الطاهرة وعلى أصحابه الأنجم الزاهرة ، وسلم تسليماً .

أما بعد :

فقد اتخذ بنو إسرائيل اليوم الذي نجوا فيه من فرعون وجنوده عيداً ، وأمرهم سيدنا موسى بصيامه . هذا اليوم هو يوم عاشوراء الذي روى فيه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه قال : حديث البخاري (٣٣٩٧)

«قدم النبي إلى المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء . قال : ما هذا اليوم

الذي تصومونه . فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون . قال النبي ﷺ لأصحابه : لأنتم أحق بموسى منهم فصوموا .

أيها السادة :

إننا مع الحلقة الثانية والأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع هذه الحلقة أدعكم لتملؤوا قلوبكم بتوحيد الله

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها الإخوة الكرام

أستطيع أن أقول : إننا اليوم قد بدأنا فتح ملف جديد لأمة المكر والخديعة ، وأن الحديث سيكون طيلة شهر - والله أعلم - عن شعب اللؤم والخسة ، عن شعب الغدر والخيانة ، أو بتعبير آخر أدق عن الوجه الثاني للشيطان ، فاليهود والشيطان وجهان للشر والفتنة ، الشيطان هو الوجه الخفي واليهود هم الوجه الظاهر .

لأن من درس حياة اليهود لا يشك في أنه يرى إبليس رأى العين ممثلاً في صورة آدمية ، هي هؤلاء اليهود واحداً واحداً .

كل من يريد أن يفتح ملف اليهود سيجده يمتلئ بالمخزيات والموبقات ، ومن السيئ جداً أن نقرأ أمثال تلك الصفات ، لأن النفس تشمئز والقلب ينفر من أناس جمعوا ما جمعت اليهود من المخازي والسفالات ، لذا اسمحوالي أن أترك ملفهم جانباً ، وانتقل إلى كتاب أذن الله لنا أن نفتحه ونديم النظر فيه ، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كتاب جعل الله قراءة بعضه فريضة وقراءة بقيته عبادة ، إنه كتاب الله الخالد ، فقلما نجد سورة من طوال السور تخلو من ذكر اليهود ، بل إن مولانا سمي سورة بكاملها (سورة بني إسرائيل) هي سورة الإسراء التي سننعطف على ذكرها بإذن الله تعالى ، ستجدون - أيها الإخوة -

آيات كثيرة تحدثنا عنهم ، اقرؤوا القرآن ، فبعدهما أنقذهم الله من فرعون وأغرقه وجنوده ، وأرجلهم كانت لا تزال مبتلة بالماء ، أتدرون ماذا قالوا لموسى ؟ اسمعوا البيان الالهي على الموجات العاملة من سورة الأعراف : ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ /الأعراف : ١٣٨/ .

إلها؟! ﴿إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيتكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين﴾ /الأعراف : ١٣٩ - ١٤٠/ .

وكان من عظمة الله وقدرته أنه لما حول لهم أرض البحر الأحمر إلى اليابسة ورفع البحر كأنه الجدران الشامخة فكان كل فرق كالطود العظيم ، لم يجعل لهم طريقاً واحدة إنما جعل لهم اثنتي عشرة طريقاً لأنهم كانوا اثني عشر سبطاً كل فريق يسير في طريق واحدة ، حتى لا يحدث زحام وهم يعبرون البحر ، وعبروا البحر فكان جزاء الإحسان أن طلبوا أن يكون لهم إله غير الله .

ودخلوا سيناء . قالوا : يا موسى اشتد بنا الجوع فادع لنا ربك ، فدعا موسى ربه أن ينزل عليه الطعام ، فكان الطعام من أعجب وأطيب ما يكون كان مناً وسلوى ، أتدرون ما المن والسلوى؟! السلوى حمام والمن كالعسل الأبيض ، يضعون الأواني فارغة وفي الصباح تمتلئ الأواني بعضها حمماً مشوياً وبعضها كالعسل الأبيض ، وقال لهم مولانا : ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطفؤا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ /طه : ٨١/ .

يا موسى عطشنا فأمره مولانا أن يضرب بعصاه حجراً الله أعلم بحجمه ، فانفجرت منه اثنتا عشر عينا ، فشرب كل سبط فيهم من عين ثرة سلسبيل خلقها لهم الله رب العالمين .

وكان من إكرام الله لهم أن ثيابهم كانت لا تتسخ ولا تبلى ، بل قيل

إنهم، كانوا يجدون ثياباً معلقة في أغصان الشجر ، كل واحد من الستين ألفاً له ثياب مفصلة عليه لا واسعة ولا ضيقة ، صنع الله الذي أتقن كل شيء . وكانت شمس سيناء حارة ، فسألوا موسى أن يطلب من الله الظل ، فأرسل لهم الغمام والسحب تظللهم حيث ساروا وحيث أقاموا . اسمعوا قصة اليهود من القرآن وليس من التوراة والإنجيل ، بعد كل هذه النعم والعطيات العظيمة ، لم يقيم بنو إسرائيل بشكرها ولا رعوها حق رعايتها ، بل لعلكم لا تتصورون مدى ما طلبوا بعد هذا النعيم ، إنهم تجمعوا وتبرموا وسألوا موسى استبدالها ، بماذا؟ اسمعوا البيان الإلهي .

﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة ﴾ / البقرة : ٦١ .

معشر السادة :

إننا في الخيانة الثانية التي وقع فيها بنو إسرائيل ، فإن سيدنا موسى أمرهم بالدخول إلى بلاد بيت المقدس (القدس اليوم) فأبوا ونكلوا عن الجهاد فسلط الله عليهم الخوف وألقاهم في التيه ، يسرون ويرتحلون ويذهبون ويجيئون في أماكنهم السنين طويلة العدد ، فعلى موجات سورة المائدة .

﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾ / المائدة : ٢١ . أتدرون بماذا أجابوه؟ ﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴾ / المائدة : ٢٢ .

بل إنهم تمادوا في غيهم وأصابهم وهن عظيم وتفوهوا بكلام نالوا عليه عقوبة عظيمة : ﴿قالوا يا موسى إننا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ / المائدة : ٢٤ .

وهنا توجه سيدنا موسى إلى مولانا عز وجل وقال :

﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ /المائدة : ٢٥/ وجاءت العقوبة جزاء وفاقاً :

﴿قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ /المائدة : ٢٦/ .

هذا هو ما قالوه وأجابوا به نبيهم ، لكن أصحاب سيدنا محمد ﷺ يوم بدر لم يقولوا له كما قال قوم موسى لموسى ، بل قال له المقداد : يا رسول الله ﷺ إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فسر بذلك رسول الله ﷺ . خ (٣٩٥٢) .

أيها الإخوة :

لقد أضاف اليهود إلى صفاتهم الخسيسة صفة أخرى هي :

الحرص على الحياة ، وهذا صرح به كتاب مولانا عز وجل ، قال عز من قائل : ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ /البقرة : ٩٦/ .

صحيح - أيها الإخوة - أن حب الحياة فينا غريزة معشر الادميين ، ولكن أشد الادميين حرصاً على الحياة هم اليهود ، والله تعالى لم يقل ولتجدنهم حريصين على حياة ، إنما قال أحرص الناس على حياة ، وفرق كبير في لغتنا بين أحرص وحريص ، فأحرص اسم تفضيل تفيد اشتراك شيئين في صفة واحدة مع زيادة أحدهما على الآخر . فاليهود أشد الناس حرصاً على الحياة ، لا ، بل على حياة . وفرق بين الحياة وبين حياة ، الحياة : معرفة ، وحياة : نكرة ، فاليهود ليسوا حريصين على الحياة ، انما هم حريصون على حياة أي حياة مهما كانت دنئية ، ومهما كانت ذليلة ، ومهما كانت خائفة .

هذه هي صفات اليهود ، اليهودي يحرص على حياة ، والحرص على الحياة يعطينا ثلاث رذائل : الأولى : الجبن

والثانية : البخل

والثالثة : الذل .

الرجل الحريص على حياة : جبان ، بخيل ، ذليل ، وهاتيكم الصفات الثلاث مركوزة في طباع اليهود .

هم جبناء ، بخلاء ، أذلاء ، والله ما جعل منهم رجلاً إلا جبننا ، وإلا ما نحن عليه من هوان وتفرقه ، لأن المسلمين لما توحّدوا واعتصموا بكتاب الله وكانت العزة شعارهم قال الله لهم :

﴿لأنتم أشدُّ رهبةً في صدورهم من الله﴾ / الحشر : ١٣ / إنهم يخافون منكم أشد من خوفهم من الله ، لكن لما وليناهم ظهورنا وأعطيناهم الدنيا من أنفسنا استأسدوا ، وقديماً قالوا : (استأسد الحمل لما استنوق الحمل) .

اليهود لا عهد لهم ولا ذمة ولا وعد لهم ، لم يقل هذا كارتر ولا ديغول : إن الذي قال هذا الذي يعلم السر وأخفى ، وهو الذي يقول : ﴿أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم﴾ / البقرة : ١٠٠ / وهو الذي يقول ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون﴾ / الأنفال : ٥٦ / في كل مرة وهم لا يتقون ، هل سمعتم هذا؟

أيها السادة

كان لا بد لبني إسرائيل من شريعة يسيرون عليها ، فأمره مولانا أن يأمر بني إسرائيل بأن يتطهروا ويغتسلوا ، وذهب سيدنا موسى إلى جبل طور سيناء وأمرهم أن يجتمعوا حول الجبل .

وأمر الله تعالى سيدنا موسى أن يصوم ثلاثين يوماً في شهر ذي

القعدة فلما استكملها ، استاك بسواك لطيب فمه ، فأمره أن يسك عشراً أخرى ، فصارت أربعين ليلة وهي عشر من ذي الحجة فعلى هذا يكون كلام الله له يوم عيد النحر ، وفي مثله أكمل الله عز وجل لسيدنا محمد ﷺ دينه ، وأقام حجته وبراهينه ، وهذا هو ما ذكره مولانا في كتابه

﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممنا بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ .

واستخلف موسى أخاه هارون على قومه

معشر السادة الكرام

اسمحوا لي أن أتقل بكم إلى هناك إلى سيناء إلى جبل الطور إلى اليوم الذي كلم الله فيه موسى تكليماً .

وأنزل عليه مولانا الكلمات العشر اسمعوها على الموجات العاملة من سورة الأنعام :

﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم :

١- ألا تشركوا به شيئاً

٢- وبالوالدين إحساناً

٣- ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم

٤- ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن

٥- ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق .

ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون (١٥١) الأنعام .

٦- ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده .

٧- وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها

٨- وإذا قلتم فاعدوا ولو كان ذا قربى

٩- وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلكم تذكرون / الأنعام : ١٥٢ .

١٠- وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون ﴿١٥٣﴾ : الأنعام / .

وهناك في ذلك المقام طلب سيدنا موسى من مولانا أمراً عظيماً ، فلم يكتف موسى بأن الله أسمعه كلامه ونجاه وقربه وأدناه ، بل طلب من مولانا رفع الحجاب ليراه ، واسمعوا هذه المناجاة على موجات سورة الأعراف :

﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك . قال : لن تراني ، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ / الأعراف : ١٤٣ .

إن الجبل أقوى وأكبر ذاتاً وأشدُّ ثباتاً من الإنسان ، فإن ثبت عند التجلي فسوف تراني ، ومن الذي يمكن أن يرى الله في الدنيا إلا سيدنا محمد ﷺ إن مولانا لا تدركه الأبصار ولا تحيط به ، إن نبينا الأعظم يقول لنا «حجاب الله النور» وفي رواية (النار) لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إلى بصره من خلقه (ق) اللفظ لمسلم (١٧٩) .

إن رؤية مولانا جائزة عقلاً ودينياً وأخرى لأن الباري جل جلاله موجود ، وكل موجود يصح أن يرى لكن مولانا يرى من غير إحاطة .

ولو كانت الرؤية ممتنعة عقلاً لما سألها موسى ، ولهذا قال له مولانا : ﴿لن تراني﴾ ولم يقل له : لن أر ، لن تراني عينك الفانية .

وكيف ترى العين الفانية الباقي جل جلاله ، إن الجبل لا يستطيع أن يثبت أمام التجلي الإلهي فكيف بالإنسان ، ولهذا اسمع الى بقية الآية : ﴿فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً﴾ (مغشياً عليه) . وحدوا الله تعالى / الأعراف : ١٤٣ .

بینما سیدنا محمد ﷺ لا علا سدرۃ المنتهی وتجلی له مولانا لم یصعق
والسدرۃ علی حالها لم تدک ، وهذا شرف سیدنا محمد ﷺ علی ربه :
ولو قابلت آیه لن ترانی بما کذب الفؤاد فهمت معنی
فموسى خر مغشياً علیه وأحمد لم یکن لیزیع ذهننا
وحین أفاق الکلیم موسی استغفر وتاب من سؤاله الرؤیة وقال
﴿سبحانک تبت إلیک وأنا أول المؤمنین ، قال یا موسی : إني اصطفیتک
علی الناس برسالاتی وبکلامی فخذ ما آتیتک وکن من الشاکرین﴾ /
الأعراف : ۱۴۳ - ۱۴۴ .

وهناک فی ذلک المقام مقام الخطاب سأل سیدنا موسی ربه جل جلاله قال :
رب هل أحد أکرم علیک منی ، قربتني نحيأً وکلمتني تکلیماً ، قال :
نعم محمد أکرم علی منک .

قال موسی : فإن کان محمد أکرم علیک منی ، فهل أمة محمد أکرم
علیک من بني إسرائيل ؟ فلقت لهم البحر ، وأنجیتهم من فرعون وعمله ،
وأطعمتهم المن والسلوی . قال : نعم أمة محمد أکرم علی من بني إسرائيل .
قال : ربي أرنيهم قال : لن تراهم ، وإن شئت أسمعک صوتهم . قال :
بلى یارب : فناداهم (إن رب العزة نادانا ونحن فی أصلاب الرجال وفي
أرحام النساء) ، یا أمة محمد أجيئوا ربکم ، فأجابوا وهم یلبون : لبيک اللهم
لبيک أنت ربنا حقاً ، ونحن عبيدک حقاً ، قال : صدقتم أنا ربکم وأنتم
عبيدي حقاً . وأنزل مولانا علی نبيه الکريم ﴿وما كنت بجانب الطور إذ
نادینا﴾ ، أي نادینا أمتک کی یسمع موسی کلامهم .

أيها السادة : یعز علی أن أعود بکم من ذلک المقام إلی هنا . فمن أراد
أن یکرمه الله فی الآخرة بلذة المناجاة ، وأن ینال شهادة من مدرسة التوحید
فعليه أن یوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله

تذكر عزيزي الموحّد:

- إن الله أيد سيدنا موسى بآيات كثيرة منها :
 - العصا - اليد البيضاء - انشقاق البحر - الطوفان - الجراد - القمل - الضفادع - الدم .
 - آمن من قوم فرعون السحرة وثلاثة من أهل بيته منهم زوجته السيدة آسية .
 - نجى الله فرعون ببدنه ليكون آية للقرن العشرين .
 - خيانات بني إسرائيل كثيرة ، وردائهم : الجبن ، والبخل ، والذل ، ولا يؤمنون إلا لمن يقهرهم .
 - الوصايا العشر من القرآن الكريم .

سيدنا موسى ونهاية السامري والمجمل

- ٤٣ -

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته ، وتوحد بجمال جبروته وتعزز
بعلو أحديته ، وتقدس بسمو صمديته ، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل
نظير ، وتنزه في صفاته عن كل تناء وتصوير .

أحمده سبحانه وتعالى فله الصفات المختصة بحقه ، والآيات
الناطققة بأنه غير مشبه بخلقه ، فسبحان من لا حد يجمعه ، ولا مكان
يمسكه ولا زمان يدركه ، ولا فهم يقدره ، ولا وهم يصوره ، تعالى عن أن يقال
كيف هو أو أين هو؟

هو الله لا إله إلا هو ، له الحمد في الأولى والآخرة .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالعدل والإحسان
وإيتاء ذي القربى وناهياً عن الفحشاء والمنكر والبغي ، وتمت كلمة ربك صدقاً
وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع البصير .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب
سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فما زلت في حديثي معكم عن اليهود الذين فاحت منهم في عصرنا

المخازي والموبقات وتعطيل مداولات السلام ، ورائحة اليهود النجسة ليست جديدة ، بل قديمة منذ زمن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام .

أقول لكم هذا الكلام من فوق هذا المنبر لأنني أرى أن اليهود لن يكلوا ولن يملوا حتى ينفذوا ما كتبوه على باب الكنيسة : (اعملوا على قيام دولة إسرائيل من الفرات إلى النيل) ، وهم الآن يوجهون كل قواهم إلى تدمير الإسلام والمسلمين ، تارة بالقوة العسكرية وتارة بالحرب النفسية وتارة بالإباحية والشهوات الحيوانية ، وأخرى بالتشكيك بتعاليم الإسلام ، فهم لا يكتفون بحرب من نوع واحد ، ولكنهم يحاربوننا على شتى الأصعدة ، ومن كل أنواع المصايد التي يتصيدون بها ضعاف الإيمان الذين انتشروا في عصرنا وصاروا ينادون بشعارات زائفة تحالف الدين ، كل ذلك حرب على الإسلام ليتحول الناس على أيديهم إلى قطع من البهائم تساق بالعصا ، عصا السياسة ، عصا الشهوات والموبقات ، وعلى ذلك فقس ، ، ولو أننا بحثنا اليوم عن أصحاب بيوت الزنا في العالم الظاهرة والخفية لعلمنا أنهم اليهود علينا - أيها السادة - أن نحذر المكاييد التي تكاد للإسلام ، وعلينا أن ننبه أولادنا الشباب من أولئك الذين يطعنون الإسلام من الخلف ، ولو لبسوا لنا جلود الضأن ، وتقربوا إلينا اقتراب الثعلب لينقض على فريسته .

لو بحثنا عن معبودهم الأوحـد لوجدنا أنه الذهب ، يقـدسونه ويعبدونه لذلك لما أراد موسى السامري اليهودي أن يحولهم عن عبادة الله تعالى وحده ، وكان سيدنا موسى قد ذهب إلى طور سيناء للمناجاة ، انظروا كيف يكيد اليهود بعضهم لبعض ، إن السامري لكي يربطهم بعبادة إلههم المزعوم أخذ الحلي والذهب وصنع لهم منه العجل المشهور ، اسمعوا هذا الحدث من كتاب الله تعالى ، ودائماً قدوتنا كتاب الله تعالى ، فهو الصدق والحق لامية فيه ، فعلى الموجات العاملة من سورة الأعراف يقول مولانا :

﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجباً جسداً له خوار﴾
 كانت الريح إذا دخلت من دبره خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة ،
 فيرقصون حوله ويفرحون ، ثم ادعى هذا السامري دعوى كاذبة شنيعة ، أتدرون
 ماذا قال لهم؟ قال : ﴿هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾ / طه : ٨٨ / قولوا لعنه
 الله ، والدعوى الأشنع أنه ادعى أن سيدنا موسى نسي الله عنده وذهب
 يتطلبه وهو هنا ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وتقدس أسماءه وصفاته .
 معشر السادة الكرام .

أعرض على حضراتكم هذه الأحداث الإيمانية مع الحلقة الثالثة
 والأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، وقضيتنا اليوم
 هي لماذا اتخذ بنو إسرائيل العجل إلهاً؟!

إن بني إسرائيل قد ألفوا وثنية المصريين وقلدهم في وثنتهم ، شأن
 المغلوب في تقليد الغالب ، فغلبت عليهم بلادة الطبع وماركز في طبيعتهم
 من السخف فدفعتهم إلى أن يتخذوا إلهاً له جسد أو جسم ، إننا اليوم مع
 قضية إيمانية هامة هي أن الاله المعبود ليس بجسم ، لأن الأجسام إما متحركة
 أو ساكنة والإله منزّه عن الحركة والسكون المخلوقتان ، الإله ليس له أجزاء ،
 وليس جرمًا أي لا يأخذ حيزاً من الفراغ كما هو عجل بني إسرائيل ، فالله
 تعالى - أيها الإخوة - لا يشبه أحداً من المخلوقات ، الأجسام تموت ويلحقها
 العدم والله عزوجل باقي حي لا يموت ، واحفظوا هذه القاعدة التوحيدية :
 «إن الله لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس ولا يشبه الناس فكل ما خطر
 ببالك فالله بخلاف ذلك» . وعليه نقول :

إن مولانا ليس بمثالاً لشيء من مخلوقاته فليس جسماً ولا صفةً ولا كلاً
 ولا جزءاً ولا محتاجاً إلى حركة أو سكون أو قيام أو قعود ، ولا جهة ولا فوقية
 ولا سفلى ، ولا يكون فوق العالم ولا تحته ، ولا يقال كيف هو ولا أين هو ولا ما

هو ، احفظوا القواعد التوحيدية (كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك) .

ولهذا فإن بني إسرائيل قد ضلوا الضلال البعيد حين عبدوا العجل ، فهل رأيتم أتفه من عقولهم ، لكن يبدو أن سيدنا موسى قد استعجل بتركهم دون أن يَكُنْ عقيدة التوحيد فيهم ، وعجلته هذه صرح بها مولانا في كتابه الكريم على الموجات العاملة في سورة طه : ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى ، قال هم أولاء علي أثري وعجلت إليك رب لترضى ، قال فإنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾ طه : ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ / .

وهنا حمل موسى الألواح التي كتبت عليها شريعته ونزل من على الجبل ، وقد بدا الغضب على محياه .

معشر السادة الكرام :

اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك لأعرض على حضراتكم هذه الأنباء الإلهية :

﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال : يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ، أفتال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي . قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم ففقدناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي ، أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾ طه : ٨٩ / .

فماذا فعل سيدنا موسى؟ لقد ثار ثورة عظيمة حين رآهم مفتنين فصرخ فيهم قائلاً : بئسما خلفتموني من بعدي ، أعجلتم أمر ربكم (أعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل) وألقى الألواح التي فيها التوراة من شدة الغضب ، وتقدم إلى أخيه هارون فأخذ بلحيته وراح يجره إليه وصرخ في وجهه :

﴿يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أف عصيت أمري ، قال

يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي ﴿ طه : ٩٤ .

وعلى موجات سورة الأعراف قال : ﴿يا بن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ .

وبهذا أعذر سيدنا هارون نفسه ، بل إن مولانا شهد بعذره هذا فقال على موجات سورة طه : ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به (بالعجل) وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾ طه : ٩١ .

وهنا انعطف سيدنا موسى على الكافر صانع العجل وقال له :

﴿فما خطبك يا سامري﴾ طه : ٩٥ ، ما الذي حملك على ما صنعت ؟ ، ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾ طه : ٩٦ رأيت ما لم يروا ، وماذا أبصرت ؟ ، قال : رأيت جبريل يركب فرساً وكلما وطئت فرسه بحوافرها على موضع اخضر واعشوشب فأخذت قبضة من أثرها فألقيتها في العجل ﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ طه : ٩٦ .

وكانت العقوبة شديدة على قدر الذنب الذي ارتكبه هذا الكافر الأفاك ، لقد دعا عليه سيدنا موسى ، ألا يستطيع أن يمسّه أحد ، وكلما مسّه أحد أصابه الجرب ، فكان كلما اقترب منه أحد يقول له : لامساس (أي لاتمسني) وأما في الآخرة فإن له موعداً لن يخلفه .

أيها السادة الكرام .

إننا في أوج الحدث الإيماني وفي قمته ، أرى الكليم وقد أمسك بالعجل فحرقه حتى أصبح رماداً ، وذره في البحر ، وأمر بني إسرائيل فشربوا منه ، فكل من عبده منهم اصفر لونه ، وأنزل مولانا عزوجل :

﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة

الدنيا وكذلك نجزي المفتريين ﴿ /الأعراف : ١٥٢ / : فهل قبل الله توبتهم؟ إن مولانا لم يقبل توبتهم إلا بالقتل ، أن يُقْتَلُوا ، بل أمر كليمه أن يبلغ هذا النبأ لهم ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ﴾ / البقرة : ٥٤ .

-وفعلاً بوشر بالتقتيل بهم ، فقتل منهم في يوم واحد ثلاثة آلاف نسمة ، وراح سيدنا موسى يستشفع للكفرة الذين عبدوا العجل ، ويطلب من الله أن يغفر لهم ، فغفر الله لهم بشرط أن يدخلوا الأرض المقدسة .
أيها الإخوة :

لما جاء الأمر الإلهي بالمغفرة أمر سيدنا موسى سبعين من خيار بني إسرائيل أن يتجهزوا ليذهبوا إلى جبل الطور ، ليستغفروا جميعاً مولانا عز وجل ، ويعتذروا لبني إسرائيل في عبادتهم للعجل ، فماذا فعل هؤلاء الخيار؟ إنهم ما إن وصلوا إلى الجبل ووقع على موسى الغمام وتغشى الجبل كله وذلك أمام القوم ، وسمعوا موسى وهو يكلم مولانا فوقوا سجداً مستغفرين إنهم ما إن انتهت هذه العملية ورجع إليهم موسى ، حتى قالوا له :

يا موسى هل كنت تخاطب ربك؟ قال : نعم ، قالوا : لن نؤمن بذلك حتى نرى الله جهرة!! هؤلاء هم خيار بني إسرائيل يتحدثون الأنبياء والرسل ، الخيار رفضوا الإيمان حتى يروا الله تعالى ، وما إن أتموا هذا الكلام حتى رجفت الأرض من تحتهم ونزلت صاعقة من السماء فماتوا عن آخرهم ﴿ وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ / البقرة : ٥٥ .

هذه عقوبة من يتحدث الأنبياء ، نظر موسى إلى وفد المستغفرين وهم من حوله موتى ، ومرت اللحظات رهيبة صامته ، وانفجرت عاطفة سيدنا

موسى قال : يا رب ماذا أقول لبني إسرائيل ، أقول إنك قد أهلكت خيارهم ، ﴿ رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ﴾ قبل خروجنا إليك ، وعندها يرون أنك أهلكت خيارهم ، إنهم سفهاء ، ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك ﴾ اختبارك وابتلاؤك وامتحانك ، من الذي فتنهم ؟ ... ﴿ الله ﴾ ومن يضلل الله فما له من هاد ؟ / الزمر : ٣٦ / قولوا آمنا . إن هي إلا فتنتك . ألسنت أنت الذي قدرت هذا ؟ ﴿ تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ﴾ / الأعراف : ١٥٥ - ١٥٦ .

فماذا أجاب رب العزة على هذا المعروض الذي قدمه سيدنا موسى بين يديه يعتذر لقومه ؟ قال مولانا :

﴿ عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ / الأعراف : ١٥٦ .
فمن هؤلاء اسمعوا وافرخوا واسعدوا ، إن هؤلاء هم :

﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي (سيدنا محمداً) الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ / الأعراف : ١٥٧ . اللهم اجعلنا منهم .

واستجاب الله لشفاعته كليمه ، ورد الأرواح إلى السبعين فقاموا ينفضون غبار الموت عنهم ، اسمعوا ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ / البقرة : ٥٦ .

ونظر موسى إلى هذا الإكرام الإلهي الذي أكرم الله به أمة سيدنا محمد ، فراح يطلب من مولانا شرفاً لأمته فقال : يا رب إني أجد في الألواح أمةً أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها ، وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه ، وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم اجعلهم أمتي ، قال رب العزة : تلك أمة أحمد ﷺ .

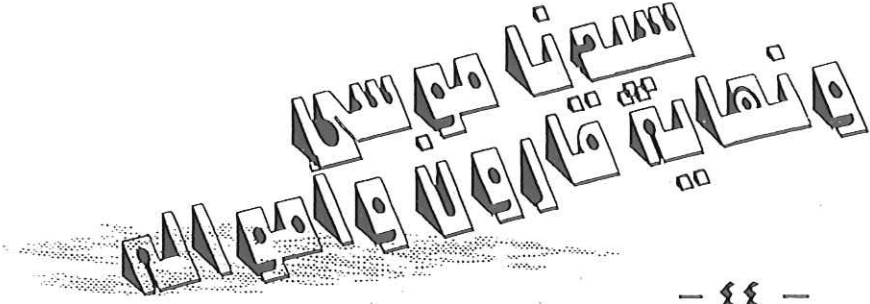
قال : رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاثلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب ، فاجعلهم أمتي ، قال تلك أمة أحمد ﷺ .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، رب اجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ﷺ .

قال رب : إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال : تلك أمة أحمد ﷺ .
صلوا على الحبيب سيدنا محمد ﷺ .

وهنا قال موسى : يا رب فعلمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به ، قال : يا موسى قل لا إله إلا الله ، قال : يا رب كل عبادك يقول هذا قال : قل لا إله إلا الله ، قال إنما أريد شيئاً تخصني به ، قال : يا موسى . . لو أن أهل السموات السبع والأرضين السبع وعامرهن غيري اجتمعوا في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله (حديث مرسل) . هذه هي مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله



- ٤٤ -

الحمد لله ذي العز المجيد ، والبطش الشديد ، المبدئ المعيد ، الفعال لما يريد ، المنتقم من عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد ، المكرم من خافه واتقاه بدار لهم فيها من كل خير مزيد ، فسبحان من قسم خلقه قسمين وجعلهم فريقين ، فمنهم شقي وسعيد ، وغوي ورشيد ، ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ / فصلت : ٤٦ / .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا كفؤ ولا عدل ولا ضد ولا نديد .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى التوحيد ، الساعي بالنصح للقريب والبعيد ، المحذر للعصاة من نار تلظى بدوام الوقيد ، المبشر للمؤمنين بدار لا ينفد نعيمها ولا يبيد .

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة دائمة وسلاماً لا تزال على كر الجديدين في تجديد ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

حديثي إليكم اليوم ، حول قضايا ثلاث تصب في محور واحد ، هو كشف الغطاء عن مخازي أمة اليهود وحققتهم ضمن زمان محدد هو عصر سيدنا موسى ، فقد كنت مهتة لكم منذ جمعيتين مضتتا بعض ما يتصف به هؤلاء من الجبن والذل والخضوع ، وزيادة في الإيضاح أرى لزماً علي أن أستعرض هذه القضايا الثلاث لأريكم كيف لاقى سيدنا موسى من قومه العجب العجيب .

كان هذا هو الموجز ، معشر السادة ، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع

الحلقة الرابعة والأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ،
ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لنرفع معاً شعار التوحيد عالياً .

لا إله إلا الله محمد رسول الله

القضية الأولى التي أعرضها على حضراتكم والتي يجب أن يتنبه إليها أعضاء مداورات السلام هي أن اليهود إذا لم تكن هناك قوة تقهرهم على قبول الحق فلن يرضخوا أبداً ، هم سيستمرون في غيهم وبغضهم لنا وبناء المستوطنات في فلسطين حتى تأتيهم ضربة قاهرة قاسية عاتية توقفهم عن غيهم وحتى يعطوا الحق لأصحاب الحق ، وما هذه المؤتمرات التي تعقد لتنفض وتنفض لتنعقد إلا تسويق وتضييع للوقت ، حتى إذا أتموا بناء ما يريدون رأيناهم يمثّلون أنهم قد قبلوا شروطنا ورضخوا لنا ، اسألوا التاريخ : الكذب نبع من اليهود ، ولن نتصر عليهم إلا إذا توحدت الأمة العربية تحت راية قائد البلد ، وتحت راية الإسلام وضربت ضربتها القاهرة ، لم آت بهذا الكلام من جعيتي بل من كتاب الله الخالد . فرغم العقوبة التي نالها السامري وكل من عبد العجل ، رغم أن القتل وقع في رقابهم وقتل منهم من قتل كفارة لهم ، رغم كل ذلك لم يتعظ بنو إسرائيل ، اسمعوا وانتبهوا وصلوا على نبينا الأعظم ﷺ ، وتعالوا بنا لمر ما فعل هؤلاء ، وماذا فعل الله عز وجل بهم ، هيا بنا نتقل إلى سيناء ، إلى نبي الله وكليمه سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، أراه وقد هدأ غضبه منهم وأخذ الألواح التي ألقاها في ساعة غضب ، وقال لهم : هذه هي التوراة شريعة ربكم فخذوا بها بقوة وعزم ونفذوا ما فيها بأمر الرب جل جلاله .

ونظر بنو إسرائيل بعضهم إلى بعض ، وصاروا يقولون : شريعة ، توراة ، تكاليف ، أوامر ونواه ، وراحوا يراجعونه فيها ويقولون : إن كانت سهلة قبلناها وإن كانت صعبة وقاسية لم ننفذها ، قال : بل اقبلوها بما فيها ، فرفضوا وعصوا ، واسمعوا البيان الإلهي لما قال لهم موسى :

﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ﴾ ، أتدرون بم أجابوا نبي الله قالوا :

﴿سمعنا وعصينا وأشرَبوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ /البقرة: ٩٣ .

فلما انقلبوا على أعقابكم وقعت معجزة عظيمة لسيدنا موسى ، إذا بالرب جل جلاله يأمر ملائكته فتحمل قمة جبل الطور وترفعها فوق بني إسرائيل كأنها قطعة عظيمة من السحاب ، وقال لهم موسى : إن لم تقبلوا ما في التوراة دعوت الله أن يسقط عليكم هذا الجبل فوق رؤوسكم . (الله أكبر) . وانبطح بنو إسرائيل على بطونهم ، خروا سجداً وجعلوا ينظرون وهم ساجدون بطرف أعينهم ، وهم ينادون : سمعنا ، سمعنا وأطعنا .

هكذا هم بنو إسرائيل لا يقبلون الحق إلا قهراً ، لسمع هذا الكلام من يجلسون معهم على طاولات مداولات السلام مع اليهود وأمريكا ، وأمريكا حكامها يهود ، وزراؤها يهود وأصحاب الاقتصاد فيها يهود ، ليسمعوا إلى الرب جل جلاله في كتابه ، يقول على موجات سورة البقرة :

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ /البقرة: ٦٣ .

وعلى الموجات العاملة من سورة الأعراف : ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظله وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ /الأعراف: ١٧١ .

أضيفوا هذه الصفة إلى الصفات الحسيسة التي يتصف بها هؤلاء ، واذكروا معي هم جناء ، أذلاء ، لا يرضخون إلا بالقهر ، ويحبون الدنيا ، آه الدنيا ، بل يقتلون لأجلها أعز أقربائهم (حتى ولو كان أبوهم يقتلونه لأجل الدنيا) ، فقد كان رجل في بني إسرائيل كثير المال (ابن جرير وابن أبي حاتم وعبد بن حميد صحيح الفتح حديث ٣٤٠٦) ، وكان شيخاً كبيراً وله بنو أخ وكانوا يتمنون موته ليرثوه ، فدفع أحدهم حب الدنيا لأن يقتل عمه في الليل ليرثه ، وطرحه في سبط آخر ، (حي آخر) ، فلما أصبحوا وفقدوه أصدر موسى بطاقة بحث عنه ، فوجدوه مقتولاً ، وجاء ابن أخيه القاتل فجعل يصرخ ويمثل حبه لعمه ، وحين لم يجدوا القاتل عادوا إلى سيدنا موسى

ليسأل مولانا من القاتل ، فأمره مولانا أن يذبحوا بقرة ، فقالوا : نسألك عن أمر هذا القتييل وأنت تقول لنا هذا . قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين (أعوذ بالله أن أقول عنه غير ما أوحى إلي) .

قال ابن عباس وغيره : فلو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصود منها ، ولكن شددوا فشدد عليهم ، فراحوا يسألونه عن صفتها ولونها وسننها ، فأمرهم مولانا أن يذبحوا بقرة عوان : (وهي وسط بين الكبيرة والصغيرة) . وأن تكون صفراء فاقعاً لونها مشرباً بحمرة تسر الناظرين ، وهذا اللون عزيز وجوده ، واسمعوا هذه الأنباء على موجات سورة البقرة :

﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا ألتخذنا هزوا ، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ، قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإننا إن شاء الله لمهتدون . قال : إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث (الماء) مسلمة (من كل عيب) لاشية فيها (ليس فيها لون يخالف لونها الأصفر) ﴾ /البقرة : ٦٧ - ٧١ / .

وهكذا حُصرت الأوصاف وضُبِطت ، أتعرفون لماذا؟ لأن هذه البقرة بالذات كانت عند رجل كان باراً بأبيه وأمه ، فطلبوها منه فأبى عليهم حتى أعطوه بوزنها ذهباً فباعها لهم ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون فقلنا اضربوه ببعضها﴾ فضربوه بجزء منها قيل هو لسانها ، فلما ضربوه ببعضها أحياء الله تعالى فقام من رقدته وقال قتلني ابن أخي فلان ثم عاد ميتاً كما كان ، ﴿كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ /البقرة : ٧٣ / ، كما شاهدتم إحياء هذا القتييل عن أمر الله له كذلك أمره في سائر الموتى إذا شاء إحياءهم أحياءهم في ساعة واحدة كما قال ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ /لقمان : ٢٨ / .

هكذا - أيها السادة - يصنع اليهود ، يقتلون أقرباءهم ، ولذلك هم أدنى درجة من الوحوش المفترسين الذين يحمون أولادهم من بقية الوحوش ، إن هؤلاء الوحوش يقتلون اليوم إخوة لنا في فلسطين يذبحونهم بينادقهم الفاجرة ، إن تاريخ اليهود يمتلئ بالمنجزات وسوف يأتي نبأها بعد حين ، فمع ما وصل إليهم من نعم وأموال وأصبحوا من الأثرياء ، وبدل أن يشكروا مولانا عز وجل ويحمدوه عليها ادعوا أن هذه الأموال التي أكرمهم الله بها جمعوها بعضلاتهم وكسبهم وتعيبهم وراحوا ينكرون فضل مولانا عليهم ، وهذه مصيبة الأغنياء الذين يتكبرون على نعم الله تعالى ، وقد حدثنا القرآن عن ثلاثة أحدهم قال : (أنا) ، والثاني قال : (لي) ، والثالث قال : (عندي) ، فانظروا كيف كان عاقبة أمرهم خسرا .

الأول : إبليس أمره رب العزة أن يسجد لآدم فقال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . رغم أن رب العزة هو الذي أمره لكنه أصر على معصيته وقال أنا خير منه ، (أنا) هذه جعلته يُطرد من رحمة الله قال له مولانا فوراً ﴿فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ .

الثاني : الذي خسر الدنيا والآخرة هو فرعون قال : ﴿أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون﴾ / الزخرف : ٥١ / . (لي) وسيدنا موسى خيرُه أن يؤمن ويبقيه على ملك مصر وله الجنة في الآخرة ، وحين استشار وزير السوء هامان قال له : أبعد أن تكون إلهاً معبوداً تصبح عبداً عابداً؟! هذا مثلٌ عن بطانة السوء ، تُهلكُ الملوك والحكام ، أما أمة سيدنا محمد ﷺ فكان لخلفائها وزيراً خاصاً ، سيدنا عمر بن عبد العزيز كان له وزير خاص اسمه عمر بن مهاجر ، كانت له وظيفة هامة جداً ، قال له سيدنا عمر بن عبد العزيز : عينتك وزيراً لشيء واحد ، ما هو؟ قال له : إذا رأيته نسيت حكم الله فخذ بتلابيب ثوبي وهزني وقل لي : اتق الله ياعمرفإنك ستموت .

هل سمعتم بمثل هذا الوزير ، وزير الإرشاد؟! .

إن فرعون رفض أن يعترف بعبوديته وأعلنها ألوهية على الأرض وتركه رب العزة مدةً من السنين ، فلما بدأ يذبح الناس في مصر لم يمهله رب العزة ، لأن الخلق عباده ، الخلق عيال الله : يعولهم ويرعاهم ، الله لا يرضى للحكام أن يظلموا الناس وينتقم من الظالم مباشرة ، فكأن رب العزة يقول : ادعيت الألوهية فتركناك ، أما أن تقتل عبادي وأنا الذي خلقتهم فلا ، فأخذه إلى البحر الأحمر هو وجنوده وغرق الأرض من فوقه ، وحين عاين فرعون الغرق استغاث بموسى : أغثنى ياموسى ، وموسى لا يسمع له ، فأوحى الله إلى موسى فقال : «ياموسى استغاث بك مرات فلم تغثه ، وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة لوجدني سميعاً بصيراً» . إما هو كان غيباً ، عمره لم يقل : يارب .

معشر السادة : نحن ما زلنا في صفات اليهود وحبهم للدنيا فنحن مع الثالث .

الثالث : لم يقل أنا ، ولم يقل لي ، بل قال عندي : إنه قارون موسى ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه : كان ابن عم موسى ، وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة ، ولكنه نافق كما نافق السامري ، وكان سبب إهلاكه كثرة ماله وتكبره على أهل عصره حتى قيل : إنه زاد في ثيابه شبراً طولاً ترفعاً على قومه . ومولانا لا يرضى لأحد من العباد أن يتكبر على أحد من خلقه ، أليس هو القائل : «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي» . عن أبي هريرة رضي الله عنه عند م (٢٦٢٠) .

ولذلك - أيها السادة - لا يغتر الإنسان بماله ولا بحسبه ولا بنسبه ولا بعبادته وأذكر أنني قرأت أن رجلاً جاء إلى سيدنا موسى يسأله فقال له موسى : من أنت؟ قال الرجل : أما عرفتني أنا فلان بن فلان فذكر له تسعة آباء فأوحى إليه رب العزة : ياموسى قل لهذا الرجل إنه قد ذكر تسعة آباء كلهم في النار وهو عاشرهم . أخرجه أحمد في المسند (١٣٨ / ٥) والبيهقي في شعب الإيمان جزء من حديث واسناده صحيح رجاله ثقات .

قارون قال (عندي) ، فكيف حدث ذلك؟ اسمحوا لي أن أعرض على حضراتكم موجز الأنباء في قصة قارون :

﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وأتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين قال : إنما أوتيته على علم عندي﴾ /القصص : ٧٨ .

إن الله إنما أعطاني هذا لعلمه أنني أستحقه ، ولولا أنني حبيب عليه وحظي عنده لما أعطاني ما أعطاني . فرد عليه مولانا رداً قوياً قال له ولأمثاله : ﴿أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ /القصص : ٧٨ ، قد أهلكنا من الأمم الماضية بذنوبهم وخطاياهم من هو أشد من قارون قوة وأكثر أموالاً وأولاداً ، فلو كان ما قال صحيحاً لم نعاقب أحداً ممن كان أكثر مالا ، ولم يكن ماله دليلاً على محبتنا له وامتناننا به ، كما قال عز وجل : ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً﴾ فانظروا - معشر السادة - كيف كان عاقبة أمره خسراً ، لماذا؟ لأن قارون تهادى في غيه وطغيانه لم يكتف بتكبره وترفعه على عباد الله بماله وغناه ، بل إنه أغرى امرأة زانية بالمال ، على ماذا؟ على أن تقول أن موسى فعل بها كذا وكذا .

وحين حان موعد تنفيذ المؤامرة الدنيئة خرج قارون على قومه في زينته قال تعالى : ﴿فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا (مساخي الجوخ والمنافقون الذي يحبون المظاهر رغم أن الظهور يقصم الظهور ، ماذا قالوا؟) قالوا : ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾ /القصص : ٧٦ .

وأما أهل الحكمة والعلم فقالوا ﴿ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون﴾ /القصص : ٨٠ هل سمعتم أجمل من هذا الكلام؟! لذلك كانوا يقولون : طوبى لمن عاشر أهل العلم والحكمة ، وجالس أهل الذل والمسكنة .

معشر السادة الكرام :

إننا هناك في سيناء ، أنقل لكم هذا البث الحي على موجات القضايا الإيمانية ، وأرى سيدنا موسى أمام ملاء كثير من قومه يسيرون ، وإذا بالمرأة الزانية تدخل بين الناس وتعلن أمام الملاء أن موسى قد زنى بها . ونظر إليها موسى وصعد الدم إلى رأسه وغلا في عروقه ، والناس ينظرون إليه ماذا سيفعل ، سكنت سيدنا موسى وقام يصلي أمام الناس ، ثم انتهى من صلاته ودعائه وأقبل على المرأة البغي واستحلفها بالذي أنزل التوراة على موسى أن تقول الصدق وإذا برب العزة يحول قلبها ولسانها فتعترف بأن قارون هو الذي أغراها على ذلك ودفع لها المال . وأسود وجه قارون ، ولكنه أخذته العزة بالإثم ، أراد أن يستمر في لعبته القذرة فقال لسيدنا موسى بكل وقاحة : لكن كنت فضلت علي بالنبوة فقد فضلت عليك بالمال ، ولكن شئت فلتدعون علي .

وهنا لما شاهد موسى تعنت قارون وتجروؤه ووقاحته غلى مقام الرسالة والنبوة ، خر ساجداً لله وراح يبرغ رأسه ولحيته في الأرض ويقول : يارب انتصر لي ، يارب انتصر لي ، فأوحى الله إليه إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه . ولم يتأخر سيدنا موسى وراح ينادي لما جاءه الأمر : يا أرض خذيه ، ويصرخ ويقول : يا أرض خذيه . ﴿فخسفنا به وبداره الأرض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ /القصص : ٨١/ قال ابن عباس : إن الله خسف بهم إلى الأرض السابعة .

ونظر الذين تمنوا مكانه بالأمس إلى هذا المشهد الرهيب فراحوا يحمدون الله تعالى : ﴿لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ . واسمعوا إلى هذا القرار الإلهي قرار أبدي سرمدى : ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ /القصص : ٨٣/ .

هذا هو الحق والصدق ، فقولوا آمنا بالله تعالى .
أعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد



- ٤٥ -

الحمد لله الذي رفع قدر نبينا سيدنا محمداً ﷺ في الدنيا وفي الأخرى ، وأسرى به ليلاً فأعظم به فخراً ، وقدمه سيدنا جبريل فصلى بالأنبياء والمرسلين لنعلم أنه الإمام الأعظم وأنه بذاك المقام أخرى ، ثم ترقى إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى فظهر بمستوى سمع فيه صرير الأقلام ورأى من آيات ربه الكبرى ، وتجلى له ربه جل جلاله وخاطبه وثبت فؤاده وأعطاه سؤله وأعظم له بذلك أجرا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تتوالى علينا عقائدها تترى .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي بعثه رحمة للعالمين وكُنْزاً لهم وذخراً ، دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين ، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

فقبل أن أبدأ معكم حلقة العقيدة اليوم أريد أن أرفع التحية بأسمى آيات التبريك وأعظم الصلوات وأزكاها للقائد الأعلى سيدنا محمد ﷺ بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج التي يحتفل بها كل مسلم في العالم الإسلامي ، وبهذه المناسبة أرفع باسمكم وباسم أهالي دمشق واسم سورية وباسم العالم الإسلامي قاطبة التحية للحبيب الأعظم . . فقولوا : الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ، الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله ، الصلاة والسلام عليك يا خاتم رسل الله ، عليك وعلى آل بيتك الطيبين الطاهرين وسائر الأنبياء والمرسلين وأستمح حبيبي وقرة عيني سيدنا رسول الله أن أتحدث عن إخوته من الأنبياء أعني بهم سيدنا موسى . . وفتاه سيدنا يوشع بن نون ورفيق دربه وصديقه سيدنا الخضر . قولوا عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

أيها السادة الكرام : أقف اليوم معكم بإجلال وإكبار أمام بحرين عظيمين من البحار العلمية النبوية ، إنه نبي بحر الشريعة سيدنا موسى ونبي بحر الحقيقة سيدنا الخضر عليهما الصلاة والسلام ، لنشهد معاً نبوة هذين العلمين من أعلام الأمة الإسلامية النبوية ، فقد ضرب الله بهما لنا مثلاً لكل من يريد أن يتأدب ويتعلم ، ولا يكتفي بما وصل إليه من علوم ومعارف ، بل يستزيد علماً ولو كان العالم أدنى حالاً من المتعلم ، إننا اليوم نرفع شعار قوله تعالى ﴿وقل رب زدني علماً﴾ وقول أحد الحكماء (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) .

كان هذا معشر السادة الموجز وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الخامسة والأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعكم أولاً لترفعوا شعار التوحيد عالياً .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وأستمح سيدنا موسى قليلاً لأتحدث عن صديق دربه وعظيم عصره

وأستاذ علم الحقيقة سيدنا الخضر، الذي نشأ تقياً عابداً تقياً، وترك أهله وتعبد مولانا في جزيرة في البحر ثم بعثه الله نبياً وعلمه من لدنه علماً، يروي الإمام البخاري عن أبي هريرة عنه عليه السلام قال: إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة (حشيش) بيضاء «يابس» فإذا هي تهتز من تحت خضراء بإذن الله تعالى، وقد اختلف العلماء هل هو حي أم لا، قال جماهير العلماء والصالحين: إنه حي، لأنه شرب من عين الحياة، وذهب آخرون إلى أنه ميت والله أعلم به، وعلى كلا القولين أرجو من الله أن يجمعنا به تحت لواء سيدنا محمد عليه السلام.

أيها الإخوة: هذا النبي الكريم كان لا يرد أحداً سألته، وكان كريماً إلى درجة تبلغ فوق التصور، وإليك هذا الحدث الإيماني الذي ذكرته كتب السير عنه (طب بإسناد ضعيف)، تقول: كان يوماً في سوق بني إسرائيل فأبصره رجل مكاتب فقير، فقال: تصدق علي بارك الله فيك، فقال الخضر: أمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون، ما عندي من شيء أعطيته. فقال المسكين: أسألك بوجه الله لما تصدقت علي، فإني نظرت إلى السماحة في وجهك ورجوت البركة عندك.

فقال الخضر: أمنت بالله ما عندي شيء أعطيته إلا أن تأخذني فتبيعني فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ قال: نعم، الحق أقول لك: لقد سألتني بأمر عظيم أما إني لا أخيبك مادمت سألتني بوجه ربي عز وجل، بعني وخذ ثمنني. قال: فقدّمه إلى السوق فباعه بأربعمئة درهم، فمكث عند المشتري لا يستعمله في شيء. فقال له: إنك إنما ابتعتني التماس خير، فأوصني بعمل. قال: أكره أن أشق عليك إنك شيخ كبير ضعيف. قال ليس تشق علي قال: فانقل هذه الحجارة، وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم. فخرج الرجل لبعض حاجاته ثم رجع فوجد الخضر وقد نقل

الحجارة في ساعة . فقال : أحسنت وأجملت وألطف ما لم أظنك تطيقه .
ثم عرض للرجل سفر فقال : إني أحسبك أميناً فأخلفني في أهلي
خلافة حسنة . قال : فأوصني بعمل . قال : إني أكره أن أشق عليك . قال
ليس تشق علي ، قال : فاضرب من اللبن حول بيتي حتى أقدم عليك .
فمضى الرجل لسفره ثم رجع وقد شيد الخضر سوراً وحائطاً حول البيت .

وراح الرجل يدور حول داره فلم يعرف بيته لوجود السور الذي بني
بسرعة ، فاستقبله سيدنا الخضر وعلى وجهه آثار الدهشة والاستغراب فقال
لسيدنا الخضر : أسألك بوجه الله ما سبيلك وما أمرك؟ قال : سألتني بوجه
الله والسؤال بوجه الله أوقعني في العبودية سأخبرك من أنا ، أنا الخضر الذي
سمعت به ، سألتني مسكين صدقة فلم يكن عندي من شيء أعطيته ،
فسألتني بوجه الله فأمكنته من رقبتني فباعني ، وأخبرك أنه من سئل بوجه
الله فرد سائلاً وهو يقدر وقف يوم القيامة جلده لا لحم له ولا عظم يتقعقع .
فقال الرجل : آمنت بالله شققت عليك يا نبي الله ولم أعلم . فقال :
لا بأس عليك فقال له الرجل : بأبي وأمي يا نبي الله احكم في أهلي ومالي
بما أراك الله . أو أخيرك فأخلى سبيلك ، فقال : أحب أن تخلي سبيلي فأعبد
ربي ، فخلّني سبيله .

معشر السادة :

هذا هو الخضر عليه الصلاة والسلام الذي كتب الله له أن يلتقي بسيد
أهل زمانه كليم الله موسى . فكيف تم ذلك؟
ولكي أجيب عن هذا السؤال اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك ،
إلى عصر سيدنا موسى لألتقي مع حضراتكم بهذين البحرين ، بهاتين
القمتين الشامختين لأتناول معكم القضية الإيمانية الأولى ، التي تقول إن
العلم قسمان :

الأول : علم الشريعة .

والثاني : وعلم الحقيقة الذي يعرفه الناس باسم العلم اللدني ، أو العلم الذي يهبه الله تعالى لخلّص عباده ولا تعارض بين هذين العلمين إلا بحسب الظاهر ، العلم الشرعي يجب أن يعلمه الناس جميعاً ، أما العلم اللدني فهو خاص بأولياء الله وكبار الصالحين من عباده ، يقول سيدنا أبو هريرة : (خ) «علمني حبيبي رسول الله جرابين من علم ، أحدهما لو أخبرتكم به لقطعتم عنقي هذا» .

فالعلم اللدني هو العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه ، ولأبدأ معكم القضية الإيمانية التالية من خلال هذا الموقف الذي وقع لسيدنا موسى ، فقد قام خطيباً في بني إسرائيل فذكرهم الله تعالى ووعظهم حتى إذا فاضت العيون وركت القلوب ولّى عنهم فأدركه رجل فقال : أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك؟ فتأمل سيدنا موسى هنيهة ثم قال : لا ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى إليه فقال : إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى : يارب فكيف لي به ، فقال : تأخذ حوتاً فتجعله في مكث (سلة) فحيثما فقدت الحوت فهو ثم (ق) .

فأخذ حوتاً فجعله في مكث ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون ، وسارا نحو المشرق نحو بحر العرب وبحر الروم ، وصار يأكلان من هذه السمكة الكبيرة في أثناء السير ، حتى أصابهما التعب ، فتوقفا عند صخرة نام سيدنا موسى عندها ، فإذا بالحوت يضطرب ويرد الله إليه الحياة ويخرج من المكث ويسقط في البحر ، وأمسك الله عن الحوت جري الماء فصار كالطريق في البحر ، واسمحو لي أن أستعرض على حضراتكم هذه الأنباء الإلهية على الموجات العاملة من سورة الكهف :

﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حُفّاً (ثمانينات من السنين لأن الحقة ثمانون سنة) . فلما بلغا مجمع

بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً فلما جاوزا قال لفتهما آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً ، قال أرايت إذ أؤينا إلى الصخرة فإنني نسيت الخوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله في البحر عجباً ، قال ذلك ما كنا نبغ فارتدأ على آثارهما قصصاً فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً /الكهف : ٦٥ .

وإذا هو مسجى بثوب فسلم عليه موسى ، فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام يا نبي بني إسرائيل فقال موسى : ومن عرفك؟ قال الذي أرسلك إلي ، قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً . هذا هو الأدب العالي الرفيع سيدنا موسى الرسول من أولي العزم يقول : ﴿هل أتبعك﴾ هل تأذن لي أن أجعل نفسي تابعاً لك وهذا مبالغة عظيمة في التواضع واسمعوا بقية الآداب :

﴿على أن تعلمني﴾ وهذا إقرار منه على نفسه بالجهل وعلى أستاذه بالعلم بل قال له ﴿مما علمت﴾ علمني بعض ما علمك الله ، وهذا تواضع ، كأنه يقول : لا أطلب منك أن تجعلني مساوياً لك في العلم ، بل أطلب أن تعطيني جزءاً من أجزاء ما علمت .

وبهذا أتى كريم الله في طلب العلم بأعظم أبواب المبالغة في التواضع وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الواجب على المتعلم إظهار التواضع بكل الغايات ، فقال سيدنا الخضر : كفى بالتوراة علماً وبينني إسرائيل شغلاً فقال موسى : الله أمرني بهذا قال الخضر : ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ يا موسى إنني على علم من علم الله علمنيه ربي لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه .

فقال موسى ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾ /الكهف : ٦٩ .

فقال له الخضر: ﴿فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ /الكهف: ٧٠/. فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم من العالم .
معشر السادة :

وهكذا انطلق الركب الثلاثي : سيدنا موسى وسيدنا الخضر وسيدنا يوشع بن نون يقوم على خدمتهما ، وكان أول امتحان صادف سيدنا موسى السفينة التي ركبوها ليعبروا بها البحر ، فقد عرف أصحاب السفينة سيدنا الخضر فحملوهم بغير أجر ، فلما ركبوا في السفينة لم يفاجأ موسى إلا والخضر يمسك لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم ويخلعه ، فصرخ موسى عليه : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهما فخرقتها ، ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرأاً﴾ «عظيماً منكراً» . قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً ، قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً /الكهف: ٧٣/. ولا تكلفني مشقة ولا تعسر علي متابعتك .

وإذا بعصفور يقع على حرف السفينة فينقر في البحر نقرة ، فقال له الخضر : يا موسى ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من هذا البحر . (الله أكبر) .

هذا هو الدرس الذي أراد مولانا أن يأخذه سيدنا موسى ، وإن كان ذلك بما يعلمه سيدنا موسى حق العلم ، ولذلك راحت الأدلة والمواقف تترى عليه ولنكون نحن على يقين من ذلك ، لأن سيدنا موسى وصاحبيه خرجوا من السفينة ، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ رأسه بيده فاقتلعه فقتله ، وهنا صرخ نبي ورسول الشريعة (وهذا الواجب على كل إنسان أن يفعله) صرخ ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً﴾ /الكهف: ٧٤/ .

ما هو ذنب هذا الغلام الذي لم يبلغ الحلم بعد ، ماذا فعل حتى أقمت عليه حد القتل؟ ونظر نبي الحقيقة إلى نبي الشريعة وذكره العهد قائلاً :

(﴿ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ / الكهف : ٧٥ / فقال له موسى : ﴿ إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً ﴾ / الكهف : ٧٦ .

وانطلق الراكب النبوي حتى دخلوا قرية وطلبوا من أهلها طعاماً فأبوا أن يعطوهم طعاماً (بخلاء) بثمر أو بغير ثمن ، حتى أطعمتهم امرأة ، وإذ هما أثناء سيرهما يجدون جداراً مائلاً قابلاً للسقوط ، فمد الخضر يده وأقامه ، فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ ليكون لنا قوتاً بركة على سفرنا .

وهنا نظر سيدنا الخضر إليه وقال ﴿ هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ / الكهف : ٧٨ .

أندرون ماذا قال الحبيب الأعظم سيدنا محمد ﷺ قال : يرحم الله موسى لوددت أنه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما (ق) .

فقال نبي الحقيقة : ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم (أي أمامهم) ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ / الكهف : ٧٩ ، فإذا مرت أمام أعوانه ورأوها فيها عيب تركوها وبهذا ارتكب سيدنا الخضر أخف الضررين وهو تعييبهما خوفاً أن يستولى عليها كلها فيخسرهما أصحابها . وهذا منتهى عين الحكمة .

﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما (يكلفهما) طغياناً وكفراً ﴾ ، خشي الخضر أن يحملهما حب الغلام على أن يتبعاه على دينه ، وقيل خشي على الغلام أن يعمل عمل الفساق فيتغفل عنه أبواه فيدخلان النار . ﴿ فأردنا أن يبدلهم ربهما خيراً منه زكاة ﴾ (أي يرزقهما مكانه غلاماً صالحاً تقياً) وأقرب رحماً ﴿ عطفاً ورحمة بأبويه قيل : فأبدلهم الله جارية مؤمنة أدركت يونس بن متى فتزوجها نبي من الأنبياء ، فولدت له نبياً

فهدى الله على يديه أمة من الأمم . فلو بقي هذا الغلام كان فيه هلاكهما ، فرضى المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره وخير له من رضاه فيما يحبه .

﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما﴾ /الكهف : ٨٢/ ذهباً وفضة كما أخرجه الترمذي . ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ /البقرة : ٨٢/ كان جدهما تقياً وهو الجذ السابع .

يقول محمد بن المنكدر : إن الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله ، فلا يزالون في حفظ الله مادام فيهم . وعن سعيد بن المسيب : إني لأصلي فأذكر ولدي في صلاتي لعلي أن أحفظ فيهم .

وروي عن يحيى بن إسماعيل بن مسلمة أنه كان له أخت أكبر منه فاختلط عقلها فتوحشت وسكنت غرفة في أقصى سفح الدار بضع عشرة سنة ، وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الطهارة والصلاة ، يقول يحيى بن إسماعيل ابن مسلمة : فطرت بابي ليلاً فقممت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من عشرين سنة ، فسألها عن حالها وكيف شفيت؟ فقالت :

«نمت الليلة فأتاني آت في المنام فقال إن الله حفظ أباك إسماعيل بن مسلمة بمسلمة جدك وحفظك بأبيك إسماعيل فإن شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وإن شئت صبرت فلك الجنة ، فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد تشفعا لك إلى الله لحب أبيك وجدك لسيدنا أبي بكر وعمر فقالت إن الله لو اسع الفضل لخلقه ، لا يتعاضم شيء في حكمه لو شاء لجمعهما لي ، قال فقل لها : قد جمعهما الله لك ورضي عن أبيك وجدك بحبهما لأبي بكر وعمر ، فانزلي فإن الله أذهب ما كان بك» .

وهكذا - معشر السادة - تعلمنا اليوم آداباً وفضائل كثيرة ، لأن الخضر علم موسى فقال ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما﴾ /

الكهف : ٨٢ / وحينما ذكر السفينة قال : ﴿فأردت أن أعيها﴾ / الكهف : ٧٩ / أضاف العيب لنفسه أدباً مع الله ، وهناك إضافة لله تعالى ، لأن حفظ الأبناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس إلا لله عز وجل ، وهذا يدل على أن لله عبادةً يتصرفون في خلق الله بأمره ، ولهذا اسمعوا ماذا قال الخضر قال : ﴿وما فعلته عن أمري﴾ بل فعلته عن أمر الله وإلهامه ووحيه ، وهذه العبارة تدل على أن الخضر كان نبياً ، ولا يعلم نبياً إلا نبي ، واسمعوا إلى هذا الحوار الختامي بين هذين البحرين ، قال سيدنا الخضر لسيدنا موسى : أتلومني يا موسى على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين ألقيتك أمك وأنت صغير في اليم فحفظك الله تعالى ، وتلومني على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر ، وتلومني على ترك أخذ الأجرة في إقامة الدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسباً لله تعالى .

وهكذا معشر السادة تناولت معكم اليوم عدة قضايا إيمانية من خلال الآداب التي تعلمناها من مواقف هذين النبيين ، فما هي القضايا الأخرى في قصة هذا النبي الرسول ؟ .

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى ، وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنامدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله

سیدنا موسیٰ ونهایة بلعام بن باعوراء

- ٤٦ -

الحمد لله ذي العز المجید ، والبطش الشدید ، المبدئ المعید ، الفعّال لما یرید ، المنتقم من عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعید ، المکرم من خافه واتقاه بدار لهم فیها من کل خیر مزید ، فسبحان من قسم خلقه قسمین وجعلهم فریقین ، فمنهم شقی وسعید ، وعوی ورشید ، ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعلیها وماریک بظلام للعبید﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له ولا کفو ولا عدل ولا ضد ولا نذید .
وأشهد أن سیدنا محمداً عبده ورسوله القائل «مررت لیلة أسری بی بموسى فی السماء السادسة ، فقال جبریل : هذا موسى فسلم علیه . قال فسلمت علیه فقال : مرحباً بالنبی الصالح والأخ الصالح فلما تجاوزت بکی ، قیل له : ما یبکیک قال أبکی لأن غلاماً بعث بعدي یدخل الجنة من أمته أكثر مما یدخلها من امتی» (م : ١٦٥) .

وفی رواية الإمام أحمد : رفع لی سواد عظیم فقلت : ما هذا الشیء فقیل هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق فإذا سواد عظیم ثم قیل : انظر إلى هذا الجانب ، فإذا سواد عظیم فقیل : هذه أمتک ومعهم سبعون ألفاً یدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» (خ) .

اللهم صل وسلم وبارک علی هذا النبی الکریم والسید السند العظیم

سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين صلاة وسلاماً متلازمين إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

درسنا اليوم هام للغاية ، إنه درس لجميع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بالدنيا ، فإن من الأمة فئة إنما تتعلم وتدرس لتبلغ المراكز والمناصب في الدنيا ، أو لتطعن الإسلام من خلف شأن المستشرقين الغربيين . إن علماء السوء يلقون الناس بوجه الدين ، وحين يخلون إلى شياطينهم ترى وجوههم الحقيقية ، يطعنون الإسلام من الخلف يخادعون الله ورسوله وما يخدعون إلا أنفسهم ، هذه النوعية الرديئة من الناس موجودة منذ القديم ، بدأ اليهود سلسلتها ، اليهود من بني إسرائيل .

كان هذا -أيها السادة- هو الموجز وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة السادسة الأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، وخير ما تستهل به هذه الحلقة تلاوة عطرة مباركة من سورة الاعراف .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثلته كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ /الاعراف : ١٧٦/ .

هذا هو المثل الذي ضربه مولانا لرجل من أتباع سيدنا موسى يدعى بلعام بن باعوراء ، ضربه مثلاً للعالم الذي يتبع هواه ويترك آخرته . وبلعام هذا كان من خواص سيدنا موسى ففتنه بنو إسرائيل ، فكيف حدث ذلك؟

أيها الإخوة :

رفض بنو إسرائيل دخول الأرض المقدسة -كما قدمنا- خوفاً منهم أن يُقتلوا ، وراحوا يكيدون لسيدنا موسى ، فقدموا إلى بلعام بن باعوراء وكان

يعرف اسم الله الأعظم ، فقالوا : إنا قومك وبنو عمك وجيرانك وليس لنا حيلة مع موسى فادع الله لنا أن يردّ عنا موسى ومن معه .

فقال لهم بلعام : ويلكم هذا نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون ، كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم ، وإني إن فعلت ذلك ذهبت دنيائي وآخرتي .

فلما رفض ذلك جاؤوه من قبل امرأته التي قدموا لها الهدايا والذهب والفضة ، فراحت تراوده وتزين له حتى قبل ، فركب حمارته ، حمارته التي أبت أن تسير به فراح يضربها ، فإذا بها تنطق بإذن الله تعالى وتقول له :

- ويحك يا بلعام أين تذهب ، ألا ترى أن الملائكة أمامي تردني عن وجهي ، أذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم .

فلما سمع ذلك بلعام خر على الأرض ساجداً باكياً متضرعاً ، حتى غابت عنه الملائكة ، وحضر شياطين الإنس يوسوسون له أن ينطلق إلى جبل حُسبان فيصعد عليه ليدعو على موسى وجيشه ، فركب أتاناه الملعون حتى أشرف على جبل حُسبان فقلب الله لسانه فجعل يدعو على قومه بدل أن يدعو على موسى وجيشه ، وسلب الله منه اسمه الأعظم عقوبة له ، فقال له قومه : ماذا تصنع أنت تدعو علينا فقال : لا أملك من هذا الأمر شيئاً قد غلبني الله عليه .

وهنا علم بلعام أنه قد طرد من رحمة الله كما طرد إبليس من قبل فقال لقومه : قد ذهب مني الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأحتال لكم ، فجمّلوا النساء وزينهوهن وأعطوهن السلع ، ثم أرسلوهن إلى المعسكر يبعن ويشترين معهم ، وأمرؤهن أن لا تمتنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، ثم قال لهم : فإنه لو زنى رجل منهم كفيتموهم .

أيها الإخوة

هذه هي الورقة الأخير الرابعة التي قامر بها بلعام بن باعوراء ، وكان كما توقع ، فإن الشهوة غلبت على أمة اليهود فقد رأوا النساء بأبهى زينة لهن

يتغلغلن ضمن أفراد العسكر والجند ، وإذا بأحد قواد العسكر يأخذ بيد إحدى الزانيات ، وقد أعجبه حسنهما ، فوقف على موسى وراح ينادي بوقاحة وقحة ويقول : أظنك ستقول إن هذه حرام علينا .

فقال : أجل هي حرام عليكم . قال : لا أطيعك في هذا ، ثم خلى بها الملعون فواقعها .

فكيف كان انتقام ربك عز وجل؟

إذا بالأوامر تصدر إلى جرثومة الطاعون لتأتي على الجيش من بني إسرائيل فجاست خلال الديار فحصدت منهم سبعين ألفاً في ساعة واحدة . فقام عظيم من عظماء بني إسرائيل وقد فطن أن السبب هو مخالفة أوامر كريم الله موسى والمعصية التي ارتكبها قومه ، فإذا به يأخذ حربته بذراعه ويأتي على هذا المجاهر بالمعصية فيدخل عليهما الخيمة أو الخيبة فيغرس فيهما حربته وهما يتضاجعان ، ثم يخرج بهما ويقف على سيدنا موسى ومن معه ويقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك

وما إن أمّ كلامه حتى رفع الله الطاعون عنهم مباشرة .

وأنزل مولانا في بلعام بن باعوراء هذه الآية التي صدرت بها حديثي إليكم ، وضرب به مثلاً الكلب ﴿فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ /الأعراف : ١٧٦/ واللهث حالة طبيعية في الكلب إن حملته أو تركته ، فكذلك الحريص على الدنيا إن وعظته أو لم تعظه فهو حريص على الدنيا ، والحريص على الدنيا كلب ، والكلب مثله مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله إذ جاءتهم الرسل ليهدهم لم يهتدوا ، وإن تركوهم لم يهتدوا ، قال تعالى لسيدنا محمد ﷺ : ﴿فاقصص القصص (على قومك) لعلهم يتفكرون﴾ /الأعراف : ١٧٦/ .

وهكذا معشر السادة الكرام : خاب أمل بلعام في رد جيش موسى عن دخول الأرض المقدسة .

وسار الجيش بعدده وعدته وبلغ بهم الجهد مبلغه فطلبوا الوقوف عند بقعة فيها ماء ليغتسلوا ، وامتنع سيدنا موسى أن يغتسل معهم وكانت هذه عادته لا يكشف جسمه أمام بني إسرائيل ، [فقالوا : لا بد أن به عيباً بجلده إما آفة أو برص] . فأراد الله تعالى أن يبرئه مما قالوا ، فقام يوماً وحده على شط بقعة من البحيرة فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإذا بالحجر يأتيه الأمر أن يحمل ثياب الكليم وينطلق بها ، وراح الحجر يعدو بالثياب ، وأخذ موسى عصاه وراح ينادي الحجر : ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر . حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فوأوا جسده أحسن ما خلق الله وبرأه الله مما يقولون . ووقف الحجر بعد أن ثبتت براءة الكليم فإذا بالكليم ، يأخذ ثيابه ويلبسها ، وطفق ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندياً من أثر ضربه ثلاثاً أو أكثر ، (خ ٢٧٨ - ٣٤٠٤ - ٤٧٩٩) ، واسمع معي إلى قول مولانا جل وعلا :

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وحيها﴾ / الأحزاب : ٦٩ .

ومات من مات منهم في أثناء اتجاههم إلى الأرض المقدسة ، ومنهم رجل عاص ما عبد الله تعالى في عمره قط ، واشتهر بين بني إسرائيل أمره حتى أبغضه كل واحد منهم ، فلما مات ألقى بنو إسرائيل جثته إلى المزابل . فأوحى الله إلى سيدنا موسى يا موسى : خذ هذا العبد وغسله وكفنه وادفنه ، فإن بني إسرائيل ألقوه على المزابل .

وسأل سيدنا موسى قومه عن هذا الرجل حتى دلوه عليه ، فأخذوه وغسلوه وكفنه ودفنه معزاً مكرماً ، فتعجب بنو إسرائيل من فعل الكليم وراحوا يذكرون له ماضيه السيئ ، وأنه لم يسجد لله سجدة ، قط ولم يترك

معصية إلا فعلها فقال لهم : أمرني ربي عز وجل أن أفعل به ذلك . فقالوا :
سل لنا ربك عن سبب تكريم هذا العاصي؟

فتوجه سيدنا موسى لرب العزة يدعوه ويسأله تفسيراً عن ذلك .
أتعرفون ماذا أوحى الله إليه؟ قال : يا موسى وقع في يده يوم من الأيام ألواح
من التوراة فرأى فيها اسم حبيبي محمد فقبله محبةً به ، ولأجل ذلك غفرت
له ذنوبه وأدخلته الجنة . (صلوا على الحبيب) .

معشر السادة الكرام

ما إن وصل سيدنا موسى إلى أطراف بلاد الشام حتى اختار من قومه
وفداً مؤلفاً من اثني عشر نقيباً ، وأرسلهم طليعة إلى مدينة أريحا ليستطلعوا
له خبر قومها ، ولكنهم لما رأوا قوة الجبارين نكلوا عن حربهم ومقاتلتهم
فأوحى الله إليه :- إلى متى يعصيني هذا الشعب ، وإلى متى لا يصدقون
بهذه الآيات ، لأهلكنهم جميعاً ولأجلبن لك شعباً أقوى وأكثر منهم ، فقال
موسى : إلهي لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم لقاتل الأمم الذين سمعوا
ذلك إنما قتل هذا الشعب من أجل أنه لم يستطع أن يدخلهم الأرض
المقدسة ، وأنت الرب الصبور غفار الذنوب فاغفر لهم ولا توبقهم ، فقال الله
لكليمه :- إني قد غفرت لهم بكلمتك ، ولكن بعدما سميتهم فاسقين
ودعوت عليهم وحلفت بعزتي لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة
وليأتينهم حتفهم في هذه القفار ، وأما بنوهم الذين لم يعصوني ولم يعملوا
الخير ولا الشر فإنهم يدخلون الأرض المقدسة .

وقد قام بفتح هذه المدينة سيدنا يوشع بن نون على مقدمة الجيش .
وكان فتحها معجزة وكرامة عظيمة إذ أن أسوار المدينة سقطت بصيحة واحدة

- اللّٰهُ أكبر - فدخلوها وقتلوا الجبارین وهزموهم ، فكانت الجماعة من بني إسرائيل یجتمعون على الرجل الواحد فیضربونه ضربة واحدة ، وكان القتال یوم الجمعة فبقى منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل لیلة السبت ، فخشى یوشع أن یدخل السبت علیهم فدعا مولانا فقال : اللهم اردد الشمس علیّ وقال للشمس أنا فی طاعة اللّٰهُ كما إنك فی طاعته فسأل الشمس أن تقف والقمر أن یقیم حتی ینتقم من أعداء اللّٰهُ قبل غروبها ، فردت له الشمس وزید له فی النهار ساعة واحدة حتی قتلهم أجمعین . ثم أمر جنوده أن یدخلوا أریحا متواضعین مستغفرین خافضین رؤوسهم ، وفی هذا یقول عز وجل :

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً (أَي حِطَّ عَنَّا خَطَايَانَا) نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ / البقرة : ٨٥ .

أيها السادة :

إننا مع المحطات الأخيرة من حياة هذا النبی ، فقد بلغ منه العمر مئة وعشرين سنة وملّ كذب قومه وخداعهم ، فأرسل مولانا إليه ملك الموت على هيئة إنسان فقال له : أجب ربك . فقال : إلى ماذا؟ فقال له : لتموت . فرفع سيدنا موسى يده فلطم عين ملك الموت البشرية ففقاها ، وظنه رجلاً یكذب وأنه لیس ملكاً . فرجع الملك إلى مولانا وقال : أرسلتني إلى عبد لا یرید الموت . فرد اللّٰهُ إليه عينه وقال : ارجع إليه فقل له : یضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعره سنة . قال ، موسى : أي رب ثم ماذا؟ قال ثم الموت . قال فالآن ، ولكن یارب قربني من الأرض المقدسة مرمیاً

حجر ، يقول سيدنا رسول الله ﷺ لصحابته الكرام : فلو كنت هناك لأريتكم
قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر . (ق) .
أيها الإخوة :

وهكذا انطوت صفحة أخرى مشرقة من تاريخ نبي من الأنبياء ، فمن
هو النبي الثامن عشر المذكور في الترتيب القرآني ما هي القضايا الإيمانية
المستنبطة من حياته ، أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة
بإذن الله تعالى ، وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة
التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

* * *

سيدنا إلياس واليسع وداود

عليهم الصلاة والسلام

- ٤٧ -

الحمد لله موفق من توكل عليه ، القيوم الذي ملكوت كل شيء بيديه ،
حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً
عبد ورسوله أرسله رحمة للعالمين وخاتماً للنبيين وحرزاً للأئمة وإماماً للمؤمنين ،
بأوضح دليل وأفصح تنزيل ، وأفسح سبيل ، وأنفس تبيان وأبدع برهان .
اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين
الطاهرين وصحابه المجاهدين وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً .
أما بعد :

فنحن ننزل اليوم ضيوفاً على عدد من الأنبياء والرسل الكرام من
أنبياء بني إسرائيل ، وكلهم هنا في بلاد الشام ، هذه البلاد الطيبة المباركة
مهبط الوحي ومبعث الأنبياء والرسل الكرام ، الشام التي بارك الله فيها
وبزروعها وثمارها وأهلها وخصها بخيرة خلقه ورسله ، وهؤلاء الأنبياء مقدمة
بين يدي الحديث عن سيدنا داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .
إننا باختصار مع الحلقة السابعة والأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية
من جامع الدرويشية ، وفي بداية هذه الحلقة نرفع عالياً شعار التوحيد .

لا إله إلا الله محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من سورة الصافات :
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
﴿وإن إلياس لمن المرسلين . إذ قال لقومه ألا تتقون . أتدعون بعلاً

وتذرون أحسن الخالقين . **اللَّهُ** ربكم ورب آبائكم الأولين . فكذبوه فإنيهم لمحضرون . إلا عباد **اللَّهُ** المخلصين . وتركنا عليهم في الآخرين سلاماً على إلياسين . إنا كذلك نجزي المحسنين ﴿ / الصافات : ١٢٣ - ١٣١ / .

إلياس أيها الإخوة هو الحفيد الثاني لسيدنا هارون أخي نبي **اللَّهُ** موسى . أرسله مولانا إلى أهل بعلبك الذين كانوا يعبدون صنماً (اسمه بعل) فدعاهم إلى **اللَّهُ** عز وجل فكذبوه وهموا بقتله فهرب منهم واختفى عنهم في مغارة ، حتى أهلك **اللَّهُ** هذا الملك وتولى غيره ، فعرض عليه سيدنا إلياس الإسلام فأسلم ، وأسلم من قومه خلق عظيم .

«وقد اختلف في هذا النبي فقليل أيضاً : إنه حي إلى يوم القيامة وقيل إنه يجتمع مع سيدنا الخضر في كل عام في شهر رمضان ببيت المقدس ، ويحجان كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما كل العام ، وأنهما يجتمعان في عرفات وأنه يحلق كل منها للآخر عند نهاية الحج (قط في الأفراد- ابن عساكر : ض) ، والله أعلم بصحة ذلك» .

لكن الذي صرح به كتاب **اللَّهُ** تعالى أن مولانا أثنى عليه وأبقى ذكره حسناً في العالمين ﴿سلام على إلياسين﴾ / الصافات : ١٣٠ / .

وكان بعد إلياس اليسع من أولاد سيدنا يوسف بن يعقوب مكث فيهم يدعوهم إلى **اللَّهُ** تعالى حتى قبضه **اللَّهُ** تعالى ، قال تعالى ﴿واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين﴾ / الأنعام : ٨٦ / .

معشر السادة :

ويذكر لنا التاريخ أن أمر بني إسرائيل قد مرج وعظمت فيهم الخطوب والخطايا ، وقتلوا من قتلوا من الأنبياء ، فسلط **اللَّهُ** عليهم بدل الأنبياء ملوكاً جبارين يسفكون دماءهم ، فكان بنو إسرائيل إذا أرادوا النصر على الأعداء حملوا معهم تابوتاً فيه بعض الآثار من زمن سيدنا موسى وهارون - فكانوا ينصرون ببركته ، فلما رأى أعداؤهم ذلك قهروهم ونزعوه من أيديهم وبقي بنوا إسرائيل كالغنم بلا راع ، حتى بعث **اللَّهُ** فيهم نبياً يقال له شمويل

فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً ليقاتلوا معه عدوهم في غزة وعسقلان .
وشمويل هذا هو المشار إليه في كتاب مولانا عز وجل على موجات
سورة البقرة :

﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم
ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ، قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال
ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم ، والله عليم بالظالمين .
وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ﴾ / البقرة : ٢٤٧ .

وطالوت هذا هو من ذرية بنيامين بن يعقوب كان سقاءً فاحتقروه لفقره
وقالوا : ﴿أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله
يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ﴾ / البقرة : ٢٤٧ .
فطلبوا منه آية على ملكه عليهم فقال لهم :

﴿إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك
آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ﴾ فإذا بهذا التابوت تأتي به الملائكة
من أعدائهم حتى وضع أمام أعين بني إسرائيل ، فكانت هذه الآية من بركة
ولاية هذا الرجل الصالح .

وفعلاً تولى قيادة جيش بني إسرائيل وسار بهم نحو الأردن ، وأراد الله
أن يمتحنهم ليرى المخلصين منهم فعلاً ، فقال لهم :

﴿إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه
مني إلا من اغترف غرفة بيده ﴾ / البقرة : ٢٤٩ / قال المفسرون : كان الجيش
عدة آلاف فشرب منه أكثرهم فبقي معه ٣١٣ مقاتلاً فقط (على عدة أهل
بدر) ، ولذلك لما جاوزوا نهر الأردن استقلوا أنفسهم واستضعفوا عن مقاتلة

عدوهم ، لكن الشجعان منهم والفرسان أهل الإيمان واليقين قالوا لهم : ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ /البقرة : ٢٤٩/ فتوجهوا جميعاً إلى الله تعالى حين برزوا لجالوت الكافر وجنوده وقالوا :

﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ /البقرة : ٢٥٠/ وبرز مقاتل صنيديد من بين المقاتلين أبدى شجاعة في القتال ، وهو الذي تولى قتل جالوت ، فمن هو وكيف حدث ذلك؟

أيها السادة : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى ساحة المعركة لأشهد معكم مقاتلاً صنيديداً هذا المقاتل الصنيديد هو سيدنا داود عليه الصلاة والسلام ، إن سيدنا داود سمع طالوت ملك بني إسرائيل في أثناء تحريضهم على قتل جالوت وجنوده يقول : من قتل جالوت زوجته بابنتي وأشركته في ملكي ، وكان داود يرمي بالمقلاع رمية عظيمة ، فبينما هو مع بني إسرائيل إذ ناداه ثلاثة أحجار أن يأخذها ، وقالت : بنا تقتل جالوت ، فأخذ الثلاثة في منخلاته ، وما أن تواجه الصفان حتى برز إلى الطاغية جالوت واستقبله بمقلاعه الذي جمع فيه أحجاره الثلاثة ، ثم رمى بها ففلق رأس جالوت ، وفر الجيش مهزوما وهذه النتيجة الإيمانية سطرتها الموجات القرآنية اسمعوها : ﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء﴾ /البقرة : ٢٥١/ .

وهنا كافأ طالوت سيدنا داود وزوجه من ابنته ، وأجرى حكمه في ملكه ، وعظم داود عند بني إسرائيل وأحبوه ومالوا إليه ، فترك طالوت الملك له لما رأى من عدله وحُب رعيته له .

وهكذا - معشر السادة : تبدأ صفحة جديدة من حياة هذا النبي الذي أوتي من الفضائل والمكارم ما لم يؤت غيره من الأنبياء ، فقد ألان له مولانا الحديد ، وأعانته على عمل الدروع ليتحصن المقاتلة من الأعداء ، واسمعوا إلى قول مولانا عز وجل في سورة سبأ :

﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً ياجبال أوبي معه والطير وألنا له

الحديد . أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بماتعملون بصير ﴿سبأ : ١١﴾ . وعلى موجات سورة الأنبياء .

﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ، وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾ / الأنبياء : ٨٠ .

قال المفسرون : ألان الله له الحديد حتى كان يفتله بيده لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة ، وكان أول من عمل الدروع من الزرد ، وإنما كان قبل ذلك من صفائح ، وكان يبيعها لقومه ، ولهذا يقول نبينا الأعظم ﷺ :

«إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن نبي الله داود كان يأكل من كسب يده» (خ-ن) «وقد بلغ في العبادة والطاعة وقيام الليل والصوم مبلغه ولذا كانت الجبال تسبح معه حيث تسمع صوته الجميل ، وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الأذان بمثله ، فيعكف الجن والإنس والطير والدواب على صوته وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا ، وخفف الله عليه تلاوة الزبور فكان يقرأه بوقت قصير ، واسمعوا إلى الحبيب يقول لنافي رواية البخاري : «خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ، ولا يأكل إلا من عمل يديه» (خ ٣٤١٧) . والمراد بالقرآن هنا الزبور المنزل عليه في شهر رمضان وهو مواعظ وحكم وعلى موجات سور ص :

﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب﴾ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب . وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴿ص : ٢٠﴾ .

أعطيناه ملكاً عظيماً ، وحكماً نافذاً ، وقضاءً ، مبرماً وطاعة نافذة في قومه ، وانظروا قوله جل جلاله : ﴿وآتيناه الحكمة﴾ ، أي النبوة وفصل الخطاب أي كيفية الحكم والقضاء ، وهو الشهود وحلف الأيمان ضمن القاعدة الشرعية (البينة على المدعي واليمين على من أنكر) فعن ابن عباس : أن

رجلين تداعيا إلى داود في بقرة وادعى أحدهما على الآخر أنه قبضها منه ،
فأنكر المدعى عليه ، فأرجأهما إلى الليل ليحكم بينهما ، فلما كان الليل
أوحى الله إليه أن يقتل المدعى ، فلما أصبح قال له داود .

إن الله قد أوحى الي أن اقتلك ، فأنا قاتلك لا محالة ، فما خبرك فيما
ادعيتك على هذا ، قال : والله يا نبي الله إني لمحق فيما ادعيت عليه ، لكني
كنت قتلت أباه قبل هذا ، فأمر به سيدنا داود فقتل .

وأُنزل عليه مولانا جل جلاله : ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في
الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن
سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما
نسوا يوم الحساب﴾ / ص : ٢٦ .

هذا هو الوعيد لولاة الأمور وحكام الناس يأمرهم مولانا بالعدل ، واتباع
الحق المنزل من الله تعالى ، لا ماسواه من الآراء والأهواء ، وتوعد من سلك
غير ذلك ، وحكم بغير ذلك ، ولهذا اسمعوا الى حبيب القلوب ﷺ يقول :

«المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ،
الذين يقسطون في أهلكهم وحكمهم وماولوا» (م ٦ / ٧) .

وقال : «إن أحب الناس إلي يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً : إمام
عادل ، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدّهم عذاباً : إمام
جائر (ظالم)» (ض : الروض ٢ / ٣٥٦ - ٣٥٧) .

ولهذا جعل سيدنا رسول الله ثلثي القضاة من أهل النار فقال : «قاض
في الجنة وقاضيان في النار» (الأربعة د ٣٥٧٣ - هـ ٢٣١٥ - هـ ١٠ / ١١٦ -
حا ٩٠ / ٤) .

فياويل قضاة السوء - الذين يحكمون بغير ما أنزل الله تعالى .

قال وهب بن منبه : لما كثر الشر والشهادات الزور في بني إسرائيل
أعطى داود سلسلة لفصل القضاء ، فكانت ممدودة من السماء لا يصل إليها

أحد إلا صاحب حق ، فلم تزل كذلك حتى استودع رجلٌ لؤلؤة عند رجل ، فلما طلبها منه جردها ، فاحتكما إلى سيدنا داود ، فأمرهما المثل أمام السلسلة ، فإذا بهذا المحتال أودع اللؤلؤة ضمن عصا خبأها فيها ، فلما حضرا عند السلسلة قال للمدعي (صاحب اللؤلؤة) أمسك لي هذه العصا قليلاً ثم أمسك السلسلة وقال : اللهم إنك تعلم أنني دفعتها إليه ، فإذا بالسلسلة يرفعها رب العزة إلى السماء من غير رجعة .

وقد عرضت قضية على سيدنا داود من قبل خصمين تسورا عليه المحراب في أثناء عبادته ، واسمعوا إلى هذه القضية يعرضها علينا كتاب الله على موجات سورة ص فقال عز من قائل :

﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا : لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط﴾ فما هي هذه القضية اسمعوها بامعان وإنصات : ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ، ولي نعجة واحدة فقال : أكفلنيها وعزني في الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾ / ص : ٢٤ .

قضى سيدنا داود مباشرة بهذه القضية دون أن يسمع من الخصم الآخر ، وعرف داود أن هذا الأمر الذي فعله كان امتحاناً من الله له فتأب وأناب ، واسمعوا تنمة الحدث :

﴿وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب فغفرنا له ذلك ، وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ / ص : ٢٥ .

وهكذا معشر السادة

قضى سيدنا داود عمره الذي بلغ مئة سنة في العدل والعبادة ، وكان

فيه غيرة شديدة على أهل بيته ، كان إذا خرج أغلق الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع ، وكان قد تزوج مئة امرأة ، منهن أم سيدنا سليمان ، فخرج ذات يوم وغلق الدار فأقبلت امرأته فاطلعت على صحن الدار فإذا برجل قائم وسط الدار ، وخاف النسوة من الفضيحة ، فلما جاء سيدنا داود داره فقال : من أنت ؟ . فقال : أنا الذي لأهbab الملوك ولاأمنع من الحجاب فقال داود : أنت والله إذن ملك الموت مرحباً بأمر الله .

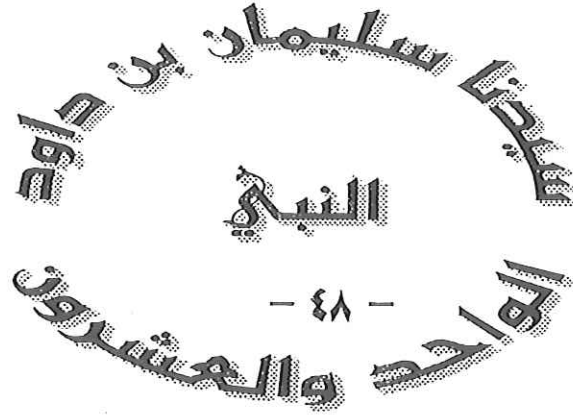
وفي رواية : أتاه ملك الموت وهو نازل من محرابه . فقال له : دعني أنزل أو أصعد . فقال : يا نبي الله ! قد نفدت السنون والشهور والآثار والأرزاق . قال : فخر ساجداً على درجة من تلك الدرجات فقبضه وهو ساجد (أحمد في المسند (٢/ ٤١٩))

أيها السادة : خرج بجنابة نبي الله داود يومئذ أربعون ألف راهب ، ولم يمض في بني إسرائيل بعد موسى وهارون أحد كانت بنو إسرائيل أشد جزعاً عليه منهم على داود ، قال : فأذاهم الحر ، فنادى سيدنا سليمان أن يعمل لهم وقاية لما أصابهم من الحر ، فنادى سليمان الطيور وأمرها أن تظلل الموكب ، فأظلتهم الطير ، فكان ذلك أول مارأوه من ملك سليمان .

أيها السادة : وهكذا يموت الأخيار ويتبعهم على الدرب العبيد والأحرار ، ولن يستطيع أحد أن يدعي الخلود على الأرض فمن ادعى ذلك فهو كذاب . لو خلد أحد على الأرض لخلد الله الأنبياء والمرسلين اذكروا هذه القضية تماماً . ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ /فصلت: ٤٦/ .

وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله



الحمد لله الذي قَرَّبَ إلى جنانه من أحبِّ واختار ، فصَيَّرَه من أحبابه
السادة الأبرار ، وطرده عن بابه كل شقي وجبار ، وحرمه جزيل ثوابه فالحكم
لله الواحد القهار

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أَدَّخَرها ليوم
تشخص فيه الأبصار ، وتحيط به الأوزار ، ويغضب الملك الجبار
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المنتخب من جميع الأنبياء
والرسل الكرام ، فهو خيار من خيار من خيار
اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه
وعترته الطيبين الأطهار . وسلم تسليماً .

أما بعد :

فأعود بكم اليوم قروناً طويلة من الزمن ، رحلةً بعيدة في الزمان ،
ولكنني لن أبعد بكم في المكان ، بل سأقف بكم أمام قبة الصخرة في القدس
الشريف ، هذه البقعة المباركة كانت يوماً من الأيام عاصمة الأرض كلها ،
فيها الغنى والسلطان ، فيها الجمال والجلال ، وكانت الكلمة تخرج منها فلا
يردها شيء حتى تصل إلى أقصى المشرق وأبعد المغرب ، يوم كان هناك قصر

الملك ، وأي ملك كان يسكن تلك البقعة ، إنه أحد الأقوياء الأربعة الذين حكموا الأرض كلها قاصيها ودانيها . كان له بساط مركب من أخشاب يسع جميع ما يحتاج من البيوت المبنية والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمال والأثقال والرجال من الإنس والجان ، فإذا أراد سفراً أو متنزهاً أو قتال ملك من أي البلاد شاء ، حمل هذه الأمور المذكورة على البساط ، وأمر الريح فدخلت تحته فرفعته ، فإذا استقل بين السماء والأرض أمره فطار به ، فإذا أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع ما يكون فوضعتة في أي مكان شاء ، كان يرحل أول النهار من بيت المقدس فتغدو به الريح في ساعات ما تسير به الجمال مسيرة شهر ، ثم يرجع آخر النهار إلى القدس الشريف .

إنه النبي ابن النبي ، والرسول ابن الرسول ، والملك ابن الملك سيدنا سليمان بن داود أحد ذرية سيدنا يعقوب ، قولوا عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام .

إننا باختصار مع النبي والرسول العشرين في سلسلة النبوات والأنبياء ومع الحلقة الثامنة والأربعين من ملف القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة نرفع معاً شعار التوحيد .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب الله تعالى :
﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً ، وقالوا : الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين : وورث سليمان داود وقال : يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين﴾ / النمل : ١٦ .

معشر السادة الكرام

هذا هو خطاب العرش الذي ألقاه سيدنا سليمان عندما تولى سدة النبوة والملك والخلافة في الأرض عن أبيه سيدنا داود ، ولأول مرة في التاريخ نسمع عن ملك له جيش من جميع طبقات الخلق : الإنس والجن ، والطير والوحوش ، فقد كان الجن والإنس يمشون بركابه . والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره ، وأمام هذه الجيوش وفي مؤخرتها وزعة أي نقيب وعرفاء يردون أول الجيش على آخره فلا يتقدم أحد من موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخر .

إخوة الإيمان :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم بشاً حياً على الهواء مباشرة للعرض العسكري الذي أقامه القائد الأعلى للجيش السليمانية سيدنا سليمان داود :

﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾ (يدفعون) حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني (اجمعني كلي : جوارحي ومشاعري وخواطري ، اجمع طاقاتي كلها) ، أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ /النمل : ١٩/ .

إذا كان معرفة سليمان للغات الجن والطير والحيوان معجزة فالمعجزة الأعظم أن تعرف النملة أن هؤلاء سليمان وجنوده (وحدوا من لا يغفل ولا ينام) .

فلماذا يا ترى خرج بجنوده هؤلاء جميعاً ، وفي هذا اليوم بالذات ،
خرج هو وأصحابه يستسقون ، أتعرفون ماذا رأى سيدنا سليمان؟! لقد رأى
عجباً ، رأى غلة قائمة على رجلها باسطة يديها وهي تقول :

- اللهم أنا خلق من خلقك ، ولا غنى بنا عن فضلك .

فقال سيدنا سليمان : ارجعوا فقد سقيتم من أجل غلة ، وما إن أتم
كلامه حتى صب الله عليهم المطر .

أيها الإخوة الكرام .

وفي عرض آخر لجنوده قام القائد الأعلى للأمة السليمانية باستعراض
جيشه على عادته من جميع طبقات جنوده ففقد أحد قادة طيوره ، لم يحضر
الاجتماع الصباحي على ما يبدو ، فماذا حدث؟

اسمعوا هذا التفقد الذي ذكره مولانا على موجات سورة النمل :

﴿وتفقد الطير فقال : مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين﴾ /
النمل : ٢٠ / (يعني بغير إذن ، وحينئذ يتعين الحزم كي لا تكون فوضى ،
وسيدنا سليمان ليس ملكاً جباراً إنما هو نبي ، وانظروا إلى سمة النبي العادل
قال) : ﴿لأعذبه عذاباً شديداً ، أو لأؤذبحه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾
/النمل : ٢١ / (حجة قوية بين فيها عذره) .

أرايتم مثل هذه اليقظة والدقة والحزم ، لم يغفل عن غيبة جندي من
هذا الحشد الضخم من الجن والإنس والطير ، وإذا بالهدهد يأتي ويطلع
سيدنا سليمان عن وجود ملكة عظيمة في اليمن على رأسها امرأة تدعى
بلقيس ، رغم أن نبينا الأعظم صلى الله عليه وسلم يقول : (لن يفلح قوم ولّوا
أمرهم امرأة) (خ ٧٠٩٩) ، واسمعوا البيان القرآني يحدثنا عن الهدهد :

﴿فمكث غير بعيد فقال : أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبياً

یقین . (ما هو؟) : انی وجدت امرأة تملكهم وأوتیت من کل شیء ولها عرش عظیم . وجدتہا وقومہا یسجدون للشمس من دون اللہ وزین لهم الشیطان أعمالہم فصدهم عن السبیل فہم لا یہتدون ﴿ / النمل : ۲۴ .

هذا هو التقرير المفصل الذي قدمه الهدهد لسيدنا سليمان ، وكما يفعل كل حر شريف ، كل قائد لأية مجموعة يقدم له تقرير ، أراد أن يتأكد ، قال له : ﴿ سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴿ / النمل : ۲۸ .

وهكذا معشر السادة

صدر القرار الملكي إلى الهدهد ، فنفذه بحذافيره وسار من فلسطين إلى اليمن ، فوجد الملكة بلقيس في مجلس حكمها ، فألقى عليها رسالة الملك ، فنظرت فيها وراحت تقرأ الرسالة على أعضاء مجلس الملك :

﴿ قالت يا أيها الملأ اني ألقى إلي كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم : ألا تعلقو علي وأتوني مسلمين . قالت : يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون .

قالوا : نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين ﴿ / النمل : ۳۳ .

وراحت تفكر في نفسها : إن صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف ولا يخادع فارتأت رأياً أرشد من رأيهم :

﴿ قالت : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ، وإنني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ﴿ / النمل : ۳۵ .

هذا هو الرأي الذي تمخض عنها ، أن ترسل الهدايا والتحف ، والهدية تنفع مع ملوك الدنيا ، فإن لم يقبلها فهو أمر يتعلق بالاعتقاد ، وإذا تعلق الأمر

بالعقيدة فمعناه عدم المبالاة بالدنيا ، لأنها لم تعلم أن هذا الملك غير الملوك ، ملك لا تزن الدنيا عنده جناح بعوضه ، ملك مؤيد من ربه لا يقبل صرفاً ولا عدلاً لأنهم كافرون ، وهو وجنوده عليهم قادرون .

أيها الإخوة :

وسارت الجمال مُحَمَّلةً بالهدايا والتحف من اليمن مسيرة شهرين أو أكثر في موكب عظيم ذكره المفسرون ، فكيف كان ردُّ الملك على هذه الرشوة؟ إن سيدنا سليمان انتفض وغضب وقال لوزير الملكة بلقيس وسفيرها حينما دخلوا عليه بالهدايا :

﴿أتقدموني بمال (أتقدمون لي هذا العرض التافه الرخيص) ، فما أتاني الله خير مما أتاكم (أتاني العلم والنبوة وتسخير الجن والطير ، فما عاد شيء من عرض الدنيا يفرحني) بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع إليهم - أيها السفير - فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون﴾ / النمل : ٣٧ / (مهزومون) .

هذا هو القرار الحربي الذي أعلنه سيدنا سليمان على هذه المملكة ، وردَّ الهدايا والوفد الملكي المرافق لها إلى ديارهم ، فأخبروا ملكتهم بما شاهدوه من أمر هذا الملك العظيم ، وعظم مملكته وكثرة جنوده وأنهم لا طاقة لهم به ، فبادروا جميعاً إلى السمع والطاعة وأجابوه مباشرة في تلك الساعة ، وأقبلوا بصحبة ملكتهم بلقيس سامعين مطيعين .

أيها السادة

وبلغ سيدنا سليمان قدومهم عليه ووفودهم إليه فجمع حاشيته وقال لمن بين يديه ، ممن هو مسخر له من الإنس والجان ما ذكرته الموجات الإيمانية القرآنية .

﴿قال يا أيها الملأ أياكم يأتييني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك (قبل أن ينتهي مجلس حكمك) وإني عليه لقوي أمين . قال الذي عنده علم من الكتاب (وزير سليمان وابن خالته واسمه أصف كان يحفظ اسم الله الأعظم قال له بكل يقين وإيمان) أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ (هذا مخلوق فكيف بك بالخالق جل جلاله) ولم يتم كلامه حتى نبع العرش من الأرض بجوار عرش سليمان هذه هي الكرامة العظيمة التي دلت على حاشية الملك سليمان ، حاشيته أولياء لهم كرامات ، إذ أن الله استجاب له مباشرة .

هذه هي قدرة الله ظهرت على يد هذا العالم الرباني تقديراً وكرامة له ، أو قل هي ومعجزة لسيدنا سليمان لذلك استوجبت هذه النعمة شكر سيدنا سليمان الذي قال مباشرة : ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾ / النمل : ٤٠ .

وأعطى سليمان أمراً ﴿قال نكروا لها عرشها (غيروا صفات العرش جملوه بغير زينته لنختبر عقل الملكة) أتهدي أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ / النمل : ٤١ .

قالوا : إن هذه الملكة أمها جنية تزوجها أبوها فصارت تعرف كل شيء عن الجن ، فخاف جن سليمان أن يتزوج من هذه الملكة فتكشف له أمر الجن ، فراحوا يسيئون الكلام فيها ، فقالوا : إن رجلها كرجل الحمار ، وعلى ساقها شعر كشعر الرجال . فماذا فعل سيدنا سليمان؟

أقام لها بجوار عرشها صرحاً من زجاج صافٍ جداً وسيراً ضمنه الماء .
أيها الإخوة

تعالوا بنا نشهد خاتمة هذه الملكة التي خرجت من اليمن نحو فلسطين

السلبية (ردها الله سالمة) ، ودخلت ضمن موكب عظيم يليق بالملوك ، حتى إذا استأذنت بالدخول وأذن لها فوجئت بعرش آخر يشبه عرشها بجوار عرش سيدنا سليمان قال لها : ﴿أهكذا عرشك﴾ / النمل : ٤٢ .

فكانت ذكية فطنة وهي التي تركت عرشها في اليمن ، لكن قد يكون عند الملك سليمان قدرة للإتيان به فقالت ﴿كأنه هو﴾ هذا جواب سياسي ذكي محنك ، يدل على أن الملكة كانت في غاية الذكاء والحزم . وأمرها سيدنا سليمان أن تجلس على العرش ، فرأت الصرح فظنته ماءً فكشفت عن ساقبها ، فرد سيدنا سليمان نظره عنها وقال :

﴿إنه صرح مرمد من قوارير﴾ / النمل : ٤٤ / لا تخافي فإن عليه زجاجاً ، وهنا عرف سيدنا سليمان كذب الجن ، وعرض عليها الإسلام ووجوب الاعتقاد بالله ووحدانيته ، ورب الكون والشمس والقمر ، فإذا بها تسلم على يديه وانظروا إلى النهاية السعيدة قالت تائبة منيية؟ إلى الله تعالى :

﴿رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ / النمل : ٤٤ .

وهكذا - معشر السادة - تزوج سيدنا سليمان من السيدة بلقيس وأقرها على ملكتها في اليمن ، وكان يزورها في كل شهر مرة ، ويقيم عندها ثلاثة أيام على بساط الريح ذهاباً وإياباً ، وبنى لها قصوراً ثلاثة في اليمن مشهورة مباركة .

فما هي النعم العظيمة التي آتاها الله نبيه سيدنا سليمان ، أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله ، وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

وفاة سيدنا سليمان

- ٤٩ -

الحمد لله على جزيل نعمائه ، أحمده على جليل آلائه ، وأشكره
على جميل بلائه

وأشهد أن لا إله إلا هو شهادة أعدها ليوم لقائه .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد رسله وخاتم أنبيائه

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته
وأصفيائه ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

كنت قد علقت معكم سؤالاً في الجمعة الماضية حول النعم التي أتاناها
الله نبيه سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وأنا اليوم بعون
الملك المعبود أجيب عن هذا السؤال بإذن الله تعالى مع الحلقة التاسعة
والأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه
الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

أيها الإخوة الكرام

إن أعظم نعمة منّا الله تعالى على سيدنا سليمان نعمة النبوة والرسالة
ثم نعمة الملك ، هذا الملك الذي اتسعت رقعته حتى شمل أكثر الأرض ، وكثر
جنوده وتنوعوا حتى لم يكن لأحد قبله ولا يعطيه لأحد بعده مثل ما أوتيّه ،

وقد صرحت الآيات القرآنية بذلك على لسان نبي الله سليمان ، فعلى الموجات الإيمانية من سورة النمل ثم سورة ص : ١٦ ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ ، ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ / ص : ٣٥ .

وأتاه الله تعالى معرفة لغة الطيور والحيوانات ، وسخر له الريح تجري بأمره حيث أراد من أي البلاد على بساط الريح ، وسخر له الجن والشياطين يعملون بين يديه بإذن الله الواحد القهار ، لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته ومن خرج منهم عن أمره عذبه ونكل به الله عز وجل وسخر له النحاس ليصنع فيه ما يشاء ، واسمعوا إلى النعم هذه ذكرها رب العزة والجلال ممتناً بها على نبيه سيدنا سليمان ، قال تعالى :

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ عَاصِفَةٌ تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ، وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ / الأنبياء : ٨٢ .

وعلى موجات سورة ص :

﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ رِخَاءٍ حَيْثُ أَصَابَ ، وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍّ وَأَخْرَيْنَ مَقْرِنَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ﴾ / ص : ٣٦ - ٣٨ .

وعلى موجات سورة سبأ :

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ / النحاس : ١٢ .

أيها الإخوة الكرام

ومن أعظم النعم التي آتاها الله سيدنا سليمان بناؤه لمسجد بيت

المقدس حيث بناه ورفعہ بناء محکماً ، وكان أول من أوقفه مسجداً سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام ، وساعده على ذلك الإنس والجن معاً ولأول مرة نسمع أن الجن مع الإنس يبنون ، حتى أتم بناء المسجد بناءً جميلاً ، أقاموا فيه المحارب ، ورسموا اللوحات والحيوانات على الجدران (وكان ذلك جائزاً في شريعتهم) وصنعوا الأحواض المائية والقدور الثابتة ، وكان من كرم الله تبارك وتعالى أن سخر له النحاس لأنه كالماء يجري بين يديه واسمع معي الى الموجات العاملة في سورة سبأ تصرح بذلك :

﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محارب وثمانيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾ /سبأ : ١٣/ .

أيها الإخوة الكرام :

فمن المعلوم أن بين سيدنا إبراهيم باني المسجد الحرام وبين سليمان داود أزيد من ألف سنة دع أربعين سنة ، وكان سؤاله الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده بعد بناء البيت المقدس .

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأشهد مكان الاحتفال المهيب بافتتاح بيت المقدس ، هذا المعبد الذي أقيم في الأرض لعبادة الله تعالى وحده ، وأرى نبي الله سليمان ساجداً شاكراً لمولانا أن أكرمه الله ببناء بيته ، وهنا توجه إلى مولانا يدعوه ويسأله ثلاث دعوات :

فعن صلى الله عليه وسلم أنه :

قال : إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلافاً ثلاثاً فأعطاه اثنتين ، ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة : سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه .

وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه .

وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه ، يقول الحبيب الأعظم : « فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا إياها » (ن ٢ / ١٣٣٤ برقم ٦٩٣ - أحمد ١٧٦ / ٢ - حب ١٦٣٣ خزينة ١٣٣٤ - هـ ١٤٠٨ - صحيح) .

فهل حقق الله له هاتين الدعوتين - تعالوا - معشر الإخوة - ندخل قصر سيدنا سليمان إلى قاعة حكمه وقضائه فأني أرى على بابه قضيتين ، إننا هناك في قاعة الحكم وهي توج بقوم رفعوا أمرهم إلى الملك سليمان واسمعوا لي أن استعرض لكم موجبات القضية :

فقد هجمت غنم لقوم من بني إسرائيل على أرض زراعية فيها كروم العنب الممتدة فراحت تأكله الليل طوله ، فاختصم الجيران أصحاب الغنم مع أصحاب الأرض ورفعوا أمرهم إلى نبي الله داود فحكم سيدنا داود لأصحاب الكروم بقيمته . فلما خرجوا التقوا سيدنا سليمان فسألهم بما حكم بينكم نبي الله ، فقالوا : بقيمة الكروم . فقال لهم أما لو كنت أنا لما حكمت إلا بتسليم الغنم إلى أصحاب الكروم فيستغلونها نتاجاً ودراً (حلياً) حتى يصلح أصحاب الغنم كروم أولئك ويردوه إلى ما كان عليه ثم يتسلموا غنمهم فبلغ ذلك والده . فقال نعم القضاء والرأي ، ثم حكم لهم به .

وهذه النتيجة القضائية سطرتها الموجات الإيمانية من سورة الأنبياء . فقال رب العزة :

﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم (رعيته بالليل) وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾ / الأنبياء : ٧٩ .

وأما القضية الثانية فكانت بين امرأتين إحداهما أكبر من الأخرى ، وقد ولدت كل واحدة منهما ولداً حديثاً وقد عُرِضَت هذه القضية وتحدث بها من تحبون من أن تصلوا عليه ، فقد ثبت في الصحيحين عن سيدنا أبي هريرة أن نبينا الأعظم ﷺ قال :

بينما امرأتان معهما ابناهما إذ عدا الذئب فأخذ أحدهما ، فتنازعتا في الآخر ، فقالت الكبرى : إنما ذهب بابنك . فقالت الصغرى : بل ذهب بابنك . فتحاكما إلى سيدنا داود ، فحكم به للكبرى ، فخرجتا على سيدنا سليمان ، فقال : أتوني بالسكين أشقه نصفين لكل واحدة منكما نصفه ، فقالت الصغرى : يرحمك الله هو ابنها . فقضى به لها أي للصغرى ، لأنها خافت على ولدها .

ومما منَّ الله به على نبي الله سليمان : أنه تزوج ألف امرأة ، سبعمائة منهن حرائر وثلاثمئة جوار ، وكان يطيق من التمتع بالنساء أمراً عظيماً جداً ، واسمعوا معي إلى حبيبنا وقره أعيننا سيدنا محمد ﷺ يقول (ق) :

«قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة بمئة امرأة - أو تسع وتسعين - تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله ، قال الحبيب الأعظم : ونسي أن يقول إن شاء الله . قال فأطاف بهن (في ليلة واحدة) ، فما هي النتيجة اسمع إلى نبينا ﷺ يقول : فلم تلد منهم امرأة إلا واحدة (ولدت) نصف إنسان . ثم قال : «ولو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته . وفي رواية (ضعيفة) : والذي نفسي بيده لو استثنى فقال إن شاء الله لولد له ماقال فرسان ولجاهدوا في سبيل الله عز وجل . وهذه الحادثة سمّاها رب العزة فتنة . فقال عز من قائل :

﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ، قال : رب

اغفر لي﴾ / ص : ٣٤ - ٣٥ .

معشر السادة الكرام

مازلنا في تعداد النعم التي أنعمها الله تعالى على نبيه سليمان ، فمع كل مآتاه الله تعالى من الملك والجاه والسلطان ، مع كل هذه النعم قال له رب العزة :

﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ / ص : ٣٩ / هذا عطاؤنا فأعط من شئت وارفع من شئت فلا حساب عليك .

هذه هي المكانة العظمى التي بلغها نبي الله سليمان ، وإن له مكانة أعظم مما أوتي في الدنيا ، واسمعوا ماذا يقول مولانا :

﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ / ص : ٤٠ .

هذا هو شأن الرسل والملوك يتصرفون كيفما شاؤوا ، وأما العبد الرسول فلا يتصرف أي تصرف حتى يستأذن سيده ومولاه الله رب العالمين ، وقد خیر نبينا ﷺ بين هذين المقامين في المعراج ، سأله رب العزة : أتحب أن تكون نبياً ملكاً أم نبياً عبداً ، فالتفت إلى سيدنا جبريل فأشار إليه : أن تواضع . فاختار نبينا أن يكون عبداً رسولاً .

هذا النبي المصطفى ، هذا الحبيب المجتبي ، أتدرون ماذا كافأه الله على تواضعه ، إن رب العزة جعل الخلافة والملك من بعده في أمته إلى يوم القيامة ، كرامة لسيدهم سيدنا محمد ﷺ .

أيها السادة الكرام

بقي سيدنا سليمان ملكاً أربعين سنة ، كان ملك الموت يزوره خلالها فقال له سيدنا سليمان : ياملك الموت . قال لبيك . قال : إذا أردت أن تقبض روحي فأعلمني . فقال ملك الموت : ماأنا أعلم بذلك منك ، إنما هي كتب يلقي إليَّ فيها تسمية من يموت .

ومرة دخل ملك الموت (بهیئة إنسان) على سیدنا سلیمان وعنده رجل من حاشیته ، فنظر إلیه ملك الموت وتأمله بدهشة واستغراب ، فلما خرج من عند سلیمان قال الرجل لسیدنا سلیمان : من هذا یانبی الله ؟ فقال سیدنا سلیمان : هذا ملك الموت . فقال الرجل : والله یانبی الله ارتعدت فرائصی منه ومن نظراته تلك ، فمرُّ الريح تبعدنی عن هذا المكان فإنی أخاف أن تقبض روحي فیہ ، فأمر سلیمان الريح فحملته الى بلاد الهند فی لحظة واحدة ، فإذا بملك الموت یدخل ثانية على الملك فیسأله سیدنا سلیمان : لماذا كنت تنظر إلی جلیسی فلان بدهشة واستغراب . فقال ملك الموت : استغرب أن أجدہ عندك فی بیت المقدس وقد أمرنی مولای أن أقبض روحي فی الهند بعد لحظات (صحیح) .

﴿أینما تكونوا یدرکم الموت ولو كنتم فی بروج مشیة﴾ /

النساء : ۷۸ .

وكان نبی الله سلیمان یمكث الشهر والشهرین والسنة والسنتين فی بیت المقدس ، یدخل فیعتكف هناك ، ولا یجرؤ أحد أن یدخل علیه محرابه . فإذا دخل علیه شیطان ما أو جني احترق واندثر ، حتى دخل مرة ومعه عصاه ، فقام بین یدی مولانا فی محرابه یتعبد قائماً ، حتى تعب فتوكلأ على عصاه ، فجاءه ملك الموت فقبضه وهو قائم یصلي . وكان موته آية من آیات الله تعالى ، إذ أن الجن كانوا یدعون أنهم یعلمون الغیب فراحوا یعملون وهم ینظرون إلیه من الشبایك والكوى وهو قائم ولم یعلموا بموته ، فیقومون بعملهم بدون توان ولا تقصیر خوفاً من العقاب فبقي سیدنا سلیمان على تلك الحالة سنة كاملة ، قائماً متكئاً على عصاه ، فأرسل الله دودة الأرض تأكل من أسفل عصاه وداخلها ، حتى ضعفت العصا وثقل علیها فخر سیدنا سلیمان على الأرض ، فلما رأت الجن ذلك انفصوا وتفرقوا شذر مذر ، واسمع إلی البیان القرانی :

﴿ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ / سبأ : ١٤ .

وهكذا معشر السادة الكرام

تطوى صفحة مشرقة من صفحات الأنبياء ، فمن هو النبي الحادي والعشرين؟
أعلق هذا السؤال إلى مابعد شهر رمضان المبارك ، فإن رمضان معيار
لا يسع غيره .

وأعود بكم من هناك الى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد
الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله

سيدنا زكريا

وولده سيدنا يحيى

- ٥٠ -

الحمد لله الدائم بلا زوال ، القائم بعميم الفضل والنوال ، المتصرف في عباده وأنبيائه باختلاف الأحوال ، المتوحد بالعظمة والجلال ، المنفرد بالقدم والبقاء والكمال ، المتعالي عن الأشياء والأمثال ، لا إله إلا هو الكبير المتعال ، أحمدته حمداً يحفظ النعم عن الزوال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تبلغ قائلها نهاية الآمال .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله هادياً من الضلال ، وداعياً إلى أشرف الخلال ، ومرشداً إلى صالح الأعمال ، ومحذراً من الحجيم والنكال ومبشراً بالنعيم والظلال .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه خير صحب وآل ، وسلم تسليمًا ..

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

كنت قد علقت معكم سؤالاً قبل شهر رمضان المبارك عن القضايا الإيمانية في حياة النبي الثاني والعشرين من سلسلة الأنبياء والنبوات ، وها نحن اليوم نستفتح بحمد الله تعالى الأيام الأولى من شهر شوال المبارك لنقف معاً على أعتاب هذا النبي ، بل النبيين الشهيد اللذين قتلتهما أعداء الإنسانية اليهود ، ومنذ أن بدؤوا يقتلون أنبياءهم لم يتوقفوا عن القتل حتى هذه اللحظة .

إننا باختصار مع حفيدين من أحفاد سليمان وداود مع سيدنا زكريا وولده سيدنا يحيى الحضور في الحلقة الخمسين من سلسلة النفحات المنبرية في القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من سورة آل عمران :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهُمَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ / آل عمران : ٣٣ - ٣٥ .

معشر السادة الكرام :

آل عمران هم أسرة السيدة مريم ، وعمران هذا أبوها ، كان قبل وفاته صاحب صلاة بني إسرائيل وإمامهم في زمانه ، وكان في عهد نبي الله ورسوله سيدنا زكريا زوج أخت السيدة مريم .

وقبل أن ألج معكم إلى حياة هذا النبي الكريم أرى لزماً علي أن أتصفح معكم صفحاً رقيقاً الصفحة الأولى من ملف حياته ، فإن مولانا صدر الحديث عن حياته بالحديث عن مشاهد إيمانية جعلها مقدمة للحديث عن القضايا الإيمانية الخاصة به ، هذه المشاهد الإيمانية خاصة بحياة السيدة حنة والدة السيدة مريم إحدى عابدات بني إسرائيل ، وكانت امرأة عاقراً ، فرأت يوماً طائراً يطعم فرخاً له فاشتتهت الولد ، فنذرت وهي قائمة تتعبد ، نذرت لله إن هي حملت لتجعلن ولدها محرراً (حبيساً) في بيت المقدس ، وما إن أتمت دعاءها حتى استجاب الله لها فحاضت من فورها ، فلما طهرت واقعها

زوجها فحملت شاكراً لله تعالى هذا الإكرام العظيم ، لكنها فوجئت حينما وضعت أنها وضعتها أنثى ، والناس في ذلك الزمان يندرون لبيت المقدس الذكور من أولادهم ، لكنها وَفَّتْ بنذرهما الذي نذرت ، واستودعتها رب العزة وعوذتها من شر الشيطان الرجيم ، وإليكم البيان القرآني حول ذلك :

﴿فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ / آل عمران : ٣٦/ هكذا يجب على الأمهات أن يفعلن ، أتعرفون إذا فعلن ذلك ماذا تكون المكافأة من مولانا؟ ، اسمعوا المكافأة التشجيعية على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول لنا (ق) :

«ما من مولود إلا الشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إلا مريم وابنها» وفي رواية :

'اكل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان في حضنيه إلا ما كان من مريم وابنها ، ألم تر إلى الصبي حين يسقط كيف يصرخ . قالوا : بلى يا رسول الله قال : ذلك حين يلكزه الشيطان بحضنيه» .

أيها السادة

وشَبَّتْ السيدة مريم وسلمتها أمها إلى عباد بيت المقدس القائمين على خدمته ، لكنهم تنازعوا في كفالتها ، كُلُّ يريد أن يربيه ، فرفعوا أمرهم إلى نبي الله زكريا ، فطلب أن يكون هو المشرف على تربيتها باعتبار أنه زوج خالتها ، فطلبوا أن يقتروا قرعة ، فإلقوا أقلامهم ويأتي غلام فيلتقط قلماً فمن ظهر قلمه فهي له ، ففعلوا فخرج قلم سيدنا زكريا ، فضجوا ، وقالوا : بل نعيد الاقتراع فنرمي أقلامنا في النهر فأيهم جرى قلمه على عكس الأقلام فهو الكافل لها ، ففعلوا فكان قلم زكريا ، فكفلها هو إذ كان أحق بها شرعاً وقدرراً لوجوه عديدة ، وعلى الموجات الإيمانية من سورة آل عمران يقول عز من قائل :

﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ / آل عمران : ٤٤ .
وهكذا معشر السادة الكرام :

﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا﴾ / آل عمران : ٣٧ ، اسمعوا العجب العجائب :

﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ / آل عمران : ٣٧ .

هذه هي المتعبدة الناسكة الولية صاحبة الأحوال المرضية والصفات الشريفة ، قال المفسرون : كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ، أليس هو من عند الله!!؟

وهنا هاجت نفس نبي الله وكان قد أسن وكبر ، وهناك في المحراب وأمام هذه الآية العظيمة رفع سيدنا زكريا كفيه ونادى قائلاً : ﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾ . يا من يرزق مريم الثمر في غير أوانه هب لي ولداً وإن كان في غير أوانه ، وإليكم هذه الحالة النفسية مع المناجاة الإيمانية : ﴿رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين﴾ .

وعلى الموجات العاملة من سورة مريم : بسم الله الرحمن الرحيم
﴿كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، إذ نادى ربه نداء خفياً ، قال رب إنني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ، ولم أكن بدعائك رب شقياً ، وإنني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً﴾ / مريم : ١ - ٦ .

التجأ سيدنا زكريا للقادر المقتدر بهذه المناجاة الإيمانية الصادرة من قلب هذا النبي الرسول ، وفي محراب العبودية لله ، بالتجاء صادق للذي يقول للشيء كن فيكون ، فإذا بالنداء يأتيه من قبل الملائكة :

﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً﴾
/مريم : ٧/ ﴿إن الله يشرك بيحيى مصداقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين﴾ .

النبي يحيى (أي يعيش ويحيا) وما دام يعيش ويحيا فسوف يموت شهيداً ليبقى يحيا . ولكن كيف وما السبيل؟

رجل بلغ من العمر سبعاً وسبعين سنة ، وامراته عاقر ، كيف يتم ذلك!!؟

هذه هي القضية الإيمانية التي تربط قصة سيدنا يحيى وسيدنا عيسى ومن قبلهما السيدة مريم ، لذلك تعجب سيدنا زكريا من وجود ولد له وهو شيخ كبير وامراته على حالتها تلك ، اسمعوا الاستفهام :

قال ﴿رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً﴾ فقالت الملائكة له توحى إليه بأمر مولانا : ﴿كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾ /مريم : ٩/ .

واستجاب الله له ﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه (لماذا؟) إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ /الأنبياء : ٩٠/ . هذا هو السر لكل رجل لا ينبج أولاداً ، ليسمع الناس هذه النصيحة الغالية إذا أرادوا أولاداً الحل في ثلاثة أمور :

١- المسارعة في الخيرات . ٢- والدعاء في السر والعلانية .

٣- والخضوع لله تعالى والخشوع له جل جلاله .

فكيف قضى الله أمره؟

إن سيدنا زكريا سأل مولانا علامةً وآيةً على استجابة دعائه ، ف قيل له :
إن علامته أن يعتريك سكوت لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزاً ﴿فخرج على
قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرةً وعشيا﴾ / مريم : ١١ .

وأكرم الله سيدنا زكريا بولده يحيى ، وشبَّ وعلمه مولانا الكتاب
والحكمة وهو بعد ما زال في حال صباه ، قال له مرة أحد الصبيان : تعال بنا
نلعب ، فقال له : ما للعب خلقتنا .

ونشأ طاهراً مطهراً معصوماً زكياً براً بوالديه تقياً نقياً ، وسماه الله سيداً
وحصوراً (أي لا يأتي النساء) و نبياً من الصالحين . يلبس الشعر ويأكل
الشجر مخافة الذنب ، ويرد ماء الأنهار ويتغذى بالجراد في بعض الأحيان ،
وكان مع ذلك يقول : من أنعم منك يا يحيى؟

ومرة فقدّه أبوه فجعلوا يطلبونه ثلاثة أيام حتى وجدوه ، أتدرون أين؟
وجدوه قد حفر قبراً وجلس فيه وهو يبكي ودموعه قد بللت ثيابه . قالوا له :
نحن نطلبك منذ ثلاث وأنت هنا قائم تبكي . فقال لهم : يا أبت أأست
أنت أخبرتني أن بين الجنة والنار مفازة لا تقطع إلا بدموع البكّائين ، فجلسوا
جميعاً وقد أبكاهما كلام ولدهما .

وهذا هو معنى دعائه ﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة﴾ .

لكن سيدنا زكريا كان أشد في النصيحة من ولده على بني إسرائيل ،
وكان لا يسكت عن خطأ رآه منهم ، فاستمرّوا عليه يوماً ولحقوه ليقتلوه فهرب
منهم فدخل في شجرة فجاؤوا فوضعوا المنشار عليها ، فلما وصل المنشار إلى
أضلاعها راح يئن فأوحى إليه ربه : لئن لم يسكن أُنينك لأُقلبن الأرض ومن
عليها ، فسكت أُنينه حتى قطعه قطعتين . فقولوا لعن الله من قتله .

أيها السادة :

وورث يحيى والده سيدنا زكريا في النبوة والرسالة فعند الإمام أحمد رضي الله عنه عن نبينا صلى الله عليه وسلم : أن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بهن بني إسرائيل أن يعملوا بهن ، فجمع سيدنا يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم الله أن تعملوا بهن ، وأولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، فإن مثل ذلك مثل من اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلي غير سيده ، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك ، وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً .

وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه جرة من مسك في عصابة كل يوم يجد ريح المسك ، وإن رائحة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

وأمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشده يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه ، فقال أجعل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه .

وأمركم بذكر الله عز وجل كثيراً ، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن به وأتى العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل . (ت : ٢٨٦٣ ، ابن رعد في الطبقات ٤ / ٢ / ٧٦) (أبو يعلى ١٥٧١ - الطيالسي ٥٣ / ٢ - خ في التاريخ ٢ / ٢٦٠ - طب ٣٤٢٨ - ٣٤٣٠ - حب ٦٢٣٣ - أحمد ٤ / ١٥٣٠ حسن صحيح) .

معشر السادة :

ومرت الأيام والسنون حتى ملك بدمشق ملك من الملوك أراد أن يتزوج بامرأة جميلة من بعض محارمه لا يحل له تزوجها واستفتى سيدنا يحيى فنهاه عن ذلك ومنعه منه ، فإذا بالمرأة تجتمع بالملك وتغريه وتستوهب منه دم نبي الله سيدنا يحيى فوهبه لها فبعثت إليه من قتله فجيء برأسه ودمه في طست إليها فما إن وقعت عينها عليه حتى صرخت ووقعت ميتة من فورها وساعتها ، وخسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه .

وأخذ رأس سيدنا يحيى فدفن في الجامع الأموي بدمشق كما دفن سيدنا زكريا في حلب ، والله أعلم بصدق ذلك لكن المؤرخ الحافظ ابن عساكر يروي عن زيد بن واقد قال : رأيت رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أخرج من تحت ركن من أركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشرق فكانت البشرة والشعر على حاله لم يتغير . وكأنما قتل الساعة .

أيها السادة

ترك رب العزة لهذا النبي والرسول الكريم سلاماً يتلى أبد الدهر ﴿سلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ / مريم : ١٥ .

هذان هما الرسولان الثاني والعشرون والثالث والعشرون فمن هو النبي الرابع والعشرين؟

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك الى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .





ولادته ونشأته

- ٥١ -

الحمد لله رب العالمین الرحمن الرحیم ، مالک يوم الدين الذي أظهر الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعله نقطة في قرار مكين . ثم خلق النقطة علة سوداء للنظرين .

ثم خلق العلة مضغة وهي قطعة لحم بقدر أكلة الماضيين ، ثم خلق المضغة عظاماً مختلفة المقادير أساساً يقوم عليه هذا البناء المبين ، ثم كسا العظام لحماً حولها كالثوب للابسین ، ثم أنشأ خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه وحجته على عباده أرسله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين ، فهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم ، والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، وعلى أصحاب سيدنا محمد ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقندر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين ، وعجل فرجنا بحقهم وحق من

جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد

فيا أيها الإخوة :

علقت معكم سؤالاً في الجمعة الماضية حول حياة النبي الرابع والعشرين من سلسلة الأنبياء الذين ذكرهم رب العزة في كتابه ، وها نحن اليوم نستعرض معاً حياة نبي ورسول من الأنبياء الخمسة أولي العزم من الرسل . مع الحلقة الواحدة والخمسين من النفحات المنيرة في القضايا الإيمانية ، ومع بداية هذه الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من آيات الله أتلوها عليكم على الموجات الإيمانية العاملة من سورة آل عمران :

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ / آل عمران : ٤٣ .

أيها السادة : كنا قد تركنا السيدة مريم رضي الله عنها وقد تسلمها زوج خالتها سيدنا زكريا من والدتها ، فنشأها رضي الله عنها نشأة طهر وعفاف وبعد عن الآثام والمحرمات ، مكلوذة بعناية الله ، محروسة بحراسته ورعايته ، وكانت الملائكة تأتي إليها فتخبرها بمقامها السامي الرفيع عند الله ، تبشرها باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عصرها ، ولهذا اسمع إلى حبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ق) (خ ٣٤١٨) : «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران . . . » .

فكل من هاتين السيدتين الصديقتين الكريمتين قد كفلت نبياً في

حال صغره ، فأسية كفلت سيدنا موسى الكليم ، ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله سيدنا عيسى ، فلذلك كانتا خير نساء زمانهما بشهادة سيد الكائنات سيدنا محمد الذي قال لنا (ت وصححه) (وانظر : ق) :

«خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم» .

وهكذا نالت هذه السيدة المكانة العليا والوسام الأعظم لكثرة عبادتها وقنوتها وسجودها وركوعها ولتصبح أهلاً لهذه الكرامة ، بل قيل : إنها كانت تقوم في الصلاة حتى تفتطرت قدمها وتشققت من كثرة العبادة رضي الله عنها ، وما هي الآن قد بلغت مبلغ النساء وأصبحت في سن الثالثة عشرة من العمر .

أيها السادة الكرام : اسمحوا لي أنتقل بكم إلى بيت المقدس إلى فلسطين الأسيرة فك الله أسرها لأنقل لكم هذا الحدث الإيماني فإن كرامة عظيمة ستحصل لهذه السيدة ، كرامة لم تحصل من قبل لأحد من خلق الله ، فتعالوا معاً نضع رحالنا بطرف المسجد الأقصى اليوم ، أرى بعين الإيمان واليقين السيدة مريم تخرج من محرابها وتسير جهة شرقي بيت المقدس طلباً للراحة وترويحاً عن النفس ، في وقت كان قد ذاع صيتها في بني إسرائيل بطهرها وعفافها ، وقد نقل أهل الكتاب أن رجلاً يدعى يوسف النجار خطبها لنفسه لما عرف صلاحها وتقواها .

لكن يبدو أنها قد ابتعدت عن قومها وأهلها قليلاً ، فإذا بشاب وضيء الوجه ، بهي الطلعة ، مستوي الخلق يعترضها فجأة وهي مستغرقة بالذكر والدعاء ، ففرغت ، واضطربت وخافت على نفسها منه ، وارتابت في أمره

لأنه ظهر لها فجأة ، فجعلت تبتعد عنه وهي تخشى أن يهجم بها بسوء في مكان ليس فيه منقذ أو نصير . فاستجارت منه بالله تعالى ، وإليكم هذه الأنباء على الموجات العاملة من سورة السيدة مريم :

﴿واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾ / مريم : ٢١ .

وعلى موجات سورة آل عمران :

﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإن يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ / آل عمران : ٤٨ .

وقد ذكر المفسرون أن سيدنا جبريل نفخ في جيب درعها (صدرها) فنزلت النفخة إلى الرحم فحملت من فورها بقدرة الواحد الديان .

ولم لا ؟ أليس هو على كل شيء قدير؟ أليس هو الذي نجا موسى في التابوت ، أليس هو الذي نجى يونس في بطن الحوت ، أليس هو الذي نجى سيدنا محمداً بالعنكبوت؟ وحدوا مالك الملكوت .

أيها الإخوة

وحملت به تسعة أشهر كما تحمل أغلب النساء ، إذ لو كان خلاف

ذلك لذكره مولانا في كتابه ، فهو الذي يقول لنا :

﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً فناداها من تحتها (جبريل) ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً (نهرأ أو ساقية) وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾
/مريم : ٢٦/ .

أرأيتم - أيها الإخوة - ترتيب الآيات فحملته ، فانتبذت به . . .
فأجاءها المخاض : فقد عطف مولانا بالفاء وهي تدل على التعقيب فإن الصحيح أن تعقيب كل شيء بحسبه ، ألم تر إلى قوله تعالى : فخلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة ، فخلقنا المضغة عظماً ، فكسونا العظام لحماً ثم أنشأنه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين .

عطف بالفاء بين كل مرحلة ومرحلة ، ومعلوم أن بين كل مرحلتين أربعين يوماً كما ثبت في الحديث المتفق عليه .
وعلى كل حال :

فقد ظهرت علامات الحمل على السيدة مريم ، وأول من فطن لذلك خطيبها وكان من الصالحين (قلت لكم يدعى يوسف النجار وكان ابن خالها) جعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وهو مع ذلك يراها حبلى وليس لها زوج ، فعرض لها ذات يوم في الكلام ، واسمعوا هذه المحاوره اللطيفة المؤدبة الرقيقة قال لها :

- يا مريم هل يكون زرع من غير بذر؟

قالت : نعم ، فمن خلق الزرع الأول .

قال : فهل يكون شجر من غير ماء؟

قالت : نعم فمن خلق الشجر الأول

قال : فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت : نعم إن الله خلق آدم من غير ذكر وأنثى .

قال لها : فأخبريني خبرك . فقالت : إن الله بشرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم .

فعرف أنها بريئة وأن الحمل الذي بها إنما هو بمشيئة الله وإرادته الحكيمة .

أيها السادة الكرام :

وأتت السيدة مريم أيام حملها في بيت المقدس في بيت لحم ، وما هي إلا أن ولدت وطهرت حتى خرجت بولدها وهي تحمله .

إنني أنقل لكم هذه الأنباء الإيمانية من قرون عدة وكأنها أمامنا .

﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً . فأشارت إليه . قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صبياً ، قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت ، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ، وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً ، والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت وأبعث حياً . ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . وإن الله ربّي وربكم فاعبدوه

هذا صراط مستقيم» / مريم : ٢٧ - ٣٦ .

هذه هي الكلمات الأولى التي أنطق الله بها نبيه ورسوله ، إنها الدليل الساطع على أنه عبد الله ورسوله ، ولكن بني إسرائيل اختلفوا اختلافاً شديداً في شأنه وشأن أمه . بل إن بعضهم اتهم السيدة مريم بالزنا وحاولوا أن ينالوها وابنها بالأذى فتركت بيت المقدس وتوجهت إلى هنا ، إلى دمشق الشام ، دمشق الإيمان مهد الأنبياء والرسل الكرام ، واسمع معي إلى قول مولانا ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ / المؤمنون : ٥٠ / قال جدي ابن عباس : هي في دمشق .

أيها السادة :

«وشب النبي الفتى ووضعته والدته في الكتاب ليتعلم القراءة والكتابة ، وبدأت تظهر على الفتى علامات النبوة ، ونرى أمه تعود به إلى فلسطين بعد ثلاث عشرة سنة ، وبدأت علامات النبوة تظهر على يديه بإبراء الأكمه والأبرص والعلم بالغيب مما يدخره الناس في بيوتهم ، وصار يأتي بالعجائب .

وجدته أمه مرة يجادل علماء بني إسرائيل في بيت لحم ويحاججهم ويصحح أخطاءهم ، فخافت عليه منهم ، وعادت به إلى البيت .

وزار مرة مع والدته رجلاً يعتني بالفقراء والمساكين والعاجزين والعميان والمقعدين ، وإذا به يسمع أن هذا الرجل قد افتقد مالا في داره فلم يدر من أخذه . فلما رأى نبي الله عيسى ذلك عمد إلى رجل أعمى وآخر مقعد فقال للأعمى : احمل هذا المقعد وانهض به . فقال لا أستطيع ذلك . فقال بلى قد فعلت أنت والمقعد وأنتما اللذان أخذتما المال من تلك النافذة ، فإذا

بالرجلين يعترفان بذلك ويتوبان على يديه .

وعَظَّمَ سيدنا عيسى في أعين الناس وهو بعد ما زال فتى ، وبدأ ينطقه رب العزة بالحكمة والبيان حتى بعثه الله نبياً ورسولاً ﷺ ، وأنزل عليه الإنجيل في ثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

وإليكُم أوائل هذه الكلمات التي أوحى الله بها إلى رسوله سيدنا عيسى ، قال له :

يا عيسى جدُّ في أمري ولا تهن ، واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول ، إنك من غير فحل ، وأنا خلقتك آية للعالمين ، إياي فاعبد ، وعلي فتوكل ، خذ الكتاب بقوة ، فسر لأهل السريانية ، بلغ من بين يديك أني أنا الحق الحي القائم الذي لا أزول ، صدقوا النبي الأمي العربي صاحب الجمل والتاج - العمامة - والمدرعة والنعلين والهراوة (القضيب) الأنجل العينين ، الصلت الجبين ، الواضح الخدين ، الجعد الرأس ، الكث اللحية ، المقرون الحاجبين ، الأقنى الأنف ، المفلج الثنايا (مقدمة أسنانه) ، البادي العنفقة ، الذي كأن عنقه إبريق فضة ، وكأن الذهب يجري في تراقيه ، عرقه في وجهه كاللؤلؤ ، وريح المسك ينفح منه ، ولم ير قبله ولا بعده مثله . وله عندي منزلة ليست لأحد من البشر ، كلامه القرآن ، ودينه الإسلام ، وأنا السلام ، طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه . أرفعك إلي يا عيسى ثم أهبطك في آخر الزمان لترى من أمة ذلك النبي العجائب ولتعينهم على قتال اللعين الدجال .

قال : يا رب أنبئني عن هذه الأمة المرحومة .

قال رب العزة : أمة أحمد ، هم علماء حكماء كأنهم أنبياء ، يرضون

مني بالقليل من العطاء ، وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله .

﴿يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس (قويتك بجبريل) تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني﴾ ، ﴿وإذ تخرج الموتى بإذني ...﴾ / المائدة : ١١٠ / .

وهكذا بدأت مرحلة جديدة من مراحل النبي الرسول ، مرحلة تعامل مع قوم المكر والخديعة ، كيف جابهوه ، بماذا اتهموه؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى ، وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



تذكر عزيزي الموحّد

- أن الرسول الثامن عشر هو سيدنا إلياس .
- أن الرسول التاسع عشر هو سيدنا اليسع .
- أن الرسول العشرين هو سيدنا داود .
- استلم سيدنا داود الملك من طالوت وتزوج ابنته .
- سيدنا سليمان هو ابن سيدنا داود .
- من معجزات سيدنا داود :
 - ١- جمال صوته بالزبور .
 - ٢- تسبيح الجبال والطير معه .
 - ٣- ألان الله له الحديد .
 - ٤- آتاه الله فضل الخطاب وهو قوله : أما بعد .
 - ٥- توفي ساجداً لله تعالى .
- من معجزات سيدنا سليمان :
 - ١- آتاه الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده .
 - ٢- علمه لغة الحيوان والطير .
 - ٣- سخر له الجن يعملون بأمره .
 - ٤- آتاه الريح غدوها شهر ورواحها شهر .
 - ٥- توفي واقفاً مستنداً على عصاه .
 - ٦- ومن أعماله : تجديد بناء بيت المقدس .
- الرسول الحادي والعشرون هو سيدنا سليمان .
- الرسول الثاني والعشرون هو سيدنا زكريا .
- الرسول الثالث والعشرون هو سيدنا يحيى .
- الرسول الرابع والعشرون هو سيدنا عيسى .

معجزات سيدنا عيسى فخيرات سيدنا عيسى

- ٥٢ -

الحمد لله الذي فضل بعض النبيين على بعض ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات وبعث سيدنا عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات .

واتخذ سيدنا محمداً حبيباً وشفيعاً ورفعته إلى ما فوق سبع سموات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تنزه عن الوزير والنظير والمشير في سائر الحالات .

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أزاح بنوره ظلم الجهالات وجعل الصلاة عليه تحية عقد الآمال والأعمال الصالحات .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم السيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، وعلى أصحاب سيدنا محمد ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وأنزلهم عندك في مقعد صدق يا ملكنا المقتدر ، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعله رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليماً .

أما بعد :

فقد بدأت حياة الرسالة والنبوة للسيد المسيح منذ أن نزل عليه الوحي في سن الأربعين وقيل : قبل ذلك بسبع سنين . أرسله الله إلى أخبث أهل الأرض وأشدّهم شراً على خلق الله . أرسله إلى اليهود الذين انحرفوا وتمردوا

وطغوا على شريعة سيدنا موسى ، فتلاعبوا بالتوراة وحرفوها وبدلوها ، فأرسل الله إليهم سيدنا عيسى ليدلهم إلى الجادة ويصحح لهم الشريعة ويحل بعض ما حرم الله عليهم في شريعة موسى بسبب بغيتهم وعدوانهم ، وقد بين مولانا المهمة التي أرسل من أجلها سيدنا عيسى فقال :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ومصدقاً لما بين يديّ من التوراة ولأحلّ لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون﴾ / آل عمران : ٥٠ .

كان هذا هو موجز الأنباء واليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الثانية والخمسين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها السادة :

وكما هي عادة الله في رسله فقد أيدهم بمعجزات كثيرة تدل على صدقهم لأن كل معجزة جاء بها نبي مرسل مُنزلةٌ منزلةٌ قول الله تعالى : صدق عبدي في كل ما يبلغ عني) .

وجاءهم بمعجزات كثيرة تحدث عن بعضها القرآن الكريم ، جاءهم بمثل ما اشتهروا به وهو الطب وشفاء المرضى وإبراء الأعمى والأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى ، ويصنع من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله تعالى .

وقد جاءت الآيات تبين هذه المعجزات التي لا تدل على ألوهيته بل تدل على صدق نبوته ودعوته ، واسمحوا لي أن أنقلها لكم على الموجات الإيمانية من سورة المائدة :

﴿إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ،
إذ أيدتك بروح القدس (سيدنا جبريل) تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ
علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . وإذ تخلق من الطين كهية
الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني ، وتبرئ الأكمه ، والأبرص
بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني﴾ /المائدة : ١١٠ .

وعلى الموجات العاملة من سورة آل عمران يقول :

﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم
إن كنتم مؤمنين﴾ /آل عمران : ٤٩ .

هذه هي المعجزات التي أيدَ فيها سيدنا عيسى تصديقاً له ، فقد بعث
في زمن الحكماء والأطباء وجاءهم بما يعجزون عنه ، فأنى لحكيم إبراء
الأكمه الذي هو أسوأ حالاً من الأعمى ، والأبرص والمجنون ومن به مرض
مزمن ، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره؟ فكلها
معجزات دالة على صدق من جاء بها وعلى قدرة من أرسله .

معشر السادة الكرام :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم بعض الأحداث
الإيمانية التي أجراها مولانا على يدي عبده ورسوله سيدنا عيسى عليه
الصلاة والسلام .

فقد روي عن وهب قال : خرج سيدنا عيسى يسبح في الأرض
فصاحبه يهودي ، وكان مع ذلك اليهودي رغيفان ومع سيدنا عيسى رغيف
واحد ، فقال له سيدنا عيسى : تشاركني في طعامك ، فقال اليهودي نعم .
فإذا باليهودي يرى أنه ليس مع سيدنا عيسى إلا رغيف واحد فنده على أن
وافق على مشاركة سيدنا عيسى . فماذا فعل ؟

قام سيدنا عيسى إلى الصلاة ، فإذا باليهودي يأكل رغيفاً خلسة عن سيدنا عيسى ، فلما قضى صلاته قدما طعامهما . فقال لصاحبه : أين الرغيف الثالث؟ فقال : ما كان إلا رغيفاً واحداً ، فأكل كل واحد منهما رغيفه ، ثم انطلقا فلقيا أعمى ، فقال له : أرأيت إن عاجلتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره؟ قال : نعم ، فمس عيسى بصره فردّه الله له ، (فإذا بالأعمى يبصر بإذن الله تعالى) . ثم التفت سيدنا عيسى إلى اليهودي وقال : بالذي أراك الأعمى بصيراً كم كان معك من الخبز . فقال : والله ما كان معي إلا رغيف واحد . فسكت سيدنا عيسى .

ومرا على مقعد فقال سيدنا عيسى أرأيت إن عاجلتك فعافاك الله فهل تشكره؟ قال : نعم . قال : فدعا الله تعالى له فإذا هو قائم على رجله بإذن الله تعالى . فقال اليهودي : ما رأيت مثل هذا قط . فقال له سيدنا عيسى : أسألك الذي أراك الأعمى مبصراً والمقعد صحيحاً كم رغيفاً كان معك؟ فقال اليهودي : ما هو إلا رغيف واحد .

وانطلق الركب فأتيا على نهر عجاج . فقال عيسى : خذ بزناري من ورائي وضع قدمك على موضع قدمي ، ففعل فمشيا على الماء حتى الشط الثاني ، فقال سيدنا عيسى أسألك بالذي أراك هذه الآية أن تخبرني أين الرغيف الثالث؟ فقال : والله ما كان معي إلا رغيف واحد . فسكت سيدنا عيسى عنه . ثم انطلق فإذا هما بظباء ترعى ، فدعا سيدنا عيسى ظبياً فقدم الظبي إلى نبي الله ، فذبحه وشوى منه بعضه وأكله ، ثم وضع سيدنا عيسى بقية الظبي وعظامه في جلده ثم ضربه بعصاه وقال له : قم بإذن الله ، فإذا بالحياة ترد إلى الظبي ويعدو بإذن الله تعالى . فقال لليهودي : بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر؟ فقال اليهودي : ما كان إلا رغيفاً واحداً .

ثم دخلا قرية نزل سيدنا عيسى في أسنانيا واليهودي في أعلاها ،

فأخذ اليهودي عصا سيدنا عيسى وقال في نفسه : أنا الآن أبرئ المرضى وأحيي الموتى . وكان رئيس القرية مريضاً ، وقد خرج أعوانه يبتغون طبيباً ، فرأوا اليهودي ينادي : من يريد طبيباً ماهراً ؟ فقبل له إن رئيس القرية قد أعيا الأطباء فقال : أدخلوني عليه . فأخذوه ، وما إن دخل اليهودي على رئيس القرية وهو في الفراش حتى رفع عصاه وضربه بها وقال : قم بإذن الله فمات بإذن الله .

وقامت قائمة أعوان رئيس القرية وأخذوه ليصلبوه على خشبات ، وهم يقولون اقتلوه قتل رئيس القرية ، فإذا بسيدنا عيسى يمر فيراه ، فيناديه اليهودي : أنقذني يا عيسى . فقال لهم سيدنا عيسى : أرايتم إن أحييته لكم هل تتركون لي صاحبي ؟ قالوا : نعم ، فدعا سيدنا عيسى الله تعالى ثم ضرب رئيس القرية بعصاه فقام حياً بإذن الله تعالى .

وأنزلوا اليهودي من على الخشبة ، فأقبل على سيدنا عيسى يُقبلُ يديه ويقول له : والله لا أفارقك أبداً . فقال له سيدنا عيسى : أنشدك بالذي أحيا الرجل بعد ما مات ، وأنزلك من على الجذع بعدما صلبك كم رغيفاً كان معك . فقال اليهودي : والله ما كان معي إلا رغيف واحد .

فانطلقا حتى أتيا على منطقة بجوار الجبل فإذا السيل قد انشق عن ثلاث لبنات من ذهب . فقال اليهودي : لمن هذه اللبنات ؟ فقال : واحدة لي وواحدة لك وواحدة لمن أكل الرغيف الثالث . فقال : أنا الذي أكل الرغيف الثالث ، وهنا تركه سيدنا عيسى وهو يقول لليهودي هي لك كلها .

وهكذا معشر السادة : تتوالى الآيات والمعجزات والبراهين والحجج الواضحات على بني إسرائيل ، فمنهم من آمن وأكثرهم استمروا على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم ، وفي ساعة من ساعات أنصاره وحواريه وأعوانه جرت محاورة ظهر نتيجتها على يدي نبي الله عيسى

معجزة ، من المعجزات العظيمة التي لم نسمع مثلها من قبل ، أعرضها على حضراتكم على الموجات الإيمانية من سورة المائدة ﴿١١٥﴾ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ، قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا آية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ، قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴿١١٦﴾ / المائدة : ١١١ - ١١٥ .

ونظر الحواريون إلى السماء فإذا بمائدة تنزل من السماء بين غمامتين وجعلت تدنو قليلاً قليلاً حتى استقرت بين يدي نبي الله عيسى ، وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول : بسم الله خير الرازقين . فإذا عليها سبعة من الأسماك وسبعة أرغفة ولها رائحة عظيمة جداً صنع الله الذي أتقن كل شيء ، الذي يقول للشيء كن فيكون .

وأمرهم بالتقدم ليأكلوا ، فقالوا : لا نأكل حتى نأكل . قال : بل يأكل من سألها ، فخافوا أن يتقدموا منها ، وقالوا : أمن طعام الدنيا هي ، أم من طعام الجنة فقال نبي الله عيسى : ليس شيء مما ترون طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شيء خلقه الله بقدرته العالية . ثم دعا الفقراء والمرضى والزمنى وكانوا قريباً من ألف وثلاثمائة فأكلوا منها ، وكل واحد أكل منها برئ وشفي من كل مرض كان فيه . وبقيت تنزل يومياً وأمر الله سيدنا عيسى ألا يقربها إلا الفقراء ، فشق ذلك على الأغنياء والمنافقين منهم وصاروا يشككون الناس فيها رغم أنهم أمروا ألا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا منها لحد ، فحانوا وادخروا فمسخهم مولانا قردة وخنازير ، صاروا ينطلقون إلى أهليهم وهم يطردونهم ، وصار سيدنا عيسى يناديهم بأسمائهم فيهبون رؤوسهم وهم لا يقدرُونَ على

الكلام ، فعاشوا ثلاثة أيام ثم أهلكهم الله تعالى .

معشر السادة :

واستمر سيدنا عيسى ببني إسرائيل يدعوهم إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكان يزهدهم في الدنيا لأنهم يعبدون الذهب والفضة ويموتون في سبيلها ، خرج عليهم يوماً فقال لهم :

السلام عليكم يا بني إسرائيل أنا الذي أنزلت الدنيا منزلتها بإذن الله ولا عجب ولا فخر ، أتدرون أين بيتي قالوا أين بيتك يا روح الله؟ قال : بيتي المساجد ، وطيبى الماء وإدامى الجوع ، وسراجى القمر بالليل ، وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس ، وريحاني بقول الأرض ، ولباسي الصوف ، وشعاري خريف رب العزة ، وجلوسي في الزمنى والمساكين ، أصبح وليس لي شيء ، وأمسى وليس لي شيء ، وأنا طيب النفس غير مكترث ، فمن أغنى مني وأريح . قال له مرة سيدنا يحيى : يا بن الخالة مالي أراك ضاحكاً كأنك قد أمنت؟ فقال سيدنا عيسى : مالي أراك عابساً كأنك قد يئست . فأوحى الله إليهما : إن أحبكما إليّ أبشكما بصاحبه .

وتوجه إلى الحواريين فقال لهم : كلوا خبز الشعير واشربوا الماء القراح واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين ، بحق ما أقول لكم إن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة ، وإن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، وإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين اعبروا الدنيا ولا تعمروها ، حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والنظر يزرع في القلب الشهوة ورب شهوة أورثت أهلها حزناً طويلاً ، طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله ، اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم .

من تعلم وعلم وعمل دعي عظيماً في ملكوت السموات . ولا خير في

علم لا يعبر معك الوادي ، لا تحدثوا باحكم غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، والأمور ثلاثة :

أمر تبين رشد فاتبعوه ، وأمر تبين غي فاجتنبوه ، وأمر اختلف عليكم فيه فردوا علمه إلى الله عز وجل ، ثم توجه بالسؤال إلى الحواريين قائلاً : أتعلمون من أشد الناس فتنه ، أشدهم زلة العالم ، فإن العالم إذا زل يزل بزلته عالم كثير ، يا علماء السوء جعلتم الدنيا على رؤوسكم ، والآخرة تحت أقدامكم ، قولكم شفاء وعملكم داء ، مثلكم مثل شجرة الدقني نباتها مر تعجب من رآها وتقتل من أكلها ، إن شر الناس عند الله علمه يطلب الدنيا بعلمه .

أيها الأخوة :

كان هذا هو فحوى قوله تعالى لنبي الله عيسى : ﴿ وَإِذْ عَلِمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ / المائدة : ١١٠ .

فماذا كان جواب قومه على هذه المعجزات وهذه الحكم وتلك المواعظ ، كيف أشرك أصحابه وادَّعوا أنه ابن الإله ، ولماذا؟ هل صلب سيدنا عيسى كما ادَّعوا؟ ما هي العقيدة الصحيحة في ذلك؟

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى ، وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا . هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

* * *

العقيدة المسيحية

في سيدنا عيسى . ٣ .

- ٥٣ -

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته ، وتوحد بجماله جبروته ، وتعزز
بعلو أحديته ، وتقدس بسمو صمديته ، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل
نظير ، وتنزه في صفاته عن كل تناه وتصوير .
فسبحانه من عزيز لا حد يناله ، ولا حد يحتاله ، ولا أمد يحصره ،
ولا أحد ينصره ولا ولد يشفعه ، ولا عدو يجمعه ، ولا مكان يمسه ، ولا
زمان يدركه ، ولا فهم يقدره ، ولا وهم يصوره .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده وهزم
الأحزاب وحده

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده المصطفى وأمينه المجتبي ورسوله
المبعوث إلى كافة الورى ، قال لنا : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى
بن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله ، فقولوا عبد الله ورسوله (خ ٦٨٢٩ - م
١٦٩١) (ت ١٤٣٢ - د ٤٤١٨ - أحمد ١ / ٢٣ - ٢٤ - ٢٧ - ٥٥) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله مصابيح الدجى
وأصحابه مفاتيح الهدى وسلم تسليماً .

أما بعد : فإلى أين أذهب بكم اليوم ، فرحلتنا اليوم لها مذاق خاص ، لأننا سنطرح القضية الكبرى في التوحيد وهي قضية الوجدانية رداً على من عدد الآلهة فجعلها آلهة ثلاثة ثم ادعى أنها إله واحد .

سوف أعرض على حضراتكم هذه القضية من خلال زيارتنا الأخيرة لسيدنا عيسى بن مريم ، بعد أن بقينا نستعرض قضايا التوحيد الكلية من خلال استعراض حياة الأنبياء والرسل الكرام الأربع والعشرين نبياً ، وقد صرحت الآيات الكريمة بهذه القضايا في أكثر من سورة ، بل قلما خلت سورة من كتاب مولانا من قضية توحيدية .

إننا باختصار مع الحلقة الأخيرة من حياة السيد المسيح في الحلقة الثالثة والخمسين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من كتاب الله المجيد :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة ، كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾ / المائدة : ٧٥ .

أيها السادة الكرام :

رغم كل المعجزات التي أجراها الله على يدي عبده ورسوله سيدنا عيسى تأييداً لرسالاته وتصديقاً لنبوته ، فإن السيد المسيح لاقى من اليهود تعنتاً واستكباراً وأهوالاً وشدائد ، وخاصة من كُتاب الشريعة اليهود ، وكهنتهم الذين يخدمون المعبد والهيكل ، لأنه جادلهم وأظهر كذبهم ، وأثبت أنهم حرفوا شريعة موسى وتوراته ، حتى ضاقوا به ذرعاً وأجمعوا على

التخلص منه ، بل سعوا به لدى الحاكم الروماني وأوغروا صدره وزينوا له أنه يسعى لتقويض الحكم الروماني ، فأصدر أمره الظالم بقتله ، فاختفى سيدنا عيسى عن أعين الرقباء وأوحى مولانا إليه :

﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك (بالنوم على الصحيح المقطوع به) ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ / آل عمران : ٥٥ .

ودخل السيد المسيح إلى القدس على حمار فتلقيه أصحابه فحدثهم بمحنته (وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين) ، فقال : إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن أمن بي ، ثم قال : أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي ، فقام شاب من أحدثهم سناً ، فقال : أنا ، فقال له : اجلس ، ثم أعاد عليهم ذلك فقام الشاب فقال : أنا . فقال : أنت هو ذاك . فألقي عليه شبه سيدنا عيسى ، وحضرت الشرط من اليهود فأخذوا الفتى ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن أمن به ، وافترقوا ثلاث فرق ، فقالت طائفة : كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية . وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه ، وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون ، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوهما ، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله سيدنا محمداً ﷺ .

وقال الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى : إن المصلوب أنزل بعد سبعة أيام ، وأن السيدة مريم ظنت أنه ابنها فطلبت من أم سيدنا يحيى أن تذهب معها لزيارة قبر المسيح ، فذهبتا فلما دتتا من القبر ، قالت السيدة مريم

لأم يحيى : ألا تستترين . قالت : ممن أستتر؟ فقالت : من هذا الرجل الذي هو عند القبر ، فقالت أم يحيى : إني لا أرى أحداً .

فرجت السيدة مريم أن يكون الواقف سيدنا جبريل ، وكان قد بعد عهدها به فاستوقفت أم سيدنا يحيى وذهبت نحو القبر ، فلما دنت من القبر قال لها سيدنا جبريل ، وقد عرفته : يا مريم . . أين تريدين ؟ فقالت أزور قبر المسيح فأسلم عليه وأحدث به عهداً . فقال : يا مريم إن هذا ليس المسيح ، إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا ، ولكن هذا الفتى الذي ألقى شبهه عليه وصلب وقتل مكانه ، وعلامة ذلك أن أهله قد فقدوه فلا يدرون ما فعل به فهم ييكون عليه ، فإذا كان يوم كذا وكذا فأت غيضة (حديقة) كذا وكذا فإنك تلقين المسيح .

إخوة الإيمان :

فرحت السيدة مريم فرحاً شديداً ، فلما كان ذلك اليوم ذهبت إلى الغيضة ، فرأت ولدها السيد المسيح فاسرع وأكب عليها فقبل رأسها ، وجعل يدعو لها كما كان يفعل ، وقال : يا أمي . . إن القوم لم يقتلوني ، ولكن الله رفعني إليه وأذن لي في لقاءك ، ثم قال لها : والموت يأتيك قريباً فاصبري واذكري الله كثيراً ، ثم رفع سيدنا عيسى فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت بعد خمس سنين ولها ثلاث وخمسون سنة فقولوا رضي الله عنها وأرضاها .
ويكفيها فخراً أنها زوجة سيدنا محمد (ﷺ) في الآخرة .

أيها السادة الكرام :

أريدكم أن تنتهوا إلى قضيتين إيمانيتين تتعلقان بحياة السيد المسيح ورفعه إلى السموات .

القضية الأولى : مسألة صلب السيد المسيح التي تزعمها النصارى .

القضية الثانية : ألوهيته المزعومة . فلماذا هاتان القضيتان؟

لأن النصارى يقولون : إن السيد المسيح صُلب ليخلص بني آدم من ذنوبهم وخطاياهم ، فما قصة هذا الفداء الذي يزعمون ، وهل هذا صحيح؟ وهل يتفق مع العدالة الإلهية والمنطق السليم؟ ما هو ذنب سيدنا عيسى حتى يصلب ليكون كفارة عن ذنوب الخلائق؟ وهل من العدل أن نؤاخذ الإنسان بجريرة غيره؟ إذا ارتكب إنسان ما جريمة قتل ، فما ذنب أخيه حتى نؤاخذنه ونعاقبه على جريمة ارتكبها غيره؟

إن الحكم الرباني صريح كل الصراحة : ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ / النجم : ٣٨ / ، ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ / المدثر : ٣٨ / . فإذا علمنا أن النصارى يقولون : «بأن من لم يؤمن بمسألة الصلب هذه لا ينفعه إيمانه ولا ينفعه عمل صالح» ، إذا علمنا هذا أدركنا إلى أي مدى ذهبوا في ترك المنطق السليم .

بل إنهم وجدوا لعقيدتهم هذه أصلاً ، فقالوا : إن آدم وهو أول كل البشر قد عصى الله تعالى بالأكل من الشجرة التي نهاه مولانا عن الأكل منها ، فصار خاطئاً ، وصار جميع ذريته منخطئين مستحقين للعقاب في الآخرة بالهلاك الأبدي ، وأبناء آدم يحملون وزر ذنوبهم ووزر ذنب أبيهم . ثم يتابع النصارى أقوالهم البعيدة عن العقل السليم فيقولون : (ولما كان من صفات الإله : العدل والرحمة ، فمن عدله ألا يترك الجريمة دون عقاب وإلا لم يكن عادلاً ، ولهذا شاء الله أن يحل ابنه الذي هو بنفسه (الله) في رحم امرأة من ذرية آدم ، ويتجسد جنيناً في رحمها ويولد منها ، فيكون ولدها إنساناً كاملاً من حيث إنه ابن لتلك المرأة ، وإلهاً من حيث إنه ابن الله ، ويكون معصوماً من جميع المعاصي ، ثم بعد أن يعيش كما يعيش الناس ،

ويأكل كما يأكلون ويشرب مما يشربون يأتي أعداء الله وأعداء شريعته فيقتلونه شر قتله ، وهي أن يصلبوه ويسمّروا يديه ورجليه في الخشب ، ثم يقتلوه بعد أن يلطموه على وجهه ويسخروا منه ، ويضفروا له إكليلاً من الشوك ويبصقوا في وجهه ، كل ذلك ليفدي البشر من جريمة لم يقتربها هو ولا بنو البشر . . .

أيها السادة الكرام

اسمعوا الغريب واسمعوا العجيب

الغريب جداً أن قولهم هذا يخالف ما في كتابهم المقدس عندهم حين يقول : (لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل) .

هذا كتابهم ينطق عليهم بالحق ﴿ولكن الكافرين بأيّات الله يجهّدون﴾ ولقد شك الحواريون كما شك اليهود في أمر السيد المسيح ، واختلفوا فيه اختلافاً كبيراً ، فمن هو المصلوب يا ترى؟

أهو عيسى المسيح أم ذلك الشاب؟ بل ذهب فرقة أخرى أنه يهوذا الإسخريوطي ، وهو الذي دلّهم على مكانه ، فلما ألقى الله شبهه على الشاب ورفع سيدنا عيسى إلى السماء دخل اليهود فلم يجدوا غير إنسان واحد فقالوا : إذا كان هذا عيسى فأين صاحبنا ، وإذا كان هذا صاحبنا فأين عيسى ، فأخذوه وصلبوه ، وانتقم الله من الواشي واختنق وقتل نفسه .

وقد ردّ القرآن الكريم على اليهود والنصارى ، وذكر العقيدة الحقّة التي يدين بها المسلمون ، فعلى الموجات الإيمانية من سورة النساء :

﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ، وقولهم إنا قتلنا المسيح

عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً / النساء : ١٥٨ .

والأغرب والأعجب في أمر النصارى أنهم مع اعتقادهم بصلب السيد المسيح فهم يعتقدون بالوهيته أو بأنه ابن إله .

بالله عليكم معشر الاخوة - إذا صلب الإله كيف يكون شأن الخلق؟ ولن يا ترى ترك تدبير العالم بعد أن صلب؟

ثم إن اليهود أنفسهم اضطربوا فيه وادعوا أنه ابن زنى ، قالوا : لا بد للولد أن يكون له أب ، والمسيح ليس له أب ، فلا بد أن يكون ابن زنى .
والنصارى ادعوا أنه ابن الله لأنه خلق من روح الله ، وروح الله جزء من الإله فلا بد أن يكون ابن الله .

والفريقان نسبا إلى الله عملاً حيوانياً ينتمى إلى أحط وظائف الحيوان وهو الجنس ، وهذا لا يمكن أن ننسبه إلى الله على نحو ما يردده النصارى .

تعالوا معي - معشر السادة - نتأمل في كتاب الله تعالى : القرآن الكريم ، «وهو الحكم الفصل ليس بالهزل من قال به عدل ، ومن عمل به هدي إلى صراط مستقيم» .

إن مولانا ذكر عقائد النصارى مفصلة ، وردّها بقوة وحكم على أصحابها بالكفر ، فكيف ذلك؟ إن القرآن بين أن فرقهم ثلاثة :

منهم : من يعتقد بأن المسيح هو ابن الله لأنه خلق من روحه .

ومنهم : من يعتقد بأن المسيح نفسه هو الله ، تجسم وتجسد في صورة

يسوع ، نزل إلى الأرض ليخلص الناس من آثامهم .

ومنهم : من يعتقد بعقيدة التثليث (الأقانيم الثلاثة) : الأب والابن وروح القدس ، وأن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة .

ويتساءل المرء : كيف يكون عيسى إلهاً مع أنه خرج من رحم امرأة ، وولد كبقية الناس؟ كيف يكون إلهاً مع أنه كان يأكل ويشرب وينام ويتألم ويتعب ويحتاج إلى بيت الخلاء .

ولذلك ردَّ القرآن الكريم عليهم الباطل والضلال ، وبين الكفر والشرك فقال جل ثناؤه :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ، انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ / النساء : ١٧١ .

وعلى موجات سورة المائدة :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ / المائدة : ١٧ .
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ / المائدة : ٧٣ .

معشر السادة

إذا كان اليهود والنصارى يعجبون من أمر سيدنا عيسى لأنه ولد بدون أب فأمر سيدنا آدم أعجب ، لأنه بدون أب وبدون أم ، فالذي خلق سيدنا آدم من تراب وقال له : كن فيكون هو الذي خلق عيسى بدون أب وهو الله جل جلاله انتقاد على كل شيء . ومن أجل ذلك ضرب القرآن الكريم المثل بسيدنا

آدم فقال : ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾ / آل عمران : ٥٩ .

تلك هي عقيدتنا نحن المسلمين في موضوع السيد المسيح عقيدة صحيحة خالية من الانحراف ومن الزيغ والباطل .

أيها الإخوة

لم تنته مهمة السيد المسيح عليه الصلاة والسلام بعد ، وسينزل إلى الأرض ليتم رسالته ويبلغ دعوته ، اسمع إلى حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (أحمد : متواتر) :

«ينزل عيسى بن مريم ، فيقتل الدجال ، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية»

وسيحكم بشريعة القرآن ، فلا يقبل إلا الإسلام . وهذا بالضبط هو المراد في قوله تعالى ﴿وإنه لعلمٌ للساعة وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ / الزخرف : / أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة .

فهنيئاً لكم - معشر المسلمين - ويا أمة سيدنا محمد (ﷺ) بهذه العقيدة ، هنيئاً لكم يا من جئتم لتجددوا العهد مع الله ، وتقولوا لا إله إلا الله فما جئنا إلا لنعلن وحدانية الله ونقول لا إله إلا الله ، ما الذي جاء بكم؟ أسمعوني بربكم ، ارفعوا أصواتكم بالتوحيد ، جددوا إيمانكم وقولوا لا إله إلا الله ، قال (ﷺ) يوماً لأصحابه : جددوا إيمانكم ، فقالوا : كيف يا رسول الله نجدد إيماننا؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله محمد

رسول الله (ض) .

ويقول ﷺ :

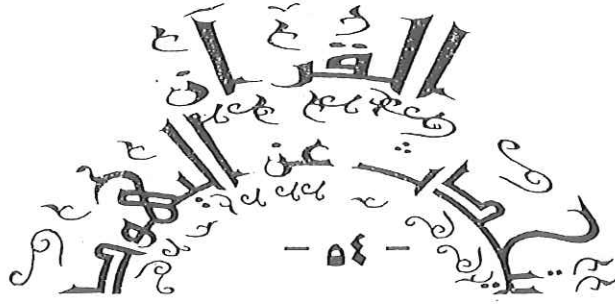
«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ، ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء» (خ ٣٤٣٥- والزيادة : م) .

وعن علي بن شداد قال : حدثني أبي شداد بن أوس رضي الله عنه ، وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال : كنا عند النبي ﷺ فقال : «هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب . وقلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب . وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، فرفعنا أيدينا ساعة ثم قال : الحمد لله ، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ، ووعدتني عليها الجنة وأنت لا تخلف الميعاد ثم قال :

أبشروا فإن الله قد غفر لكم» (الترغيب والترهيب بإسناد حسن) .

وأنا أنقل لكم هذه البشرى قوموا فقد غفر الله لكم

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



الحمد لله معز الإسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور
بأمره ومزيد النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذي قدر الأيام دولاً
بعده وجعل العاقبة للمتقين بفضله .

أحمدته سبحانه وتعالى وأشكره على إظفاره وإظهاره وإعرازه لأوليائه
ونصرة أنصاره .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد ، الذي
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد :

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرة أعيننا سيدنا
محمداً عبده ورسوله داحض الشرك ورافض الإفك .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد
وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا
المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين ، وعجل فرجنا بحقهم وحق من
جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً .

أما بعد : فيأيتها الإخوة الكرام :

أقف اليوم بينكم لأكشف حقيقة هامة حقيقة يحاول قتل الأنبياء في هذه الأيام أن يخفوها عن العالم تحت شعار أنهم شعب الله المختار ، إنهم اليهود الذين يحاولون اليوم بكل ما أوتوا من قوة وتحت هدير الجرافات التي تجرف تراب الأرض المقدسة لتقيم المستوطنات على أرضنا الحبيبة ، تحت شعار تأسيس مملكة يهودية ، فهل يستطيع اليهود ذلك؟ سأحاول اليوم بإذن الله تعالى أن أجيب عن هذا السؤال ، بعد أن بقينا طيلة حلقات متسلسلة بلغ عددها الكثير منذ الحديث عن أبي بني إسرائيل وهو سيدنا يعقوب وإلى خاتمهم سيدنا عيسى قولوا عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام .

أظهر لكم اليوم مدى الهاوية التي وصلت إليها هذه الشرذمة الوسخة حتى تحولت إلى ما هو أخطر من الحيوانات ، أرى لزماً عليّ أن أكشفهم وأعريهم على حقيقتهم لنحذرهم أشد الحذر ، أقول هذا الكلام في وقت تدافع فيه أمريكا وأوروبا عن اليهود ، ويتركونهم يعيشون في الأرض فساداً بل ويمدونهم بالعتاد والسلاح ليقوموا دولتهم المزعومة تحت شعار السلام ، وأي سلام؟! بالمؤتمرات التي تنعقد لتنفض ، وتنفض لتنعقد ، تمهل هؤلاء حتى ينتهوا من عملهم ولا يبق على الساحة من يدافع عن السلام إلا دولة السلام سورية الحبيبة .

أيها الإخوة :

منذ قرون طويلة واليهود يعدّون للحظة سرية غايتها الاستيلاء على العالم أجمع ، ليحكم ملكٌ من نسل داود يعيد الملك إلى بني إسرائيل وينخضع الشعوب كلها لليهود ، ويكون مقر الحكومة اليهودية في القدس ، التي يسمونها (أورشليم) ، إنني اليوم أفتح لكم ملف اليهود مع الحلقة

/٥٤/ من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية وفي بداية حلقتنا هذه أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

وخير ما نستهل به حلقتنا تلاوة عطرة من سورة بني إسرائيل .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنَّ في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتيهوا ، عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا ، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ /الإسراء : ٨/ .

أيها السادة الكرام : كل نعمة يُنعمها رب العزة على العبد فلا يتلقاها بالشكر والعرفان وتسخيرها بالطاعة وفعل الخير سوف تكون نقمة عليه واستدراجاً له ، بل وسبباً في العذاب الأليم فكم نذكر من دول وحكام وملوك أصبحوا أسياداً وقواداً للعالم ثم تحولوا إلى سباع ضارية آكلة للحوم البشر وهاتكة لأعراض النساء وربما ادعت هذه الملوك والحكام مع طول الفترة أنهم آلهة يُعبدون مع الله ، أو أنهم آلهة من دون الله كما فعل فرعون والنمرود من قبل ، وقد أتى الله بني إسرائيل القوة والبنين والأموال ، فاسمعوا معي إلى عنصرية اليهود اسمعوا إلى دعواهم الفاسدة :

إنهم يقولون إن الناس كلهم خلقوا - باستثناء اليهود - من نطفة حصان وخلقهم الله على هيئة إنسان ليكونوا لاثقين لخدمة اليهود ، اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم لأنهم شعب الله المختار .

هذه هي هرطقتهم!! هذه دعواهم!! فماذا يقولون عن بني الإنسان وكيف ينظرون إليهم؟

إن اليهود ينظرون إلى الناس نظرة احتقار وازدراء ويصفونهم بالكلاب ، وأن بيوتهم زرائب حيوانات ، إذن لا تستغربوا قتل إخواننا الفلسطينيين في الماضي واليوم والمستقبل ، لأن اليهود نصُّوا في كتبهم أن الذي يقتل أجنبياً يكافؤ بالخلود في الفردوس - قولوا لعنهم الله .

على أن العالم كله يعرف حقيقة هؤلاء القتلة السفاكين المتحللين من كل فضيلة ، لأن كلمة الأخلاق غير موجودة في حياتهم ، غير معروفة لديهم فالزنى بغير اليهود مثلاً سواء أكانوا ذكوراً يعني لواطاً أم إناثاً مباح عندهم ، المرأة اليهودية المتزوجة لا يحق لها أن تشكو زوجها إذا زنى على فراشها ، واللواط عندهم مباح مع الزوجة ، إنهم شياطين الأمم وخنازيرها بل وكلابها ، المرأة عندهم كقطعة لحم اشتروها من الجزار واليهودي الحق في أكلها مطبوخة أو مشوية أو مقطعة ، لا أخلاق ، لا فضيلة ، بل وحشية وقسوة على غير بني اليهود ، والدليل عندي وتحت يدي أنقله لكم بعد أن توحدوا الله تعالى .

أيها السادة : يُعز عليّ أن أنقلكم إلى أحد أعياد اليهود ، فاسمحو لي أن أسلط عليهم الأشعة الكاشفة من بعيد على هذا العيد ، فليهود عيدان مقدسان لا تتم الفرحة فيهما إلا بتناول الفطير ، وأي فطير؟! إنه ليس فطيراً عادياً كما نأكله مع السبانخ أو الجبن ، إنه فطير ممزوج من بشيء خاص مميز

هذا الشيء هو الدماء البشرية؟! .

كان هذا هو الموجز وإليكم الأنباء بالتفصيل .

أيها السادة : سنّ لنا الإسلام في عيد الأضحى ذبح الحيوانات من الأنعام الإبل والبقر والغنم ، وما دام بنو الإنسان من غير اليهود هم حيوانات في نظر اليهود فإنهم في شهرين من كل سنة ، وبالتحديد في مثل شهر كرم هذا أي في آذار ونيسان ، يقوم اليهود بما يسمى بالعيد ، في أذار عيد البوريم ، وما أدراك ما عيد البوريم؟! تنتقى ذبائح هذا العيد من شبان غير اليهود يذبحون الشاب ويأخذون دمه ويجففونه على شكل ذرات تمزج بعجين الفطائر ، أمّا في نيسان في (عيد الفصح) فتكون الذبائح عادة من الأولاد الصغار ، الأولاد الذين لا تزيد أعمارهم على ٥ - ٨ سنوات هل أدركتم المأساة التي فيها إخواننا في فلسطين؟ هل رأيتم أعداء الإسلام والسلام إليكم الطامة الكبرى في تفصيل هذه المأساة :

يؤخذ الدم بإحدى طريقتين الأولى بواسطة البرميل الإبري ، وهو عبارة عن برميل يتسع لجسم الضحية ، يثبت على جميع جوانبه إبر حادة ، تغرز في جسم الضحية عند وضعها في البرميل ، وعندما توضع الضحية في البرميل يسيل دمها ببطء من كل جزء من أجزاء الجسم مقرونة بالعذاب الشديد الذي يعود باللذة على اليهود الذين ينتشون برؤية الدم ينفذ من ضحيتهم ويسيل من أسفل البرميل إلى إناء معد لجمعه!!! قولوا لعنهم الله .

وهل هناك أبشع من هذه الجريمة النكراء بحق البشرية؟! إنني لن أتحدث عن بيوت الدعارة التي يديرها هؤلاء اليهود ، ولا عن سعيهم في الأرض فساداً ، لكنني أستغرب حين أرى إنساناً يخلقه الله ويرزقه ويجعل له قوة في

الأرض ثم يتهم خالقه وربّه بالتقصير في حقّه وعدم إرادة الخير له ، نعم إن اليهود لم يكتفوا باتخاذ شريك لله ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله﴾ /التوبة : ٣٠/ بل راحوا يكذبون على مولانا ، اسمعوا البيان الإلهي القطعي ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة - الله بخيل - غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا﴾ /المائدة : ٦٤/ ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت - الربا-﴾ /المائدة : ٤٢/ ﴿ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ /البقرة : ٧٤/ ، فهل سينجح هؤلاء القساء البغاة في تأسيس مملكتهم اليهودية؟! .

أيها السادة :

لو كنا في القرن الأول الهجري وقمت فيكم خطيباً لأجبت وقتها وقلت لكم فوراً : لا ، لن يستطيع اليهود إقامة مملكة لسببين :
الأول لان الله قضى منذ القديم عليهم بالذلة والمهانة في هذه الحياة فلا تقوم لهم دولة .

والثاني : قضى الله عليهم بالتمزق في الأرض ، قال تعالى : ﴿وقطعناهم في الأرض أمماً﴾ /الأعراف : ١٦٨/ «متفرقين» أما اليوم وبعد /١٤/ قرناً وقد تحققت أمارات الساعة الصغرى والوسطى ، وربما أوشكت الأمارات الكبرى على الظهور ، فإنني أقول لكم إنه سوف تؤسس دولة لليهود في فلسطين ، وربما تقولون هذا موجود فعلاً اليوم . لكنني أقول لكم إن هذه الدولة حدث عنها سيد الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أنقل لكم هذا الكلام عن الصادق المصدوق الذي نفديه بأرواحنا ونصلي عليه بالسنتنا ، قال لنا :

«كيف أنتم إذا قاتلتهم اليهود أنتم شرقي نهر الأردن وهم غربيه»

وسیقتل زعیمهم ورئیسهم الدجال عند باب اللد شرقي بیت المقدس ، وقد صدرت لكم حدیثی بآیات بنی اسرائیل التي تشير إلى بناء هذه الدولة ، فربُّ العزة یقول : ﴿وقضینا إلى بنی اسرائیل فی الكتاب لتفسدن فی الأرض مرتین﴾ /الإسراء : ٤/ قدرنا وقضینا إلى بنی اسرائیل فی الكتاب : أي فی اللوح المحفوظ أو القرآن .

لَتُفْسَدُنَّ : واللام لام الاستقبال ، تعنی أن الفساد سیحصل فی المستقبل ، ﴿لتفسدن فی الأرض مرتین ولتعلن علواً کبیراً﴾ /الإسراء : ٤/ فمولانا تحدث عن الفساد مرتین وتحدث عن العلو مرة واحدة ، أو كأنما أراد مرة واحدة ، فماذا سیفعل الله بهم عندما یفسدون فی الأرض المرة الأولى ؟

﴿فإذا جاء وعد أولاهما (موعد الفساد الأول) بعثنا علیکم عباداً لنا أولی بأس شدید﴾ /الإسراء : ٥/ ولا حظوا الكلمة ﴿عباداً لنا﴾ انظروا هذا تشریف ، ولكننی حينما رجعت إلى كتب التفسیر وجدت أن المفسرین یقولون فی ﴿عباداً لنا﴾ الرومان والکلدانیین لكن هذا بعید ، لأنهم كانوا من الوثنیین ومحال أن یضيف الله إليه هؤلاء ، لأن المتبع لآیات القرآن یجد أن كلمة العبودیة إذا أضيفت إلى الله فهي فی موضع التشریف :

﴿وعباد الرحمن﴾ /الفرقان : ٦٣/ تشریف أم لا؟ هذا تشریف ﴿إن عبادی لیس لك علیهم سلطان﴾ تشریف وأعظم وصف كان لسیدنا محمد صلی الله علیه وسلم ﴿سبحان الذی أسرى بعبده﴾ /الإسراء : ١/ ، فقول مولانا ﴿عباداً لنا أولی بأس شدید﴾ هم أصحاب سیدنا رسول الله اللهم صل علیه وآله وسلم ، الذین جاسوا فی بنی قینقاع وبنی النضیر فی المدینة ، ثم فی خیبر ، وقضوا على نفوذ اليهود السیاسی والاقتصادی ، قال تعالی ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾ /الإسراء : ٥/ وانتهی هذا النفوذ والقرآن ما زال ینزل ، انتهى سلطان

اليهود في الجزيرة زمن من تحبون أن تصلوا عليه وزمن أصحابه الكرام .
قال تعالى ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ /الإسراء : ٦/ رددنا الكرة
على أحفاد الذين جاسوا خلال الديار ، علينا نحن المسلمين ، هذا القرآن
يتلى لا شك فيه ولا ريب ، مولانا يخاطب المسلمين أن اليهود سيكون لهم
صولة وسلطة ودولة . (اعرف عدوك)
والسياسيون يعرفون أن الدولة تحتاج إلى ثلاثة أركان لأجل أن تكون
دولة : ١- أرض ٢- شعب ٣- اقتصاد .

وقد استولى اليهود بوعد بلفور على الأرض المقدسة أول هذا القرن
ونفذوه في منتصفه ، فأين الشعب والمال؟ اسمعوا إلى رب العزة يقول :
﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ /الإسراء : ٦/ أكثر شعباً
ومحاربة لعدوكم ، دولة اليهود اليوم تقوم على التبرعات أو الأموال ، وتأتيهم
من أمريكا وألمانيا وأذنا بهما ، ولم يمدَّ اليهود بالتبرعات خلال القرون الماضية ،
لم يمدَّ اليهود بالتبرعات خلال التاريخ القديم أبداً ، الله يقول ﴿وأمددناكم
بأموال وبنين﴾ من كل أنحاء العالم ، اسمعوا الآيات على موجات سورة
الإسراء نفسها ﴿وقلنا من بعده - من بعد موسى - لبني إسرائيل اسكنوا
الأرض﴾ /الإسراء : ١٠٤/ ﴿وقطعناهم﴾ (١) في الأرض أمماً /الأعراف :
١٦٨/ ، ﴿فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً﴾ جئنا بكم ملتفين
جماعات جماعات إلى فلسطين . (قولوا الله أكبر)

اليهود اليوم يأتون إلى فلسطين من كل دول الدنيا ، العام الماضي /
٢٠٠٠/ ألف يهودي من روسيا ، ومن أرض الحبشة جاء ، ومن أمريكا جاء
والمستوطنات تبني وتسكن ، وما يدرون أن الله ينفذ حكمهم فيهم ، هو الذي
(١) - وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً .

يأتي بهم إلى القدس ليقتلوا بيد المسلمين ، فاستبشروا بالنصر الأكيد ، كل من يأتي إلى فلسطين من اليهود سيذبح ، ولو أصبحت له قوة مالية وعسكرية ، الله يقول لليهود ﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ أكثر قوة عسكرية ، لأن النفير هو نفير الحرب : طائرات حاملات طائرات صواريخ بواخر أساطيل ، قوة أمريكا وألمانيا و ٢٨ دولة من ورائهما وهذا وصف دقيق موجود بالقرآن منذ ١٤ / قرناً ، وصف وصفه الذي يعلم السر وأخفى والسؤال هو : لم هذه القوة العسكرية؟ لم هذا المدد العظيم؟ لقد أتت الآيات متتابعة : ﴿إن أحسنتم «بهذه القوة واتخذتموها في الخير» أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم «باتخاذها في الشر» فلها﴾ واليهود لم يحسنوا : قتلوا الأطفال والنساء وقتلوا الرجال ، وحرقوا الأقصى ، والأقصى عند الله عظيم ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ ، «ليدمر المسلمون دولة اليهود وعلوهم وقوتهم» ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوزل وجوهكم﴾ لتصبح وجوههم سيئة ذليلة (وليدخلوا) يعني المسلمين المسجد كما دخلوه أول مرة) فهل يدخل المسلمون المسجد الأقصى؟

هذا سؤال أدع جوابه اليوم لأيام قليلة قادمة لتصدقوا وليزداد الذين آمنوا إيماناً أن قوة أمريكا وآلاًفاً مؤلفة من وراء أمريكا من المشرق والمغرب ليس فقط إسرائيل بل الآلاف من دول الإحاد والكفر لن تصمد ولا لحظة واحدة أمام قوة الله رب العالمين ، اسمعوا البشارة من رب العزة يقول : ﴿وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة﴾ المعركة معركة مسجد وبن غوريون كان يقول : «لا معنى لدولة إسرائيل بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل ، والهيكل موجود تحت المسجد» لذلك اليهود اليوم يعملون لتقويض المسجد ، وأشهد الله تعالى أنهم لن يفلحوا إذن أبداً ، لأن الله يقول (وليدخلوا

المسجد) نفس المسجد سندخله نحن بإذن الله ولن يفلح اليهود اليوم بتقويض المسجد الأقصى ، لأنه إذا هدم فلا مسجد والله يقول (سيدخنون المسجد) وهذه بشارة وإشارة والله عز وجل كفيل بتحقيقها ، فقل من قلبك الله أكبر .

والآن المسلمون في حالة يأس من حكام الدنيا ، يئسوا من الحكام ومن الملوك ومن مجلس الأمن ، ومن كل قوة على وجه الأرض ، ويئسوا منهم أن يردوا القدس وفلسطين ، أغلقت جميع الأبواب الآن ، مادمننا كذلك فأبشركم أنها علامة الفرج ، نعم علامة على الفرج ، عجيب أمن اليأس يأتي الفرج ؟ نعم ، اسمعوا الى مولانا يقول : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم كذبوا جاءهم نصرنا ﴾ / يوسف : ١١٠ / وهو الذي قال : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ / الصافات : ١٧١ - ١٧٣ / والربانيون بدؤوا على الأرض الآن ، الربانية تعني أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وإذا كنت قائداً أن تتقرب إلى الله أبداً ، فلا بد للرباني أن يكون مع الله لأن الأمور كلها بيد الله ، لم يبق لنا إلا الله أن نلجأ إليه ، لن نلجأ إلى أمريكا ولا إلى روسيا ولا إلى الوسائل المادية ولا العسكرية بل إلى الله تعالى .

فاللهم إليك نشكو ضعف قوتنا ، وقلة حيلتنا ، وهواننا على الناس إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي ، نعوذ بنور وجهك الذي أنارت عليه الدنيا والآخرة من أن تنزل علينا غضبك ، أو يحل علينا سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



الجزء الخامس والعشرون وهو خاتم الأنبياء والمرسلين
سيدنا ومولانا محمد ﷺ (١)
آبائهم - أجدادهم - ولادتهم

- ٥٥ -

الحمد لله الذي خلق الخليقة وأعمالها ، وردّها بنور الهداية عن الغواية وأمالها ، وأمدّها بالعناية الربانية فقَصَرَ أمالها . أحمدّه حمد من احتسى من النعم زلالها واكتسى سربالها .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تثبت بها الأقدام إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان ما لها .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله والجاهلية تشرع ضلالها ، فلم يزل تراجع جدالها ويضيق مجالها ، ويعرف خيلها ورجالها حتى عرفت مرامها ، وعافت الدنيا إذ عرفت زوالها .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما خالفت الجنوب في الهبوب شمالها ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فيا أيها الإخوة :

نحن اليوم ننزل ضيوفاً على من ؟

على أي نبي كريم وسيد عظيم ؟

إننا ننزل ضيوفاً على أول خلق الله نوراً ، وإمام النبيين طراً ، الطاهر المطهر الذي قال لنا : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع» (م : ٢٢٧٨) .

نبي قال لنا : « أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً . وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون » (م : ٥٣٣) .

نحن اليوم في حضرة نبي قال عنه أصحابه : ما شممنا عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من رسول الله ﷺ ، إننا نقف اليوم إجلالاً واحتراماً وتقديراً وتعظيماً لنبي خصه الله بثلاثين اسماً من أسمائه :

فهو الأكرم والأمين والأول والآخر ، والبشير والنذير والجبار والخبير والحق وذو القوة ، والرؤوف والرحيم ، والشهيد والكريم ، والشكور والمبين ، والصادق والعظيم ، العفو والمولى والولي والعالم والعزيز والفتاح والهادي والمؤمن والمهيمن والمقدس والنور ، وطه ويسن .

إنه سيدنا ومولانا محمد ﷺ . الذي قال عنه ذاته إن لي أسماء : « أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الحاشر (الذي يحشر الناس على قدميه) وأنا الماحي (الذي يمحو الله به الكفر) وأنا العاقب لاني بعدني » (م : ٢٣٥٤) ، «وهو نبي الرحمة ونبي التوبة» (م : ٢٣٥٥) .

خُصَّ نَبِيُّنا بِعَشْرَةِ خِصَالٍ	لَمْ يَحْتَلَمْ قَطُّ وَلَا لَهُ ظَلال .
الأَرْضُ ما يَخْرُجُ مِنْهُ تَبَلُّعٌ	كَذلِكَ الذُّبابُ عَنْهُ مَمْتَنَعٌ
تَنَامُ عَيْنَاهُ وَقَلْبُهُ لَا يَنَامُ	يَرى مِنْ خَلْفِهِ كَمَا يَرى أَمَامُ
تَعْرِفُهُ الدَّوابُّ حِينَ يَرْكَبُ	تَأْتِي إِلَيْهِ سُرْعَةً لَا تَهْرُبُ
عَلَا جُلُوسُهُ جُلُوسُ الْجُلُوسِ	صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ صَبْحاً وَمَسَاءً

أيها السادة :

إننا باختصار مع النبي الخامس والعشرين من سلسلة الأنبياء

والنبوات ، وبالضبط مع الحلقة الخامسة والخمسين من سلسلة القضايا اليمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد عالياً .

لا إله إلا الله سيدنا ومولانا محمد رسول الله

أيها الإخوة :

وقبل أن أفتح معكم ملف حياة نبينا الأعظم أقف معكم وقفة التأمل المتفحص عن الفترة الواقعة بين سيدنا عيسى وبين سيدنا محمد ﷺ ، هذه الفترة التي يصرح فيها نبينا أنه لم يكن فيها نبي . فهو القائل : (أنا أولى الناس بابن مريم ، الأنبياء أولاد علات (ضرائر) ، ليس بيني - وبينه نبي) م : ٢٣٦٥) وسيكون هذا الحديث مقدّمة بين يدي الحديث عن آبائه ﷺ وحكمهم في الشريعة وأصول الدين .

أيها الإخوة :

هذه الفترة تقدر بـ /٥٧٠/ سنة تسمى فترة الرسل ، وفيها يتطرق تغير وتحريف إلى الشرائع لتقادم العهد واختلاط الحق بالباطل ، والصدق بالكذب ، وأهل الفترة هم الأقوام الكائنون بين أزمنة الرسل .

لم يُرسل اليهم رسول ولا أدركوا حياة رسول ، لكننا إذا تكلمنا في الفترة فإنما نعني بها بالتي بين رسولنا سيدنا محمد ﷺ وسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام . واسمع إلى مولانا عز وجل يقول :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون﴾ /السجدة : ٣/ .

فالمراد بالقوم هنا - قريش والعرب - وهوقول قتادة وابن عباس ومقاتل .

ولا يعرف التاريخ رسولاً بين إسماعيل جد العرب الأول وبين سيدنا محمد ﷺ ، وكانوا بعد سيدنا إسماعيل ملزمين بملة إبراهيم ، فشئت فيهم عبادة الأصنام ، فبعث الله لهم نبينا محمداً ﷺ وقال لنا (صلوا عليه) :

«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» (م: ١٥٣) فاللهم اشهد بأننا نؤمن بنبيك سيدنا محمداً وبما أرسل الله فهل أنتم مؤمنون؟ . قولوا : نعم .

فالحديث يدل على أن الذي يكون من أصحاب النار هو من يجتمع فيه ثلاثة أمور :

١ - أن يسمع بالرسول ﷺ وذلك بان تبلغه دعوته وما جاء معه من دلائل صدقه .

٢ - لا يؤمن بما أرسل به ﷺ .

٣ - ويموت على ذلك .

والذي نفهمه من الحديث أنه يكفي للنجاة : أن لا يسمع بالرسول بآلا تبلغه دعوته كمن عاش منقطعاً عن العالم في جزيرة أو جبل أو برية منقطعة ، أو أن يسمع ويؤمن ويموت على غير ذلك . ولذلك يقول عز وجل : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ / الإسراء : ١٥ ، ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا﴾ / القصص : ٥٩ .

وأهل الفترة لم تقم عليهم حجة الله بالرسول فلا يعذبهم ، فهم ناجون وإن بدلوا وغيروا أو عبدوا الأصنام في زمن الفترة ، يقول مجدد القرن العاشر الهجري و شيخ علمائه مولانا الإمام السيوطي في فتاويه :

(لما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا أنهم أي أهل الفترة) غير معذبين) .

لكن لنا وقفة هنا ، وقفها بعض المالكية والإمام النووي والفخر الرازي فإنهم اشترطوا لنجاة أهل الفترة : ألا يكونوا مشركين كامرئ القيس وحاتم الطائي ، بخلاف من لم يشرك منهم ومن لم يوحد ويبقى عمره في غفلة عن هذا كله ، وبخلاف من اهتدى منهم بعقله كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ، فلا خلاف في نجاتهم ، لأن قساً كان إذا سئل : هل لهذا العالم إله يقول : (البقرة تدل على البعير ، وأثر الأقدام يدل على المسير ، وسماء ذات أبرج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير) .

وأما زيد فكان يسجد ويقول : «إلهي إله إبراهيم ، وديني دين إبراهيم» (ن : أبو نعيم والفاكهي) . ويقول : إني لا أنتظر نبياً من ولد إسماعيل من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه ، وأنا أؤمن به وأصدقه ، وأشهد أنه نبي ، ومن طال به مدة ورآه فليقرئه مني السلام» .

وقد أكرمه الله تعالى أنه عاصر النبي واجتمع به ، وأمن به قبل بعثته بخمس سنين ولم يدركها ، حيث مات وقريش تبني الكعبة ، تقول السيدة أسماء رضي الله عنها :

«لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : - يامعشر قريش ، والذي نفسي بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري (خ : ٣٨٢٨) ، وكان يقول : اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكني لا أعلم » ثم يسجد وكان ينكر على قريش الذبح لغير الله تعالى ، وصح أنه لم يأكل من ذبائح المشركين التي أهل بها لغير الله ، وقد سأل ابنه سعيد بن زيد (وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة) مرة نبينا ﷺ

فقال : إن أبي كان كما رأيت وكما بلغكم أفأستغفر له؟ قال : نعم ، فإنه يبعث يوم القيامة أمةً وحده .

فأهل الفترة ثلاثة : الأول : من أدرك التوحيد ببصيرته وهؤلاء منهم من لم يدخل في شريعة الإسلام كقس بن ساعده وزيد بن عمرو ، ومنهم من دخل في شريعة حق كتبع .

الثاني : من بدل وغير وأشرك وشرع لنفسه ، فحلل وحرم ، وهم الأكثر كعمرو بن لحي ، وهو أول من أحدث للعرب عبادة الأصنام ، وزادت طائفة على ذلك فعبدوا الجن والملائكة ، وهم الذين قيل بتعذيبهم .

الثالث : لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة ولا ابتكر شريعة فهوؤلاء غير معذبين .

أيها السادة ..

إذا علمنا أن أهل الفترة ناجون على الراجح علمنا أن آباءه وأمهاة وأجداده ﷺ ناجون ومحكوم بإيمانهم لم يدخلهم عيب ولا شيء مما كان عليه أهل الجاهلية ، اسمعوا إلى مولانا عز وجل يزكي آباء نبينا ﷺ فيقول :

«وتقلبك في الساجدين» / الشعراء : ٢١٩ / واسمعوا إلى حبيبنا سيدنا رسول الله ﷺ يقول : («إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم) (م : ٢٢٧٦)» فهو ﷺ خيار من خيار (يا سعد من صلى عليه) .

ويقول المؤرخ الكلبي صاحب كتاب الأنساب : «كتبت للنبي ﷺ خمسمئة أم فما وجدت فيهم سفاحاً ولا شيئاً مما كانت عليه أمور الجاهلية» .

حفظ الإله كرامة لمحمد آباه الأمجاد صوناً لاسمه

تركوا السفاح فلم يصبهم عاره من آدم وإلى أبيه وأمه
فالحق الذي تلقى الله عليه أن أبويه ﷺ ناجيان ، وللسيوطي في هذه
المسألة عشرة مؤلفات كلها تصب في وجوب الأدب مع رسول الله ﷺ ، وقد
أورد حديث إحياء والديه ﷺ حتى آمنابه ، وعلى ذلك جماعة من
الحفاظ .

وقد سئل ابن العربي المالكي الفقيه المحدث عن رجل قال : إن آباء
النبي في النار . فقال عنه : إنه ملعون لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ
يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ / الأحزاب : ٥٧ / ولا
أذى أعظم من أن يقال عن أبيه ﷺ إنه في النار ، وما أحسن قول حافظ
الشام ابن ناصر الدين :

حبا لله النبي مزيد فضل على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه لإيمان به فضلا منيفا
فسلم فالقديم بذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفا
إننا معشر السادة الكرام

على أبواب الصفحة الثانية من حياة النبي الخامس والعشرين من
الأنبياء والمرسلين فهو : سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب شية
الحمد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن
لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن
إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

والى هذا الجدد انتهى النسب الشريف الذي انعقد عليه الإجماع ،
وليس فيما بعده إلى آدم طريق صحيح فلا تجب معرفة ما بعد هذا الجدد بلا
خلاف لأن نبينا ﷺ كان إذا انتهى في النسب إلى عدنان أمسك ثم يقول :
كذب النسابون (ض) .

أيها الإخوة :

هناك أمور يجب معرفتها عن سيدنا محمد ﷺ ويجب اعتقادها ،
من هذه الأمور أنه ولد بمكة المشرفة قبيل فجر الاثنين ثاني عشر شهر ربيع
الأول وهذه الليلة أفضل من ليلة القدر ويستجاب الدعاء في الساعة التي
ولد فيها ﷺ في كل ليلة .

ومن أجل ما سُنَّ بل من أدلِّ القربات والطاعات ما جرت به العادة
من العناية بالمولد الشريف والفرح بسيد السادات وإطعام الطعام وقراءة قصة
المولد الشريف .

قال ابن الجوزي : بما جرب أن من عمل المولد كان أماناً له في ذلك
العام وبشرى عاجلة بنيل المرام ، وقد صح أنه لما ولد ﷺ ذهبت ثوبية فبشرت
مولاهما أبا لهب بولادته فأعتقها وأمرها برضاعته ، فجوزي بأن يخفف عنه في
النار كل ليلة إثنين ، فإذا كان هذا حال من صرح القرآن بدمه فما ظنك
بالمسلم الذي يفرح بولادته ﷺ ويبذل ملتصلاً إليه قدرته في محبته ، إن الله
لا يضيع أجره .

ومن أجل ما سُنَّ أيضاً ما جرت به العادة من قيام الناس حين ذكر
مولده ﷺ فيستجب ذلك لما فيه من تعظيمه وإظهار الفرح به والسرور ، بل
أفتى بعض الحنفية بكفر من يتركه حين يقوم الناس ، ولعمري إذا لم يُقم
لقدومه ﷺ ولو عند ذكره مولده فلمن يقام .

وقد ذكر صاحب فتح العلام الشيخ عبد الله الجرداني رحمه الله أن
سيدنا رسول الله ﷺ لم يولد من الفرج ، بل من محل فتح فوقه وتحت السرة والتأم
من ساعته ، ومثله في ذلك جميع الأنبياء والمرسلين ، لكن ما رأيت دليلاً
عليه ، إلا أن المالكية أفتوا بقتل من قال إن نبينا ﷺ ولد من مجرى البول .

تقول السيدة أمنة لما حملت به : ما شعرت أنني حملت به ، ولا

وجدت له ثقلاً كما تجد النساء إلا أنني أنكرت حيضتي وأتاني آت وأنا بين
النائم واليقظان فقال : هل شعرت أنك حملت؟ فكأنني أقول : لا أدري .
فقال : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، قالت : فكأن ذلك مما
أيقن عندي الحمل .

ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني فقال :
- قللي إذا ولدته : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، ثم سمّيه
محمدًا ﷺ .

وفي رواية الإمام أحمد (ض : وقواه بعضهم) : سمعت وجبة عظيمة ،
وأمرأً عظيماً هالتي ، وسمعت كلاماً لا يشبه كلام الآدميين ، ثم التفت فإذا
أنا بشربة بيضاء لبنا ، وكنت عطشى فتناولتها فأضاء مني نور عال .
وحضرت قابله وهي الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ومسحت بيدها
على بطني وقالت :

بسم الله أخرج بإذن الله .

فأخذني المخاض فوضعت ولدي محمدًا ، فوقع على كفيه وركبتيه
على الأرض شاخصاً ببصره إلى السماء وسمعته يقول : جلال ربي الرفيع ،
الله أكبر كبيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، وأهوى ساجداً لله تعالى (١) :
فصلوا عليه وسلموا تسليماً .

صلى الإله على ابن أمة الذي جاءت به سبط البنان كريماً
قل لمن يرجو شفاعته أحمد صلوا عليه وسلموا تسليماً
وأعود بكم من هنا إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد
الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

(١) - انظر فتح الباري عند حديث رقم ٤٤٣٧ .

تذكر عزيزي الموحّد:

- أن معجزات سيدنا عيسى : ولادته من غير أب - إحياء الموتى - إبراء الأكمه والأبرص - علم بعض المغيبات - الخلق من الطين - والنفخ به بإذن الله - نزول المائدة من السماء - رفعه إلى السموات العلى .
- من ادعى أن سيدنا عيسى إله أو ابن إله كفر .
- سينزل السيد المسيح آخر الزمان ويحكم بالقرآن .
- اليهود يخططون للاستيلاء على العالم ولن يستطيعوا ذلك .
- المسجد الأقصى سيبقى رغم أنف اليهود .
- خاتم الأنبياء والمرسلين هو سيدنا محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام - أبائهم وأجدادهم محكوم بإيمانهم وناجون يوم القيامة .
- من المؤمنين بسيدنا محمد قبل البعثة : زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل .
- رسول الله كان من الذين تكلموا في المهد .أوصلهم السيوطي إلى عشرة

الامارات من الخوارق العجيبة

سيدنا محمد ﷺ (٢)

- ٥٦ -

الحمد لله الذي أكرم أمة حبيبه المصطفى بجزيل النعم ، وفضلهم وشرفهم باتباعهم لسيد العرب والعجم .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال لأشرف أحبابه وقسماً بآية من كتابه :

﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ، وسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ / الضحى : ١ - ٥ .
وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله قال لمولانا عز وجل عندما نزلت هذه السورة : يارب لا أرضى وواحد من أمتي في النار . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ، وسلم تسليمًا .
أما بعد :

فقد بدأت معكم قبل مغادرتي لحج بيت الله الحرام وزيارة نبينا عليه الصلاة والسلام بإتمام سلسلة النبوات والأنبياء من ملف التوحيد الذي فتحنه منذ شهر ربيع من عام ١٤١٦ ، وكان ختام المسك حديثنا عن أشرف خلق الله طراً ، أعني به سيدنا محمداً ﷺ :

محمد سيد الكونين الثقليين والفريقين من عرب ومن عجم
فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بقم .
 فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم .
 وقد وقفت معكم عند الولادة المباركة ، والحقيقة أننا لن نستعرض
 السيرة النبوية الشريفة ، ولكنني سأقتطف منها الأزهار والرياحين من رياضها
 النضرة ، لأتناول من حياة نبينا الكريم القضايا الإيمانية الخاصة بملف
 العقيدة ، وسيكون حديثنا اليوم عما يسمى بالعقيدة : بالإرهاصات ، أو
 بالمبشرات بين يدي النبوة والرسالة .

إننا باختصار - أيها السادة - مع الحلقة السادسة والخمسين من القضايا
 الإيمانية من جامع الدرويشية ، وفي بداية هذه الحلقة أرفع وإياكم شعار التوحيد :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

والإرهاص أو التأسيس : ما يحدث لنبي من الأنبياء قبل أن يبعث
 رسولاً وتسمى بالمبشرات أو مقدمات النبوة ، لتعلن للناس مدى اصطفاء الله
 لهذا النبي ومكانته عند الله تعالى .

وقبل أن ألج معكم إلى أمير الأنبياء علينا أن نعرف ما يسمى
 بالخوارق السبع للعادات ، والتي على رأسها المعجزات التي يؤيد الله بها
 أنبياءه ورسله الكرام ، وهي مقرونة بالتحدي للأقوام ، وتعني تصديق الله
 لنبيه فيما يبلغ عنه .

ومنها : الكرامة التي تقع للأولياء والصالحين .

ومنها : المعونة وتقع للعوام المستورين تخليصاً لهم من شدة ، كما وقع
 لامرأة في الهند حين حاول أحد الكفار أن يهتك عرضها فنادت : اللهم
 أنجذني بالجيلاني ، قال : وكان سيدنا عبد القادر الجيلاني في درسه ببغداد
 فتناول فردة قبقابه فرماها نحو الهند فأصاب الكافر فقتلته بإذن الله !

ومنها : الاستدراج تظهر على يد كافر أو فاسق خديعة له ومكراً .
 قال تعالى : ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن
 كيدي متين ﴾ / القلم : ٤٥ .

ومنها : الإهانة وتظهر على يد العبد تكديماً له ، كفعل مسيلمة
 الكذاب تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة .
 ومنها : السحر وهو فعل أشياء أو تخيلها بطلاسم موهمة ، ومنه
 الشعوذة وهي خفة اليمين . وآخرها : هوما يكون حديثنا عنه اليوم أعني به
 الإرهاسات .

أيها الإخوة :

نحن اليوم إذاً على موعد مع زيارة أمير الأنبياء في بيت السيدة أمنة
 قريباً من البيت الحرام ، فإن أصوات الفرحة والسرور والبهجة والحبور تعم أرجاء
 هذا البيت المبارك ، الذي ضم بين حناياه الأم الرؤوم ، ذلك لأن والد نبينا كان
 قد سبقه إلى الفردوس في أثناء حملها به ، فكان الذي كفله وقام على تربيته
 سيد قريش والبطحاء أعني به جدّه شيبه الحمد عبد المطلب بن هاشم ،
 أرسلت إليه السيدة أمنة تبشره بمولد حفيده زينة الدنيا ونور الكون ، فنهض
 ومعه بنوه حتى أتاه ، وأكرم من الولد ولد الولد ، وأقرب من الوليد الابن
 الحفيد ، ثم نظر إليه ثم أخذه إلى صدره وحنا عليه وسمّاه محمداً ﷺ .

أيها الإخوة :

- ١- ولد سيدنا النبي ﷺ مسروراً مختوناً ، أي مقطوع السرة طاهراً
 مطهراً ، زكي الرائحة يتألأأ وجهه تألأأ القمر ليلة التمام .
- ٢- وظل أياماً لا يذوق من أمه قطرة لبن سوى ما يمسه من إبهامه ،
 وكان أول من رضع منهن أمه السيدة أمنة ، ثم رضع من أربع نسوة ولم

ترضعه امرأة إلا رزقت الإسلام ببركته عليه الصلاة والسلام ، وكانت السيدة حليلة السعدية أكثرهن ملازمة له وأشدّهن خصوصية به ﷺ

٣- ولما بلغ رسول الله ﷺ شهرين أخذ يمشي على يديه ورجليه على الأرض ، فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم حيث يسمع كلامه ، ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ، ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي السهام مع الصبيان ، وكان يشب شباباً لا يشبه الصبيان فما إن بلغ السنتين حتى كان غلاماً جفراً . فلم يزل عندها حتى تم له سنتان ، ففطمته وردته إلى أمه كما هي عادة المرضعات ، ولم تزل تتلطف بها وتطلب منها بقاء عندها سنة أخرى ، حتى أخذته منها ، ورجعت به وهي مسرورة فقد رأت الخير من هذا الطفل .

٤- فقد اخضرت من حولها الأرض ونبت الزرع ودرّ النضر ببركته ﷺ فرأت وشاهدت ذلك بأم عينها .

٥- ورأت أكثر من ذلك رأت الغمام وهو يظلل أينما حل وارتحل ، فقد حدثت السيدة حليلة فقالت : فقدت ابني محمداً مرة ، فإذا هو عند أخته الشيماء تدور به في وسط النهار وهي تقول :

يا رب أبق لنا محمداً حتى أراه يافعاً وأمرداً

ثم أراه سيّداً مسوداً واكبت أعاديه معاً والحسداً

وأعطه عزاً يدوم أبداً

فقالت لها : يا بنتي ما كان لك أن تخرجي أخاك في هذا الحر . فقالت : ما على أخي بأس يا أمه ، ما أصاب أخي حرٌّ يا أمه ، إن له غمامة تظله حيث سار وحيث أقام .

٦- ومن الإرهاصات التي كانت قبل النبوة شق صدره عليه الصلاة

والسلام وهو فی مرابع بنی سعد ، إذ جاءه سیدنا جبریل ومیکائیل فی صفة رجلین علیهما ثیاب بیض فأضجعاه وشقا صدره بالطف کیفیة ثم أخرجا قلبه الشریف فشقا وأخرجا منه علقة سوداء ، وغسلاه بثلج فی طست من ذهب ثم ملأاه حکمة وإیماناً وأعاداه کما کان (ق) .

یقول أحد شیوخ الإسلام : من أراد ان ینال هذه المکانة بشق صدره وإخراج حظ الشیطان من قلبه فلیکثر من الصلاة والسلام علی سیدنا محمد ﷺ .

وعاد سید الکائنات لینعم بعد سنوات من الرضاع والحضانة إلى مكة أم القرى ، عاد إلى الأرض التي نبتت فیها أصوله وتعمقت فیها جذوره ، عاد ليعیش بین أهله وذویه وفصیلته التي تؤویه ، عاد لیجد الأم الصابرة الکریمة التي حبست نفسها علیه بعد أن فقدت زوجها الشاب ، عاد إلى أمه التي لم تتجاوز سن العشرین من عمرها فأقبلت علیه تملأ قلبه عطفاً وحباً وحناناً .

لکن ید القدرة الإلهیة كانت تلاحق السیدة أمنة ، فمرضت أياماً ثم لحقت بزوجها إلى الرفیق الأعلى . وعرف الطفل الذي لم یبلغ بعد السابعة من عمره أنه أصبح یتیملاً لا أب ولا أم ، وزاد من لوعته أن هذا الیتیم کان فی الغربة وفي السفر ، إذ أن والدته توفیت بالأبواء بجوار المدینة المنورة ، لکنه وجد فی ظل جده شیهة الحمد عوضاً عن فقد والديه ، وخصه بمقام لیس لأحد من أعمامه ولا لواحد من قریش ، وكان إذا أتى بطعامه أجلس الطفل الیتیم إلى جانبه ، وربما أقعده علی فخذیه ثم أثره بأطیب طعامه وألذ شرابه ، وكان رفیقاً به وبآدابه یقول لأعمامه : دعوا ابني هذا فإن له لشأناً .

لکن سید قریش لم یهله الزمن حتی لحق بربه عز وجل ، وأوصی لابنه أبي طالب برعاية الطفل الیتیم الذي کان قد بلغ الثمانیة ، انتقل ليعیش مع أولاد أبي طالب وزوجه السیدة فاطمة بنت أسد التي رعته واعتنت به كأنه أحد أولادها .

٧- تقول كتب السيرة : إن أولادها كانوا يصبحون شعثاً (شعورهم متفرقة) رمصاً (على أعينهم أثر النوم) ويصبح رسول الله ﷺ دهنياً كحياً كأنه القمر ﷺ .

٨- وشب محفوظاً من الله تعالى ، بعيداً عن أقدار الجاهلية وعاداتها ، فكان أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأشدهم حياءً ، وأصدقهم حديثاً ، وأبعدهم عن الفحش والبذاءة ، وأعظمهم أمانة ، حتى ما أسموه في قومه إلا الأمين ، وفي الحديث عن سيدنا علي عن نبينا صلى الله عليه وسلم قال : «ما عبت صنماً وما شربت خمرأ قط ، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر» .

أيها الإخوة .

فما هو إلا أن شب سيدنا محمد ﷺ وقوي ساعده وبلغ اثنتي عشرة سنة حتى اتجه إلى العمل فرعى الغنم ، وفيه كسب شريف ، وتربية نفسية ، وتعويد على العطف على الضعفاء ، وسياسة للأوابع ، واستنشاق للهواء الصافي النقي وتقوية للجسم ، وفوق ذلك كله فهو اتباع لسنة الأنبياء ففي الصحيح «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم» ثم شارك عمه أبا طالب في تجارته إلى الشام حتى بلغا بصرى .

أيها السادة :

إننا مع الإرهاصات التي حدثت في بصرى ، لذا اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك ، ولن أبعد بكم فسنذهب إلى درعا ، إلى بصرى التي وطئت عليها قدما حبيب القلوب سيدنا محمد ﷺ ، فما أسعد أهل بصرى بالحبيب الأعظم ، بل ما أسعد أهل الشام لأن بصرى بقعة منها ، فأرسلوا رسالة تحية ومحبة للحبيب الأعظم ، وقولوا : صلى الله عليه وسلم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

٩- هناك نظر الراهب بحيرا إلى هذا الركب القادم ، وأقبل متجهاً إلى

حبيبي وقرّة عيني جدي رسول الله وأخذ بيده مخاطباً عمه قائلاً (ت : حسن غريب) : هذا سيد المرسلين ، هذا سيد العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين . وفوجيء القوم بالراهب الذي لم يكن يخرج من صومعته كثيراً ، يسرع إلى أمين مكة ليقول هذه الكلمات ، بل قالها بحب غامر وإيمان صادق . سألوه : من أين علمت هذا؟ اسمعوا إلى الإرهاصات ، إلى الاجابات قال لهم : إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرّ ساجداً ، ولا يسجدان إلا لنبي .

١٠- وإنا لنجد صفته في كتبنا . ثم قام الراهب باطلاعهم على الدليل الجسدي ، على الإرهاص الذي هو في جسد نبينا ، إذ به يكشف عن كتفي سيدنا رسول الله فإذا بنخاتم النبوة يتلأأ بين كتفيه . ثم أقسم على عمه أن يرده إلى مكة خوفاً عليه من اليهود ، لأنهم علموا أنه خارج في هذا الشهر . أيها الإخوة ..

١١- ولما بلغ عشرين سنة عاد إلى الشام مع الصديق أبي بكر في تجارة ، ولما بلغ خمسا وعشرين سنة رجع إلى الشام في تجارة لخديجة رضي الله عنها ، ومعه عبدها ميسرة يخدمه ، وهناك أرى الحبيب الأعظم ينزل تحت شجرة ، وأرى راهباً ينظر من صومعته يدعى نسطورا (ابن إسحق ٥٩- ابن سعد ١/ ١٥٥-١٥٧) ، وها هو يرى أغصان الشجرة كيف تدلت بأوراقها على الحبيب الأعظم لتقيه حر الهجير ، فصرخ قائلاً : والله ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي .

وأسرع الراهب نسطورا يستدعي ميسرة ، ويسأله عن هذا الفتى الذي يرافقه في بيع تجارة مكة ، فقال الراهب : هو هو ، وهو آخر الأنبياء ، وركض نحو الحبيب الأعظم يقبل رأسه وقدميه ويقول :

- أمنت بك وأنا أشهد أنك رسول الله النبي الأمي ، الذي بشر بك عيسى فإنه قال : لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة إلا النبي الأمي العربي الهاشمي المكي . ثم التفت إلى ميسرة فقال له : لا تفارقه أبداً وكن معه بعزم صادق ونية حسنة .

أيها السادة ..

وعاد السيد الأعظم وقد ضاعف الله له ربح تجارته ، وحدثها ميسرة بما جرى معه فعرضت نفسها عليه فتزوجها رسول الله بعد رجوعه بنحو ثلاثة أشهر ، وكان عمرها آنذاك أربعين سنة .

١٢- وأول ما بدئ قبل النبوة الرؤيا الصادقة ، كان لا يرى رؤيا إلا وقعت كما رآها تماماً .

١٣- وحب الله إليه الخلوة والعزلة فكان يعتزل الناس في غار حراء مدة من الزمن كل حين ، يسير من مكة إلى الجبال العالية البعيدة عنها فيصعد رأس جبل النور ليعتكف بغار هناك ، يتأمل في الكون باحثاً عن الإله الحق كما فعل من قبله جده أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل ، وفي أثناء الطريق وهو ذاهب ، وهو راجع ، كان يمر بالأحجار والأشجار فيسمع صوتاً منها يقول : السلام عليك يا رسول الله فيلتفت فلا يرى أحداً .

واسمع معي إلى حبيبك سيدنا محمد يقول : «إني لأعرف حجراً بمكة كنت كلما مررت عليه يقول لي : السلام عليك يا رسول الله» (م : ٢٢٧٧) .

هذا الحجر يعرف قدر رسول الله ويسلم عليه كلما رآه ، ونحن بنو الإنسان من لحم ودم وإحساس ألا نصلي عليه ، ألا نسلم عليه ؟!! يقول عليه الصلاة والسلام : «رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل علي» (صحيح بشواهد م-ت - ح) ، ويقول : «من صلى علي حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدر كتبه شفاعتي يوم القيامة» (طب) .

ويقول : «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام» (د : حسن) .

سيدي أبا القاسم يا رسول الله الصلاة والسلام عليك يا خير خلق الله صلاة بعدد حبات المطر وقطرات السحاب وذرات الماء في البحار .
هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

الخطبة في ظاهرة الوحي

سيدنا محمد ﷺ (٣)

- ٥٧ -

الحمد لله الموحى إلى نبيه ومصطفاه من الكتاب ما به على سائر أنبيائه اصطفاه ، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره حمداً يستنزل الرحمة ويكشف الغمة .

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، بعث نبيه المصطفى وجعله مبيناً لمجمل الآيات القرآنية بياناً كالعسل المصفى .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله النبي العربي والسيد المصطفى .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكننا المقدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليمًا

أما بعد : فـ

يقولُ راجي الغفر للذنوب	عبد المجيد الأزهري الشرنوبى
الحمدُ لله الذي توحَّدَا	في ذاتهِ وبالبقا تَقَرَّدَا
وبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ والصَّلَاةِ	على النبي صاحبِ الصَّلَاتِ
فهذه عقائد التوحيد	تنجو بها من ربقة التقليد

فاحفظ لمولى الخلق عشرين صفة	تكن بها في عُرف مزخرفة
له الوجود والبقاء والقدم	منخالف لما يناله العدم
وقائم بنفسه وواحد	فهذه ست صفات تسرد
منها الوجود صفة نفسية	والخمس بعدها هي السلبية
وواجب لربنا المنان	سبع صفات سميت معاني
علم إرادة وقدرة بصر	سمع كلام وحياة تعتبر
وسبعة قد لازمتها تدعى	بمعنوية فآلت السمع
ككونه حيا مريدا قادرا	وفي ثبوتها خلاف قد جرى
والحق لا استغناء بالمعاني	عنها كما حقق بالبرهان
وضدّها عليه يستحيل	فإنه المنزه الجليل
بكل أوصاف الكمال قد وصف	طوبى لمن له بهذا يعتز
وجائز عليه فعل الممكن	وتركه إن لم يشأ لم يكن
وواجب لرسله الأمانه	والصدق والتبليغ والفطانه
ومستحيل ضدّها فلتعلم	وجائز كالأكل في حقّه
واجزم بأن المصطفى التهامي	أفضل مبعوث إلى الأنام
قد خصّ بالإسراء والمعراج	والملة الواضحة المنهج
من ربه كقاب قوسين دنا	ونال من عطاه غاية المنى

أيها السادة ..

هذه هي المنظومة الشرنوبية في العقيدة التي نقوم بشرحها منذ سنتين ووصلنا فيها الآن إلى الحديث عن أفضل مبعوث إلى الأنام ، فقد تعلمنا في العقيدة أنه :

وأفضلُ الخلقِ على الإطلاق نبينا فمِلْ عن الشُّقاقِ
والأنبياءِ يُلونه بالفَضْل وبعدهم ملائكةُ ذي الفضْلِ
بالمعجزاتِ أيدوا تكروما وعصمةُ الباري لِكُلِّ حَتْمًا
وخصَّ خيرَ الخلقِ أنْ قدَّمَا به الجميع ربنا وعمما
ومعجزاته كثيرةٌ غرر منها كلامُ اللَّهِ مُعْجَزُ البَشَرِ

هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،
نزلت أولى آياته يوم كان الحبيب الأعظم قد خلا بغار حراء يتحنث الليالي
ذوات العدد ، نزلت عليه أولى الآيات الكريمات ﴿اقرأ باسم ربك الذي
خلق﴾ /العلق : ١/ . فكان جواب الحبيب : ما أنا بقارىء .

وانتهبوا أيها الإخوة إلى هذا القضية الإيمانية فالأمر هام جداً ، فقد
كان من حكمة اللَّهِ تعالى وتربيته أن نشأ رسول اللَّهِ أمياً لا يقرأ ولا يكتب
فلماذا قدرَ اللَّهُ له ذلك؟ . إن الذي أجاب عن هذا السؤال رب العزة جل
جلاله اسمعه يقول لحبيبه : ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك إذا لارتاب المبتطلون﴾ .

أيها السادة الكرام

إننا مع الحلقة السابعة والخمسين من سلسلة القضايا الإيمانية من
جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد :

لا إله إلا الله سيدنا ومولانا محمد رسول الله

إننا مع أولى القضايا الإيمانية اليوم : وهي قضية الوحي .

والوحي في لسان أهل الشرع ينصرف إلى التعليم السري الصادر من
اللَّهُ تعالى الوارد إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهو نوعان :
الأول : تعليم بواسطة ملك .

والثاني : تعليم مباشر بدون وساطة ملك .
وكلاهما يصح أن يكون في اليقظة أو في المنام وهو ما يعبر عنه
بالرؤيا الصادقة .

والتعليم بدون وساطة الملك له طريقتان :
إما بالإلهام وهو إلقاء المعنى في النفس نحو قوله ﷺ :
«إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل
رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» (حسن) .
وإما بالكلام من وراء حجاب أي بدون رؤية — كتكليم الله
لسيدنا موسى .

وسنجد من خلال تنمة بحثنا للنبوات أن التعليم بواسطة الملك يقع
على وجهين :

١- إما أنه يشاهد الملك عند الوحي على صورته الحقيقية وهذا نادر ،
أو أن يسمع عند قدومه دويّاً وصلصلة شديدة يعلم الله حقيقة ومصدرها
فيعتبره حالة روحية غير عادية لا يدرك الحاضرون منها إلا أمارتها الظاهرية
كثقل بدن وتصيب جبينه عرقاً ، وربما سمعوا عند وجهه الكريم دويّاً كدوي
النحل مدة الوحي ثم يرجع النبي إلى حالته العادية .

٢- والوجه الثاني : يتمثل الملك عند الوحي على صورة ما فيكلمه
فيعي عنه ما يقول ، كما نحن بصدده اليوم ، فإن الحبيب الأعظم حينما نزل
عليه الملك أول ما نزل قال (خ) :

«فخرجت حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء
يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . . . يقول عليه الصلاة والسلام
فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في

أفق السماء ، فوجدت أصراف نظري في آفاق السماء فلا أنظر ناحية إلا رأيته كذلك ، ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً إلى أهلي (خ : ٦٢١٤) .

فرجع الحبيب الأعظم وفؤاده يرجف من الفزع فتلقته السيدة خديجة أم المؤمنين بكلماتها الطيبة ، وهي تقول : أبشريا بن العم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة .
أيها السادة ..

إننا مع القضية الثانية وهي قوله ﷺ لجبريل أنفاً (ما أنا بقارىء) هذه الكلمة رد الله بها على من قال عن نبينا ﷺ ﴿إنما يعلمه بشر﴾ /النحل : ١٠٣/ ، فهذا غير صحيح ، لم يكن النبي الكريم قبل البعثة تلميذاً لأحد ولا طالباً للعلم عند أحد ، إنما كان نبياً أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، لذلك لم يأت بالشرعة من عنده ، وإلا فسيقول الكفرة والمرجفون الذين يعادون الإسلام بأن النبي أخذ علمه عن الرهبان والقساوسة وهذا باطل لا شك فيه . وقد رد الله عليهم إفكهم وكذبهم فقال لنبيه الكريم على موجات سورة العنكبوت :

﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبتلون﴾ /العنكبوت : ٤٨/ .

هذه القضية علينا معرفتها جيداً ، لم يأت بالشرعة من عند أحد ، بل أرسله الله بها هادياً وبشيراً منذ أنزل عليه مولانا أوائل سورة العلق :

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم﴾ . هذه الآيات أول ما نزل ، وأما باقي السورة فنزل بعد ذلك بسنين ، وأول سورة نزلت بعدها هي سورة الفاتحة ، كان ذلك في رمضان في الليلة المباركة ذات القدر العظيم ، ونحن أمام هذه الكلمة بين احتمالات ثلاثة : نحن في كلمة (اقرأ) بين احتمالات ثلاثة :

الأول : قول الملك لنبينا اقرأ كأنه يقول له كن قارئاً : أمر تكويني إلهي على لسان جبريل .

الثاني : قول الملك لنبينا اقرأ أمر دعائي من جبريل أي ليعلمك ﷻ القراءة
الثالث : قول الملك لنبينا (اقرأ) أي اقرأ ما سيلقى عليك .

وعلى كل الاحتمالات الثلاثة فإن نبينا أجاب ما أنا بقارئ أي لست من القارئين ، بل أنا من الأميين . وفي رواية أنه عرض عليه صحيفة ، فلما تعجب النبي من هذا الطلب العجيب إذ به يفهم أنها قراءة عن ظهر الغيب لشيء لم يسبق له حفظه بل يتعلمه الآن بإذن ﷻ الذي علم الإنسان ما لم يعلم .

لذلك اسمع إلى الحبيب الأعظم بعد أن أخذ الدرس الأول في القراءة على يد الأمين جبريل قال بعد انتهاء الدرس : - فكأنما كتبت هذه الكلمات في قلبي كتاباً .

إذاً - أيها السادة - كانت أمية النبي من دعائم الإعجاز الذي وقع لنبينا ﷺ ، إنه انتقال الى عهد جديد من العلم اللدني .
أيها السادة ..

الذي أكد خبر بعثته ﷺ نبياً ورسولاً عالم مكة ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى بن قصي ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد . وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء أن يكتب وكذا إلى العربية ، ومعروف أن الإنجيل أنزل بالسريانية والتوراة بالعبرانية ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، حين سمع من نبينا خبر ما رأى قال له ورقة : هذا الناموس (صاحب الس) الذي أنزل ﷻ على موسى ، ثم أردف قائلاً :

- يا ليتي أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله : أو منخرجي هم؟ قال ورقة :

- نعم سيعاديك قومك لأنه لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك (يوم إعلان نبوتك ودعوتك لقومك) انصرك نصراً مؤزراً (خ) . لكن ورقة لم يلبث إلا أن توفي مؤمناً به رسولاً ، فهو مؤمن حكماً .
أيها الإخوة

فما هي القضية الأخيرة في حلقتنا اليوم؟ ما الذي حدث بعد أن رأى النبي سيدنا جبريل وعاد إلى زوجته وتهيأت نفسه لتلقي الوحي؟
القضية الأخيرة هي ما حدث لنبينا بعد ذلك ؟ إذ أن الوحي فتر وتوقف فترة طويلة أوصلها العلماء إلى سنتين ونصف حتى حزن نبينا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال ، لم يكن يتوقع أن يفتر عنه الوحي ، هذه الفترة الممتدة جعلته يتردد على غار حراء يعاود فيه الاعتكاف ليسمع ولو همسة من سيدنا جبريل ، ولكن جبريل لم يظهر ولم يخاطبه بشيء ، حتى خيل إلى رسول الله أنها شياطين الكهان ، كان يقول للزوجة الأولى في الإسلام : والله يا خديجة ما أبغضت بغض هذه الأصنام شيئاً قط ، ولا الكهان ، وإنني لأخشى أن أكون كاهناً .

فكانت السيدة الأولى تطمئنه وتزيل عنه مخاوفه وتقول :
«كلا ، والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم ، وتقري الضعيف ، وتحمل الكل (تنهض بالأمر المهم والعبء العظيم) وتكسب المعدوم (الفقير والمحتاج) وتعين على نوائب الحق (الخير) وإن فيك من صفات الخير ما لا يجعل للشيطان سبيلاً إلى نفسك .
لكن الأمر طال واسترسل حتى ظن أن ربه قد تركه وقلاه ، واشتد بنينا الحزن ، ومرت الأوقات بطيئة ثقيلة مرهقة ولا خبر ، شهراً بعد شهر

وحين أوشك اليأس ان يحطم قلبه أدركه الله برحمته وأعاد إلى قلبه الثقة والطمأنينة وأحيا في نفسه الأمل والحياة، الله أكبر، هذا جبريل قد ظهر في أفق السماء: «يا محمد أنت رسول الله حقاً وأنا جبريل» .

نظر رسول الله إلى السماء فإذا جبريل قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجثى رسول الله على ركبتيه فرقاً، ثم تولى عنه جبريل، فعاد إلى أهله وهو يقول: زملوني زملوني فأنزل عليه ربه (خ) .

﴿يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر﴾ / المدثر: ١ - ٧ .
أيها السادة ..

علينا أن نعتقد أن فترة الوحي وعدم نزوله كانت نعمة من أنعم الله على رسوله ، لأن وطأة الوحي شيء فوق طاقة البشر العادي أن يتحملة ، فقد كان يعاني من شدة التنزيل ، وكان إذا نزل عليه الوحي تغير لونه وتحدر منه العرق في اليوم الشديد البرد ، كانت الهزة الأولى من هزات الوحي عنيفة قاسية ، وكانت رؤية الملك لأول مرة قد تركت في كيانه أثراً شديداً ، فكان من رحمة الله برسوله أن فتر عنه الوحي فترة ، حتى يستجمع شتات نفسه الثائرة ، ويستعد لما وراء ذلك من أثقال الوحي وتبعاته الجسام ، وكفى بنا قول مولانا : ﴿والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى ، وللاخرة خير لك من الأولى ، وسوف يعطيك ربك فترضى ، ألم يجدك يتيماً فأوى ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى . فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث﴾ / الضحى / .

سيدي يا رسول الله أقرأك الله باسمه وأنعم عليك بفضله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً .

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

سيدنا محمد ﷺ

المعجزات دليل صدقه ﷺ

- ٥٨ -

الحمد لله الذي شرح صدور أحبابه بنور اليقين وأذاقهم لذة قربه وأنسه فشغلهم عن الخلق أجمعين ، أحمدته سبحانه تعالى وأشكر شكر عبد لله رب العالمين .

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له رب السموات والأرضين وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين صلاة وسلاماً متلازمين إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً
أما بعد فياحمّة الإسلام وحراس العقيدة :

كانت العناية الإلهية تتابع في تربية سيد الأنبياء والرسل الكرام ، ولد والعناية ترعاه ، وشب وعين الله تكلؤه ، وبدت إشارات اصطفائه على الخلق أجمع حتى نزل عليه الوحي حين بلغ رسول الله أربعين من عمره ، والدنيا واقفة على شفا حفرة من النار ، والإنسانية تخطو بخطى سريعة نحو الانتحار . فجاءه جبريل وهو يتعبد في غار حراء سنة ٦١٠م ، وبذلك بعث رسولاً من قبل مولانا عز وجل ، وتذكرون بأننا عرفنا الرسول بأنه : إنسان

ذكر أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه للناس ، فيشترط في الأنبياء والرسل أن يكونوا ذكوراً أحراراً :

وما كانت نبياً قط أنثى ولا عبدٌ وشخصٌ ذو فعّال

وتعلمون أن من صفات الرسل الواجبة الفطانة ، وهي التيقظ والذكاء والرأي السديد والحكمة العالية في طريقة الحوار مع خصومه ورد حججهم ، إن الفطانة تعني قوة الحجة التي يؤتيها الله ﷻ لرسله الكرام في مهمتهم العلمية التربوية ، وفي مهمتهم القيادية والسياسية ، ليسوسوا الأمة ويوجهونها إلى الطريق الأقوم . فماذا فعل سيدنا رسول الله ﷺ ؟

فكيف يدعوا رسول الله ﷻ قريشاً إلى الحق ، وهو يعلم أنهم أحرص مايكونون على باطلهم ؟ ، وأي طريق يسلك لإقناعهم بأن ما هم فيه هو الباطل ، وأن ماجاءهم به هو الحق ، وكيف هذا والحق يبطل عقائدهم ويهدم تقاليدهم ، ويهدد كل ما يتناولون به على الناس من جاه وسلطان ، فهل يمكن أن تقتنع قريش بأن ألقتها من الأصنام لا تنفع ولا تضر ؟

أيها الاخوة : إننا مع الحلقة الثامنة والخمسين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد :

لا إله إلا الله سبدا محمد رسول الله

أيها السادة : جعل سيدنا محمد ﷺ يفكر ويقلب وجوه الرأي ليجد المدخل السهل إلى قلوب هؤلاء السادرين في ضلالهم ، فأخذ يتلمس أصحاب القلوب اللينة والنفوس المستعدة للهداية وقبول الحق ، وبدأ من هؤلاء بخلطائه وصحبه ممن يثق بهم ويطمئن اليهم ، فجعل يدعوهم إلى الإسلام سراً مخافة أن تعلم قريش فيهبوا للقضاء على دعوته وهي لا تزال في المهد .

فما هي المبادئ التي دعا إليها نبي الرحمة ؟

كانت المبادئ - أيها الاخوة - التي تضمنتها دعوة الإسلام الأولى هي :

١- الإيمان بالله واحد .

٢- الإيمان بالبعث بعد الموت ، وبالدار الآخرة وما فيها من الحساب

والجزاء .

٣- أن الناس جميعاً إخوة متساوون ، لا فضل لأحد على أحد الا

بالتقوى .

٤- أن للفقر حقاً معلوماً في مال الغني ...

هذه المبادئ الشريفة التي دعا إليها وجدت صدىً في قلوب من كتب الله لهم الهداية ، فأمنت السيدة خديجة وزيد بن حارثة والصدّيق أبو بكر وعلي بن أبي طالب ، وأسلم بدعوة الصدّيق أشرف قريش .

سيدنا عثمان بن عفان ، وسيدنا الزبير بن العوام وسيدنا عبد الرحمن بن عوف . وسيدنا سعد بن أبي وقاص وسيدنا طلحة بن عبيد الله ، جاء بهم سيدنا الصدّيق جميعاً إلى سيدنا رسول الله ﷺ فأعلنوا إسلامهم وتلاههم رجال من قريش ، فكان هؤلاء نفر أول السابقين إلى الإيمان بالله ورسوله ، فكانوا هم اللبنة الأولى في بناء الإسلام ، والأساس الشامخ الذي قام عليه صرحه .

واستمر الحبيب الأعظم يدعو إلى الإسلام سراً وأصحابه يزدادون يوماً بعد يوم ، وتسربت أنباء الدعوة إلى قريش فأخذوا يرقبون أمين مكة ليعلموا حقيقة الأمر ، وقد حرص رسول الله ﷺ أن يتجنب موقف الاصطدام بينه وبين قومه ، فاختر له ولأصحابه مكاناً منعزلاً عن الناس هو دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وهو سيد من سادات قريش الذين سابقوا إلى الإسلام ، وكانت داره على مقربة من الصفا ، يعلمهم فيها القرآن ويطبّقون مبادئه ، فكانت الدار لهم مسجداً للعبادة ومدرسة للتهذيب والتعليم ، ومضى على ذلك سنوات ثلاث ، ثم أمر مولانا بالجرّ بالدعوة ، وأنزل عليه ﴿وأُنذِر عشيرتك

الأقربين ﴿ فوقف على الصفا يناديهم ويدعوهم إلى الله تعالى فبدأ بأهل بيته وعشيرته فوقفوا إلى جانبه إلا أبا لهب (تبت يداه) أظهر عداوته مباشرة ، ولكن رسول الله تابع دعوته لقريش فصعد بأمر ربه وأعرض عن المشركين ولم يبال بهم ، فدعاهم على الصفا إلى الإيمان بالله وحده ، وحذرهم من مغبة إعراضهم عن الإيمان به .

أيها الإخوة ..

كانت لهذه الصيحة والدعوة التي دعا الناس إليها أكبر الأثر ، فراح الذين كتب الله لهم السعادة يتسللون ليلاً إلى رسول الله ﷺ يسألونه عن الأمر فيشرحه لهم فيسلمون على يديه ، وأعرض عن شرع الله ﷻ من كتب الله عليهم الشقاوة وعميت أبصارهم ، وبدأت الحرب الأهلية تتصاعد شيئاً فشيئاً ضد الداعين إلى دين الله ، فكان ممن وفقه الله تعالى في ردها بطلين عظيمين وصنديدين شامخين هما أسد الله حمزه بن عبد المطلب ، والفاروق عمر بن الخطاب وقفا مع الصحب الكرام في وجه هذه الحرب التي أثارتهما قريش حرباً لا هوادة فيها .

وكان أشدهم عداوة وأعنفهم حرباً لرسول الله ودعوته أبو جهل عمرو ابن هشام وعقبة بن أبي معيط وعمه أبو لهب ، واسمعوا إلى أم المؤمنين السيدة عائشة تروي عن الحبيب الأعظم قوله :

«كنت بين شرّ جارين بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط إن كانا ليأتيان بالفروث (الكرشة) فيطرحانها على بابي ، حتى إنهم ليأتون ببعض الأذى فيطرحونه على بابي فيخرج ﷺ فيقول : يا بني عبد مناف أي جوار هذا ، ثم يأخذه فيلقيه بالطريق .

ثم أحسّت قريش بخطر الدعوى حين بدأ رسول الله ﷺ يعيب عليهم الكفر ، ويذكر آلهتهم بالسوء ويتوعددهم حتى قال أبو طالب لسيدنا رسول الله : والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ
وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا
حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ / المسد / .

توعدهم بما أعدَّ اللهُ لَهُم من العذاب في الآخرة . فقدم إليه وفد من شيوخ
قريش ليردوه عما هو فيه فأبى ولم يقبل منهم ، وعلمه مولانا أن يقول لهم :
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ،
وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ ، مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَلِي دِينٌ﴾ /
الكافرون : ١ - ٦ / .

والذي غاظهم أكثر حماية عمه أبي طالب له وتعصب بني هاشم
لرسول الله ﷺ ووقوفهم صفاً واحداً وراءه وإن لم يكونوا على دينه ،
فتشكلت جبهتان ، وكانت للخصومة القديمة بين بني هاشم وبني أمية أثرها
في اشتداد هذه العداوة وقسوتها ، وصمد بنو هاشم صمود الأبطال ، بما دفع
قريشاً إلى إنزال الاضطهاد والتعذيب بالضعفاء الذين أسلموا ممن لا سند
لهم يمنعهم ، فانقضت كل قبيلة على من فيها من العبيد والمساكين والفقراء
يتفنون بالعذاب وضروب الشر ، فدل ذلك على ما كانت تغلي به صدورهم
من الثورة والغيط ، ومن الحقد الشنيع على دعوة الإسلام ، كان من هؤلاء
سيدنا بلال ، وخباب ، وصهيب ، وآل ياسر وغيرهم ، واشتدت أوار الحرب
أشد ما يكون وكانت على ثلاثة محاور أو اتجاهات :

الاتجاه الأول : محاولة استمالة رسول الله ﷺ ليمنعوه من الجهر بدعوته .

الاتجاه الثاني : الشكوى منه لعمه أبي طالب

الاتجاه الثالث : محاولة إعجازه أو إظهار أنه ضعيف فيما يدعو إليه .

حاولت قريش بكل ما أوتيت من قوة أن ترده عما يريد من نشر
الدعوة ، قدموا إليه مرة يطلبون منه آية على صدق دعواه ، فأعطاه الله آية
كونية عظيمة لم تسبق لأحد من الأنبياء ، شيء لا قدرة للبشر عليه ، شيء

يدل دلالة قاطعة على أنه نبي ورسول صادق فيما يبلغ عن الله تعالى ، وما هي هذه الآية؟

أيها السادة الكرام

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك ، إلى مكة المكرمة ، وقد تجمعت جماهير أنذال كفارها حول الحبيب الأعظم :

سألهم سؤالاً واحداً : ماذا تريدون أن تكون الآية؟ ونظر الكفار حولهم فرأوا القمر بازغاً مشرقاً ، قالوا : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين .

وراح كل منهم يستهزئ بطلبه هذا ، فأرادوا أن يظهروا إعجازه ، وأنه ضعيف فيما يدعو إليه ، لكن الحبيب الأعظم رفع كفيه إلى من لا يخيب أحداً ، وأمام الجمع الغفير أشار بيده إلى القمر فإذا به ينشق بإذن الواحد الأحد نصفين ، نصف بقي فوق الجبل ونصف نزل قريباً من الجبل ، وكبر الصحابة ، وظهرت بواذر الإعجاب والتعنت على وجوه الكفرة ، وخاصة حين قال لهم الحبيب الأعظم : اشهدوا .

أتدرون بم أجابوه قالوا : سحركم محمد ﷺ . فقال بعضهم : إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع ان يسحر الناس فاسألوا السفار ، فقدم المسافرون من كل جهة وهم يشبتون أنهم رأوا القمر قد انشق فرقتين ثم التأم بعدها ، ورغم هذه الآية العظيمة التي ثبتت للقوم فإنهم قالوا : هذا سحر مستمر (خ : ٣٨٦٨) ، واسمعوا إلى مولانا يقرر هذا الموقف العظيم فيقول : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ / القمر : ١-٢ .

أيها الإخوة ..

إن هذه المعجزة وأمثالها لتدل كل الدلالة على صدق الرسول فيما يدعو إليه ، إنها مظهر تكريم للرسول ، وشدة من أزرهم ، وهي أيضاً هزة عنيفة

توقظ الكافر من سباته ليفتح عينيه ويعي ما حوله ، ولكن الكافرين في ضلال مبين ، إن أحد الكافرين وهو أبو جهل بن هشام حصلت معه معجزة من معجزات سيدنا رسول الله ﷺ ولو شاء أن يدخل في الإيمان لدخل ، ولكن الله كتب عليه أن يكون من أصحاب النار .

فقد قدم إلى مكة رجل يدعى الأراشي وراح ينادي من يردلي حقي من أبي الحكم بن هشام ، فدلّه أنذال الكفار على سيدنا محمد ﷺ ليستعيد له حقه وذلك استهزاء به ﷺ فقال له : رسول الله أنا لها .

فرافقه إلى دار أبي جهل فضرب عليه بابه فقال : من هذا ، فقال ، محمد فاخرج إلي . قال الراوي يا سادة يا كرام : فخرج إليه وما في وجهه رائحة ، قد امتقع لونه ، فقال له : أعط هذا الرجل حقه ، قال أبو جهل : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذي له ، فدخل ثم خرج فأدى إليه حقه ، فذهب الأراشي ليشكر أهل مكة وهو يثني على سيدنا محمد ﷺ ، فإذا بأبي جهل يقدم عليهم فاستقبلوه بالتصفيق ورفع الصوت فقال : ويحكم ، والله إن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا أنيابه لفحل قط . والله لو أبيت لأكلني .

أيها السادة ...

يجب علينا أن نؤمن أن الله أيد أنبياءه بالمعجزات ، وكل شخص لا يؤمن بالمعجزات التي ذكرها الله في كتابه عن الأنبياء فهو كافر ، وأما المعجزات التي وردت في السنة وثبتت بالأحاديث النبوية فمنكرها فاسق ويعزر منكرها إن كانت الأحاديث صحيحة .

جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فقال (ض) : لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي . فقال النبي ﷺ : أرني قبرها ، فأراه إياه فنادى رسول الله ﷺ صاحبة القبر وقال : يا فلانة . فسمع صوتاً من القبر يقول : لبيك وسعديك . فقال النبي ﷺ : أتحيين أن ترجعي إلى الدنيا وإلى أبويك؟ فقالت : لا والله يا رسول الله ! إني وجدت الله خيراً لي من أبوي ووجدت الآخرة خيراً لي من الدنيا .

أيها السادة ..

إن نبينا حاول بكل جهده أن يدعوهم إلى الإيمان ، وأتى لهم بالمعجزات الدالة على صدقه ، فمنهم من هدى الله ومنهم من ضل عن سبيله ، جاء أعرابي إلى النبي ﷺ (ت ٥ / ٥٩٣) يريد آية على أنه رسول الله فقال له : قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك . قال : فدعاها الأعرابي فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخذ الأرض تجر عروقها حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ فقالت بلسان عربي فصيح : السلام عليك يا رسول الله

(هذا جماد سلم على رسول الله ﷺ فسلموا أنتم على رسول الله)

قال الأعرابي حين رأى هذه الآية : مرها فلتراجع إلى منبتها ، فرجعت فدلّت عروقها فاستوت في مكانها ، وهنا أعلن الأعرابي إسلامه ثم قال : إئذن لي لأسجد لك ، فقال له ﷺ : لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها . فقال الأعرابي : فأذن لي أقبل يديك ورجليك ، فأذن له ﷺ .

وأما ذلك الأعرابي (ت : صحيح) الذي جاء إلى سيدنا رسول الله ﷺ فقال : يا محمد بم أعرف أنك نبي قال رسول الله ﷺ : إن دعوت هذا العذق شهد أنني رسول الله ، فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ثم شهد لسيدنا محمد ﷺ ثم أمره رسول الله أن يرجع إلى مكانه وهنا قال الأعرابي : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، ودخل في دين الله .

أيها السادة ...

فهل هدأت قريش ، لا لم تهدأ ، بل استمرت معاقل الكفر والوثنية بمناهضتها للدعوة ، فمنعت الطعام والشراب عن النبي وصحابته بل وبني هاشم أجمع ، ومنعت معهم البيع والشراء ، وأعلنت عليهم حرباً أهلية لا ترحم ، وسجلت مقاطعتها لهم في صحيفة علّقت في جوف الكعبة ، أندرون ماذا فعل الله بكاتب الصحيفة هذه ، إن كاتب الصحيفة هو منصور بن عكرمة ، دعا عليه رسول الله ﷺ فشلت يده .

وأمنت قريش في حربها فأبعدت السيد الأعظم وصحبه الكرام وبنی هاشم إلى أرض لأبي طالب كانت تسمى شعب أبي طالب في منطقة منی اليوم ، ليتم الحصار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي .

وبعد سنوات ثلاث فشل الحصار أمام ذلك الإيمان الراسخ «وانتصرت القلة المؤمنة العزلاء أمام جبروت الوثنية وجمع القرشيين ذوي العدد والعدة .

وأذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه (ابن إسحق ١٩٤- فتح الباري ٧/ ١٨٩- ابن هشام ١/ ٣٣٤ بإسناد حسن) .

لكن الحصار وأهواله أنهك حبيبين إلى رسول الله ﷺ ونال منهما الإعياء ، واستنفذ الاضطهاد والعذاب ما أبقى لهما من قوة : إنهما السيدة خديجة رضي الله عنها وأبو طالب فصعدت روحاهما إلى الله تعالى . ولعلها حكمة ربانية لتظهر حقيقة واحدة هي أن الحماية والتأييد والنصر لم يكن من أبي طالب ولا من السيدة خديجة بل الحماية والتأييد والنصر من الله ﷻ ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ /الصف : ٩/ .

أيها السادة أعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



تذكر عزيزي الموحد :

- أن ما حصل لنبينا من الخوارق قبل البعث يسمى بالإرهاصات .
- الخوارق في الدنيا السبع .
- من معجزات ﷺ أنه نشأ أمياً لا يقرأ ولا يكتب .
- صور الوحي التي كان يأتي نبينا ﷺ :
- ١- مشاهدة الملك على صورته الحقيقية .
- ٢- يتمثل له على صورة إنسان .
- ٣- إلقاء المعنى في قلبه ﷺ .
- ٤- يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه .
- فتر الوحي عنه ﷺ ليستجمع شتات نفسه ويستعد للمهمة الملقاة على عاتقه من الدعوة إلى دين الله .
- كل الرسل هم من الذكور وما كانت نبياً قط أنثى .
- المعجزات دليل صدق الأنبياء والرسل الكرام .
- كان أشد الناس عداوة لنبينا أبو لهب وعقبة بن أبي معيط وأبو جهل بن هشام .

الغیب فی الإسراء والمعراج سیدنا محمد ﷺ

- ۵۹ -

الحمد لله الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً ، وأسبغ على عباده نعماً
جماً ، وبعث فيهم رسولاً من أنفسهم وأشرفهم عرباً وعجماً ، وأرجحهم عقلاً
وحلماً ، وأوفرهم علماً وفهماً ، وأقواهم يقيناً وعزماً ، وأزكاهم روحاً وجسماً .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تيقن وإخلاص لا
تنحلاً ووهماً .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي زكى الله عليه عقله
فقال : ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ / النجم : ٤ / ، وزكى عليه بصره فقال ﴿ما
زاغ البصر وما طغى﴾ / النجم : ١٧ / ، وزكى عليه لسانه فقال : ﴿وما ينطق
عن الهوى﴾ ، وزكى عليه رأيه فقال : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق
لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ ، وزكاه كله فقال : ﴿وإنك لعلى خلق
عظيم﴾ / القلم : ٤ . سيدي أبا القاسم يارسول الله :

سعدت بك الأكوان يا خير الورى ولدائها قد جئت نغم طيب
هي عنك فرع من شذاك طيبت وكذا الفروع بأصلهن تطيب
اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل
محمد ، وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم
في مقعد صدق عندك يامليكننا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين
وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين
وسلم تسليمًا .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

بذل رسول الله ﷺ كل ما أوتيته من حكمة في الدعوة إلى دين الله ، وفي إنقاذ قومه مما هم فيه من ظلام الوثنية وأضمار الجاهلية ، وكان بقي لديه شعاع ضئيل من أمل في أهل الطائف ، فذهب مع مولاة زيد بن حارثة يدعوهم إلى الإسلام ، فلم يجد منهم إلا الغلظة والقسوة وإلا الصد والإعراض ، بل إنهم أغروا سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويقذفونه مع أتباعه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين ، فأوى رسول الله ﷺ مع صاحبه إلى بستان ابني ربيعة وقد بدا عليه الحزن والتأثر ، وأخذ يدعو الله تعالى ويستنصره بكلماته البليغة قال (ابن اسحق) :

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » .

كانت هذه الدعوات الإيمانية تصدر من قلب الحبيب الأعظم ، فإذا بملك الجبال مع سيدنا جبريل يصدر له الأمر الإلهي . اهبطا على حبيبي محمد فكونا تحت أمره ، فهبطا على جناح السرعة ، قال جبريل : هذا ملك الجبال يارسول الله مره فليطبق عليهم جبال الطائف . فماذا كان جواب الحبيب ؟ الأعظم قال : لا ، ولكن أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً (ق) . هذا الحبيب المصطفى هذا النبي المجتبي :

رحمة كله وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء

كرمت نفسه فما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء
وسع العالمين علماً وحلماً فهو بحر لم تعيه الأعباء
لا تقس بالنبي في الفضل خلقاً فهو البحر والأنام إضاء
كل فضل في العالمين فمن فضل النبي استعاره الفضلاء
نحن اليوم على موعد مع عدد من القضايا الإيمانية فيما يتعلق بالنبي
والرسول الخامس والعشرين في ترتيب المبعث الشريف ، إننا مع الحلقة
التاسعة والخمسين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع
بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد :

(لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله)

وأولى القضايا الإيمانية اليوم حول إيمان الجن ، فالجن خلق مكلفون
كالإنس تماماً ، إلا أن الجن يكلفون بالإيمان منذ ولادتهم مباشرة ، لأن سيدنا
رسول الله ﷺ أرسل إلى الخلق كافة ، إلى عالم الجن والإنس والملك وانظروا
إلى فضل الله على نبيه ، لما عرض الإنس عن دعوته ﷺ أكرمه الله بنفر
من الجن أخذوا يستمعون القرآن من رسول الله وهو قائم يصلي في منطقة
قريبة من مكة تسمى (بطن نخلة) ، بقي فيها رسول الله ثلاثاً يقلب النظر
في كيفية دخول مكة بعد أن خرج منها . قام يصلي من الليل فمر عليه نفر
من الجن استمعوا الذكر ودخلوا في الإسلام وعادوا إلى قومهم منذرين (خ)
وقد صرحت الآيات القرآنية بهذه الحادثة في سورة الجن :

﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا : إنا سمعنا قرأناً
عجباً يهدي إلى الرشد فأما به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ / الجن : ١- ٢ .

بهذه الآيات - أيها الإخوة - أيقن الحبيب الأعظم أن طلائع الفرج قد
أذنت ، وأن بشائر النصر قد واثت ، فكيف يدخل مكة وفي أي جوارٍ من
زعماء مكة يحتمي ؟ .

قال له سيدنا زيد : كيف تدخل عليهم يا رسول الله وهم أخرجوك . قال :
يازيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً ، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه .

وأرسل رسول الله إلى ثلاثة رجال من قريش ليحتمي بهم ويدخل في
جوارهم ، فأرسل إلى الأخنس بن شريق وسهيل بن عمرو والمطعم بن عدي
فاعتذر الأولان وأجاباه الثالث فبات رسول الله عنده تلك الليلة ، وخرج معه
المطعم هو وبنوه الستة مدججين بالسلاح فمكثوا رسول الله من الطواف
بالبيت ، فرآه القرشيون فقالوا للمطعم : أمجير أم تابع . قال : لا ، بل مجير .
قال أبو سفيان : إذن لا تخفر . (أي أجرنا من أجزت) .

أيها الإخوة الكرام : وتوالت عناية الله بنبيه ومصطفاه جبراً لحاطره
وتعويضاً عما لقيه من الذلة والهوان بطبيعته البشرية ، فأكرمه مولانا بأن أسرى
به وعرج به إلى حضرته ، لتتم بركة أهل السماء من الملك بالحبيب الأعظم ،
فعالم الملك أرسل إليهم رسول الله إرسال تشریف لا إرسال تكليف .

وهذه قضية إيمانية ينبغي التنبيه لها ، إن رسول الله أرسل إلى الإنس
والجن إرسال تكليف ، وأرسل إلى الملائكة إرسال تشریف .

فأسرى به مولانا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى على البراق
باحتراف مهيب قام به النبيون والمرسلون والملائكة المقربون كلهم قاموا على
أرض المسجد الأقصى صفوفاً صفوفاً يستقبلون القادم العظيم ، فكأن مولانا
يقول لحبيبه ونبيه : تعال إلينا لنريك ما لم نره أحداً من العالمين ، تعال إلينا
نمنحك ما لم يحصل عليه غيرك من المقربين ، يا حبيبنا لا تحزن مما نالك من
الجاهلين ، إذا كان هؤلاء لا يعرفون قدرك ويجحدون عظمتك ، فإن أهل السماء
هم أعرف بك من أهل الأرض ، فما هو معنى الإسراء ، وما هو المعراج ؟ .

أيها السادة الكرام :

علينا أن نعتقد أن الله تعالى ليس في السماء ، ولا في الأرض ، ولا

في مكان ، ولا تحويه جهة ، ولا يحتاج إلى محل ، لا ورب الضحى والليل
إذا سجد ، بل هو خالق الأكوان ، «كان الله ولا شيء غيره» ، وهو الآن لم
يزل على ما عليه كان ، ولكن أراد تشریف الملكوت وعالم السموات بنظرهم
إلى حبيبه عظيم الشأن ، أراد أن يسري به إلى حضرته ويخصه بجمال وجهه
وجلال رؤيته .

إن الإسراء - أيها السادة - وهو السير ليلاً - قد حصل لبنينا من مسجد
مكة إلى المسجد الأقصى ، وقد سمي بيت المقدس بالمسجد الأقصى حينما
وطئت قدما سيدنا رسول الله على أرضه ، أصبح تحت إشراف المسلمين
بشهادة رب العالمين : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾ / الإسراء : ١ .

ولما كان الإسراء من المعجزات والخوارق للعادات افتتح الله سبحانه
هذه السورة بكلمة (سبحان) : التي هي للتنزيه والتعجب ، لأنه أمرٌ عظيم أن
يسري مع جبريل وقد نامت العيون ، وأن يشق صدره ، ويملاً إيماناً وحكمة ،
ما يثبت به قواه البشرية ويهيؤه لمناجاة إله البرية ورؤية ذاته العلية .

والمعجزة الثانية ركوبه للبراق ، السفينة الفضائية الإلهية العجيبة التي
ركب عليها الخليل إبراهيم من قبل حتى وصل إلى بيت المقدس وصلى فيه
بالرسل إماماً ثم اخترق السبع الطباق إلى العالم العلوي .

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه والرسل في المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التفوا بسيدهم كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذي خطر ومن يفز بحبيب الله ياتم
وانظروا إلى قول مولانا (ليلاً) بعد قوله (أسرى) ، رغم أن الإسراء لا
يكون إلا بالليل ، أتعرفون ما معناه؟ إن معناه : أن الإسراء كان في جزء من

الليل قليل ، إنه يعني أن هذه الرحلة الأرضية السماوية لم تستغرق الليل بطوله ، بل كانت بجسده وروحه ﷺ ضمن جزء يسير من الليل .

إن الرحلة التي كانت قريش تألفها شهراً ذهاباً وشهراً إياباً ركوباً على الإبل ، قام بها الحبيب الأعظم وعرج بعدها به إلى السماء ثم عاد وفراشه بعد لم يزل دافئاً لم يبرد ، هذا كله لتتم المعجزة ، معجزة النجم الإنساني العظيم الذي تحول من إنسانيته إلى نوره السماوي في المعجزة .

أيها السادة :

ومن الأمور التي يجب أن نعتقدها أن الرحلة كانت يقظة لا مناماً ، وأنهما كانتا بالروح والجسد معاً ، وكل النصوص القطعية من الآيات القرآنية وصحيح الأخبار وقوة الاعتبار اللغوية والعقلية تؤيد ذلك ، وإليك الدليل :

في أية الإسراء أدلة كثيرة :

أولاً : كلمة (سبحان) المشعرة باستعظام ما كان من الأمر والتعجب منه لجلالته ، وهو لا يصح موقعه ولا يتناسب مع بلاغة القرآن ، إلا إذا كان ذلك أمراً غير معهود ، ولا مقدور لأحد من البشر عليه ، ولو كان الإسراء بالروح أو مناماً لما اقتضى هذا التعجب .

ثانياً : كلمة أسرى فهي لا تقال في النوم ، بل للسير الحسي كما هو معهود .

ثالثاً : كلمة (بعده) ، وهذا نص قاطع في الموضوع ، (بعده) فهو لا يطلق فيم تعرفه العرب إلا على الشخص بجملة المكون من الروح والجسد كما في قوله تعالى ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ .

رابعاً : قوله تعالى ﴿لنريه من آياتنا﴾ وفي سورة النجم ﴿أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ /النجم: ١٢-١٨/ .

وفي هذا إشارة قوية إلى حادثة المعراج ، والمعراج : صعوده ﷺ من بيت المقدس إلى السموات العلى ثم إلى سدرة المنتهى ، ووصل إلى مقام سمع فيه صريف الأقلام في تصاريف الأقدار ، وهناك فرضت عليه الصلاة ، لذلك جاحد الصلاة كافر .

أيها الإخوة : ومن الأمور الاعتبارية تكذيب قريش له ، قالوا مستبشرين : إنا نضرب أكباد الإبل شهراً مصعداً وشهراً منحدرًا ثم تزعم أنك أتيت في ليلة واحدة ثم أصبحت بين ظهرانينا!! وهل في الرؤيا المنامية مجادلة أو تكذيب؟! .

وهناك - معشر السادة - في المعراج رأى رسول الله ربه جل جلاله ، رؤية البصر كما وردت عليه رواية البخاري ، وفي هذه الرحلة صور الله لنبه من أنواع الأعمال والأفعال التي يترتب عليها ألوان من الثواب والعذاب ليحدث أمته بما رأى ، ويرشدهم ويحذرهم فيتأهلوا لما فيه المثوبة ويتجنبوا ما فيه العقوبة .

ومن هنا أدخل علماء العقيدة موضوع الإسراء ، والمعراج في جملة العقائد فقالوا : من أنكر الإسراء فقد كفر ، ومن أنكر المعراج فقد فسق ويخشى عليه ، ولهذا قال الإمام الشرنوبى صاحب النظم الذي نحفظه في خطب العقيدة :

واجزم بأن المصطفى التهامي أفضل مبعوث إلى الأنام
قد خص بالإسراء والمعراج والملة الواضحة المنهـاج
من ربه كقاب قوسين دنا ونال من عطاه غاية المنى
إن الإسراء والمعراج - أيها السادة - ليعنيان أن سيدنا محمداً ﷺ هو نبي القبلتين ، وإمام المشرقين والمغربين ووارث الأنبياء قبله ، وإمام الأجيال بعده ، ورسول الإنس والجن والملك .

فقد التقت في شخصه وفي إسرائه مكة بالقدس . والبيت الحرام
بالمسجد الأقصى ، وصلى الأنبياء خلفه فكان هذا إيذاناً بعموم رسالته
وخلود إمامته ، وإنسانية تعاليمه وصلاحياتها لاختلاف المكان والزمان :
أيها السادة :

جاء الإسراء ليعلن أن سيدنا محمداً ﷺ ليس من طراز القادة الزعماء
الذين لا تتجاوز مواهبهم وجهودهم ودوائر كفاحهم حدود الشعوب والبلدان ،
ولا تسعد بهم إلا الشعوب التي يولدون فيها ، إنما سيدنا محمد ﷺ هو من
جماعة الأنبياء والرسل الذين يحملون رسالات السماء إلى الأرض
ويحملون رسالات الخالق إلى الخلق .

علينا أن نعتقد أن سيدنا محمداً ﷺ أفضل من كل نبي ورسول ، ومن
كل حاكم أو محكوم ، ومن كل رئيس أو ملك ، وجميع المخلوقات إلا
الأنبياء والرسل الكرام لا يصلون إلى مستوى تراب نعلي سيدنا محمد ﷺ ،
هذه هي عظمة نبينا صلوا عليه .

هذا النبي الذي راح يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج
فعرض له جماعة من قبائل الأوس والخزرج ، وكانوا جيران اليهود ، وكانوا
يسمعونهم يخبرون بنبي قد أظل زمانه فقال بعضهم لبعض : يا قوم تعلمون
والله إنه النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه ، فأجابوا وصدقوا
وكفر اليهود ، قالوا لنبينا : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر
ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك
ونعرض عليهم الذي أحبيناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليك
فلا رجل أعز منك .

وهكذا - إخوة الإيمان :

انتقلت الرسالة الأولى إلى أهل يثرب ومين الله عليهم عن طريق

هؤلاء نفر من الأنصار فدخلوا في الإسلام ونشأ فيهم ، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر لسيدنا رسول الله ﷺ .

فكانت بيعة العقبة الأولى في العام التالي ، وبيعة العقبة الثانية في العام الثالث حتى بلغ المؤمنون من أهل يثرب فوق المئتين ، وكان يعلمهم القرآن والإسلام سيدنا مصعب بن عمير ، وتتابع إسلام كبار رجالات القبائل من الأوس والخزرج واسلم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير من الأوس ، وأسلم بنو عبد الأشهل عن آخرهم ، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات (فقولوا الحمد لله) .

وانطلق المهاجرون بإشارة من القائد الأعلى للأمة بالهجرة إلى يثرب بعد الهجرة إلى الحبشة ، ثم بدأت هجرة الحبيب الأعظم إلى يثرب مع صديق الأمة أبي بكر ، وبهذه الهجرة تنازل فيها الحبيب عن كل حبيب وعزيز وأليف وأنيس في مكة ، من أجل العقيدة والدين ، تنازل عن مكة المولد والمنشأ والذكريات ومهوى الأفئدة ، إن التراب والوطن لا يساويان شيئاً إذا ما هددت العقيدة وحروب الدين ، إذا كانت الدعوة والعقيدة في شدة وضيق ، وكان الفرج لهما في مفارقة الأهل والسكن فمرحباً بها في سبيل الله :

﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾ / العنكبوت : ٥٦ .

وخرج الحبيب الأعظم وهو ينظر إلى مكة الحبيبة فتجلت في قلبه عاطفة الحنين الإنساني وعاطفة الحب الإيماني ، فخاطب مكة قائلاً : «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك» (ت ٥ / ٧٢٢ - حسن صحيح ، هـ ٢ / ١٠٣٧ (٣١٠٨) دارمي ٢ / ٢٣٩) .

أيها السادة :

ومشى هذا الموكب النبوي وملائكة الله تحفه ، ورحمة الله تعمه من كل جانب ، موكب قال الله فيه : ﴿فأنزل سكنته عليه وأيده بجنود لم

تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴿التوبة : ٤٠﴾ .

ولم تستطع جبروت الوثنية وقوى الشر أن تمنع هذا الموكب من أن يصل إلى يثرب ، موكب مؤلف من ثلاثة : نبينا رسول الله والصديق وعامر بن فهيرة يدلهم على الطريق ، ورغم ذلك لم يستطع سراقه بن مالك بن جعشم بسلاحه وعتاده أن يصل إليه لأن القادر المقتدر منعهم منه فكانا في حماية الله ورعاية الله ومن كان كذلك فلا يخاف ظلماً ولا هضماً .

من هذا الموكب الضعيف برزت قوة الإسلام ، وبرزت المنعة والعزة لأن الله وعد نبيه بالنصر ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ /التوبة : ٤٠ / .

وسمع الأنصار بخروج رسول الله من مكة فكانوا يخرجون كل يوم إذا صلوا الصبح إلى ظاهر المدينة ينتظرون القادم العظيم حتى تغلبهم الشمس على الظلال ، فيدخلون بيوتهم ، فما إن لاح القادم العظيم على البعد حتى ناداه أحد اليهود : هذا محمد ﷺ .

وتنادى الناس ، وخرجوا (وما أكثرهم) وازدحموا على القادمين العظيمين وخرجت العواتق فوق البيوت يتراءينه : أيهم هو ، لا يعرفون من رسول الله ومن أبو بكر . يقول أنس : فما رأينا منظراً شبيهاً به . (صحيح) .

وراحت الفرحة تجوب أطراف يثرب التي سميت المدينة المنورة حينما نورها الحبيب الأعظم بقدومه ، وراح الناس ينادون : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد .

قال البراء : فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله (صحيح) .

وكانت المدينة ترفل بأسرها في سرور وفرح غامرين ، وراح الناس يهتفون وينشدون :

طلع البدر علینا من ثنیات الوداع
وجب الشکر علینا ما دعا لله داع
أیها المبعوث فینا جئت بالأمر المطاع
قد لبثنا ثوب عز بعد تمزیق الرقاع (۱)
اللهم صل وسلم وبارک أعظم الصلاة وأزکاهما علی سیدنا ومولانا محمد
هنا مدرسة التوحید الجالس فیهما علیه أن یوحد الله تعالی .

* * *

(۱) - انظر فتح الباری ۷ / ۲۶۱-۲۶۲ . عند رقم حدیث ۳۹۲۵ . ابن القیم فی زاد المعاد ۳ / ۵۵۱ .
الزرقانی شرح المواهب ۱ / ۳۵۹-۳۶۰ .

تذكر عزيزي الموحّد:

- إن أول زوجة تزوجها رسول الله هي السيدة خديجة بنت خويلد .
- إن أبا طالب مات كافراً .
- كانت الإسراء والمعراج معجزة كبرى لنبينا عليه الصلاة والسلام وتعويضاً عما لاقاه من عنت القرشيين وأهل الطائف .
- كان الإسراء والمعراج في بعض ليلة واحدة .
- كانت الهجرة فتحاً للمسلمين وبناء لأول دولة في الإسلام .
- كانت الهجرة من أجل العقيدة والدين .
- كان فرح أهل يثرب بهجرة النبي الكريم لاتعدلها فرحة .

الخطبة في الأعمال الأولى بعد الفجر سيدنا محمد ﷺ

- ٦٠ -

الحمد لله موفق من توكل عليه ، القيوم الذي ملكوت كل شيء
بيديه ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنعوت بصفات الكمال
والتنزيه .

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا
محمدًا عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين ، وخاتماً للنبيين وإماماً للمؤمنين
بأوضح دليل وأفصح تنزيل ، وأنفس تبيان وأبدع برهان .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد
السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى
أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد
صدق عندك يامليكننا المقتدر ، وفي رحمتك يا أرحم الرحمين ، وعجل
فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ،
وسليم تسليمًا .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

الله أكبر الله أكبر

هذا النداء الخالد ومعناه : الله أعظم ثم الله أعظم وأجلّ وعملُهُ أوجب
فاشتغلوا بعمله واتركوا الاشتغال بالدنيا .

أشهد أن لا إله إلا الله ومعناها : أشهد أنه واحد لا شريك له ، أمركم بأمر فاتبعوا أمره فإنه لا ينفعكم أحد إلا الله ولا ينجيكم من عذابه أحد إن لم تؤدوا إليه أمره .

أشهد أن محمداً رسول الله ومعناها أرسله إليكم لتؤمنوا به وتصدقوه وقد أمركم بإقامة الجماعة فاتبعوا ما أمركم به .

حي على الصلاة : أي أسرعوا إلى أداء الصلاة فأقيموها ولا تؤخروها عن وقتها وصلوها مع الجماعة .

حي على الفلاح : أي أسرعوا إلى النجاة والسعادة فالله قد جعل الصلاة سبباً لنجاتكم وسعادتكم فأقيموها تنجوا من عذابه .

الله أكبر الله أكبر : الله أعظم وأجل ثم الله أعظم وأجل فأخلصوا صلاتكم لوجهه سبحانه وتعالى .

أيها السادة :

بهذه الكلمات الخالدات ارتفعت على سماء المدينة المنورة يومياً خمس مرات تنادي للصلاة في السنة الأولى للهجرة فكيف حدث ذلك ؟
إننا مع الحلقة الستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد .

(لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله)

كانت الهجرة إلى المدينة فرجاً للمسلمين مما يلقونه في مكة من المشركين من ألوان الهزء والسخرية ، ولكنها كانت أيضاً امتحاناً صعباً اجتازه المسلمون بنجاح حيث تركوا وطنهم الأم وأموالهم ودورهم وأمتعتهم في سبيل الله تعالى .

هذا إن دل على شيء فإنما يدل على وجوب الهجرة من دار الحرب

إلى دار الإسلام ، من دار يعصى الله عز وجل فيها إلى دار يطاع فيها رب العزة ، من دار لا يستطيع المسلم فيها أن يقيم الشعائر الإسلامية إلى دار يقوم فيها بالطاعات والعبادات بكل حرية و يقيم فيها حكم الله في الأرض .

ولذا ما إن استقر النبي الأعظم في بيت أبي أيوب الأنصاري حتى سارع إلى أمور ثلاثة لبناء دولة الإسلام الأولى ، ثلاثة أمور هي هامة لبناء الدولة أولها وأهمها بناء المسجد .

وثانيها : دستور ينظم العملية الحياتية بين المسلمين وغيرهم .
وثالثها : المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وقد ضرب الأنصار في هذه العملية المثل الأعلى فيه .

أيها السادة : علم رسول الله أن أواصر المحبة بين المسلمين لا تكون إلا بتلاقيهم مرات يومياً لتساقط فيما بينهم فوارق الجاه والمال ولتشيع بينهم روح المساواة والعدل في أحوالهم وشؤونهم ، ويقفوا مصطفىين في محراب العبودية راكعين وساجدين ، ولا يكون ذلك إلا في المسجد حيث تقام شريعة الله ، ويجتمع فيه المسلمون لتعلم أحكام الله ويتمسكون بنظام الإسلام وعقائده وأدابه . فبنى رسول الله المسجد خلال فترة ثمانية أشهر مكثها عند أبي أيوب الأنصاري ، فأصبح هذا المسجد متعبداً لهم ومكان عظمتهم ومدرستهم ودار تعليمهم يقيمون فيها الشعائر الدينية كما صار مبعث جيوشهم وندوة مؤتمراتهم ، يرشدون الناس فيه إلى دين الله ، أي أن المسجد بعُرف عصرنا كان مقر القيادة العامة الإسلامية .

واتخذ رسول الله شعاراً يرفع كل يوم خمس مرات هو الأذان والإعلام إشعاراً بالوقت ودعوة الله عباده إلى الصلاة ، الأذان جعله مولانا كلاماً جامعاً لعقيدة الإيمان وهو بالفاظه الجزلة ومعانيه القوية المعبرة ليحتل من القلوب المؤمنة المكانة المرموقة ، لأن فيه إثباتاً للذات الإلهية وما يستحقه في

الكمال والتنزيه ، وفيه إثبات للوحدانية ونفي ضدها ، وفيه إثبات للنبوة والشهادة بالرسالة ، وفيه دعاء إلى الصلاة والفوز والفلاح .
ما تركته من قرية إلا قوتلت على تركه ، وما أنكره أحد إلا كفر لأنه أصبح مما يعلم من الدين بالضرورة .

ثم قام رسول الله بوضع الوثيقة أو الدستور التي تحدد الطبيعة التي بين المسلمون واليهود الذين هم في المدينة . جعل فيها المسلمين أمة واحدة مهما كانت أجناسهم وبلادهم لا يحل لأحد أن يخفر ذمة واحد منهم رجلاً ونساءً ؛ وجعل للمسلمين دينهم وللإهود دينهم إلا من ظلم فإنه لا يهلك إلا نفسه ، وإن جرى خلاف بين الأمتين يرجع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله فهو الحكم العدل ، لا يحل لأحد أن يتركهما بحثاً عن حل آخر فإن فعل حل عليه عذاب الله .

وبهذه الوثيقة السياسية التي وضعها الحبيب الأعظم منذ /١٤١٨/ عاماً قرر حرية العقيدة ، وحرية الرأي وحرمة المدينة وحرمة الحياة وحرمة المال وتحريم الجريمة .

إلا أن قريشاً لما رأَت هذه الدولة الفتية قد استقرت وبدأت ترفع رايتهما في سماء الجزيرة العربية أرسلت رسالة إلى عبد الله بن أبي بن سلول ومن كان معه فمن يعبد الأوثان من الأوس والخزرج قالت فيها :

- إنكم أوتيم صاحبنا ، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلكم ونستبيح نساءكم .

فلما بلغ ذلك ابن أبي جمع أصحابه وأخبرهم خبر الرسالة فاجتمعوا لقتال النبي وأصحابه المؤمنين ، فلقبهم رسول الله وقال ﷺ : لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم ، (د) (صحيح) فلما سمعوا ذلك من نبينا تفرقوا شذر مذر .

أيها السادة :

وهنا بدأت الحراسة تتتابع على باب سيد المرسلين يحرسونه من أذى مشركي المدينة ومكائدهم ، كان لا يبيت إلا ساهراً أو في حرس ، وكان أصحابه لا يفارقون السلاح ، حتى أنزل مولانا عليه ﷺ «والله يعصمك من الناس» /المائدة : ٦٧/ فأخرج رسول الله رأسه من القبة وقال : «أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله» (حسن الفتح ٢٨٨٧) .

وبدأت الحياة الإسلامية تستعيد عافيتها ويكون لها تميزها الخاص وخاصة بعد أن تحولت القبلة من جهة بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ، بعد أن بقي المسلمون يُصلُّون إلى بيت المقدس مدة ١٦ شهراً .

وهنا بدأت فتن اليهود وأهل الكتاب فشهدت المدينة المنورة أول مؤتمر روحي عقد بين الإسلام وبين النصرانية واليهود ، كان هدفه إظهار الإسلام بمظهر العاجز للقضاء عليه .

أيها السادة : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى مدينة الحبيب الأعظم القائد الأعلى للأمة الإسلامية ، وأرى بعين الإيمان واليقين صحابة نبينا حوله ملتفين وأمامه ستون راكباً من نصارى نجران اليمن . وبعض أخبار اليهود .

أيها الإخوة :

تذكرون عقيدة النصارى القائلة بالتثليث والوهية عيسى ، وتذكرون أن اليهود يزعمون بأنه عزيزاً ابن الله ، فكيف دعاهم رسول الله ؟

إن نبينا لم يقل لهم كما قال بعض الدعاة الجهلة : بأن ديننا مكمل لدينهم ، وأن شرعنا لم ينسخ الشرائع المتقدمة ، لم يقل لهم لا فرق بين ديننا ودينكم ، ولم يقل لهم إنني أعذرکم بعقيدة التثليث ، هذه الدعاوي العاطلة

التي ينطق بها اليوم من يحاول تأليف القلوب على المعاني الإنسانية ، ويترك أبسط الدعائم الإيمانية وهي التوحيد .

قام مرة رجل من أبناء جلدتنا وديننا يريد أن يدعو وفداً من أهل الكتاب دخل مسجده أتعرفون ماذا قال لهم؟ قال :

لا يوجد فرق بين النصارى والمسلمين أبداً ، فنحن نقول : بسم الله الرحمن الرحيم وهم يقولون باسم الأب والابن وروح القدس ، أسمعتم كفراً أعظم من هذا؟ ، وللأسف هذا الشخص يدعي اليوم مشيخة الإسلام في العالم العربي .

إن شرع الإسلام نسخ الشرائع السابقة كلها ، وهذا الأمر غاب عن هذا الداعية غيبة المهدي في سرداب سر من رأى ، علينا أن نعتقد عقيدة مؤكدة جازمة لا رجعة عنها أن الإسلام نسخ كل ما قبله من الشرائع واحفظوا :

وَنَسَخَهُ لَشَرْعٍ غَيْرِهِ وَقَعَ حَتَّمَا أَذَلَّ اللَّهُ مَنْ لَهُ مَنَعٌ

واسمعوا إلى جواب الحبيب الأعظم قال لأعضاء المؤتمر : أما نحن فنقول : ﴿أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ /البقرة : ١٣٦/ . ثم دعاهم إلى التوحيد الخالص فقال لهم :

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ /آل عمران : ٦٤/ .

هل ترون - أيها الإخوة - هذه الدعوة ، إنها دعوة خالصة لوجه الله ، ليس وراءها مطمع سياسي ولا مطمع اقتصادي ولا جمع المريدين وشراء الأراضى ، وانظروا إلى هذه الآية الكريمة ففيهما دعوة إلى أمرين :

١- ألا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً .

٢- ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .

فماذا كان جواب أهل الكتاب ؟ .

إنهم أبوا الإذعان لهذه الدعوة ، ورفضوا دعوة نبينا ، واتهموه بأنه غير صادق ، وهنا نزل جبريل الأمين يجوب الآفاق ويحترق السبع الطباق حتى وصل إلى الحبيب الأعظم بأية كريمة جليلة ، فدعاهم رسول الله إلى المباهلة ، أي إلى أن يبتهلوا جميعاً ويدعوا الله عز وجل أن يجعل لعنته على الكاذبين .

اسمعوها على الموجهات الإيمانية القرآنية :

﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ / آل عمران : ٦١ .

وهنا نظر أعضاء الوفد الروحي بعضهم إلى بعض ، وتشاوروا في ذلك ثم أعلنوا أنهم رأوا ألا يلاعنوه وأن يتركوه على دينه ويبقوا هم على دينهم .

أيها السادة :

كانت نتائج هذه المحاولات في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام أن دخل بعض أحبار اليهود في الإسلام ، واسمحو لي أن أنقل على حضراتكم هذا الحدث الهام على صعيد قضية إيمان اليهود في المدينة ، واسمعوا إلى حديث ابن سلام حبر اليهود وعالمهم يحدثنا عن نفسه فيقول :

« لما سمعت رسول الله وعرفت صفته واسمه وهيئته وزمانه الذي كنا نتوَكَّف له .. فخرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا ، وكتمت إسلامي من اليهود ، وقلت يارسول الله : إن اليهود قوم بهت (زور وبهتان) وإنني أحب أن تدخلني في بعض بيوتكم فتغيبنني عنهم ثم تسألهم عني فيخبروك كيف أنا فيهم .

قال : فأدخلني رسول الله في بعض بيوته ، ودخلوا عليه فكلموه وسألوه ، ثم قال لهم : أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا . . . وراحوا يذكرون مكانته ، فلما فرغوا من قولهم خرج عليهم ابن سلام فقال لهم : يامعشر يهود اتقوا الله وأقبلوا ما جاءكم به . فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته فإني أشهد أنه رسول الله ، وأؤمن به وأصدق به وأعرفه فقالوا : كذبت ، ثم راحوا يعيبونه ويسفهونه فالتفت إلى رسول الله ﷺ وقال : ألم أخبرك يارسول الله أنهم قوم بهت «أهل غدر وكذب وفجور؟» (خ) .

إخوة الإيمان : ظهرت وللمرة الأولى بادرة النفاق ، فما هي هذه البادرة؟ إن المنافقين قوم قالوا : آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، يصلون كما يصلي المسلمون ، ويصومون كما يصوم المسلمون ، ويشاركون المسلمين في كثير من شعائر دينهم فهم في ظاهر أمرهم مسلمون ولكن قلوبهم تضمهر العداوة والبغضاء للإسلام وأهله ، فما هو سبب هذه العداوة؟

إن المتأمل بتلك الفئة يجد أن سبب عداواتهم مختلفة :

١- فمنهم قوم أبغض الإسلام لما فوت عليهم من المنفعة العاجلة والمصلحة الخاصة ، ومنهم عبد الله بن أبي ابن سلول الذي كاد عند مجيء رسول الله إلى المدينة أن يكون ملك يثر .

٢- وفريق آخر كان يرى في الإسلام خطراً على دينه .

٣- وفريق كان يستمع لتشكيك اليهود في رسول الله وفي دعوته .

٤- وفريق كان يرى رسول الله وجمعه من المهاجرين دخلاء على المدينة وعنصراً غريباً ينبغي ألا يمكن له فيها .

وعلى كل فقد كان هؤلاء وهؤلاء يشكون في انتصار الإسلام على اليهودية والوثنية ، فلما رأوا قوة المسلمين تزداد وسلطانهم يتمكن وخصوصاً

بعد غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة ، دخلوا في الإسلام ظاهراً وأضمرُوا له العداوة والبغضاء في أنفسهم وجعلوا يتربصون به الدوائر . ولكن الفاروق وأصحابه كانوا لهم بالمرصاد ، فكانوا يخافونهم أكثر من خوفهم من الله عز وجل ، وهذا بشهادة الله رب العالمين ، الذي أنزل على نبيه قوله : ﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله﴾ /الحشر: ١٣/ .

روي أنه اختصم يهودي ومنافق (يُظهر الإسلام) إلى سيدنا رسول الله فحكم رسول الله لليهودي . فقال المنافق : تعال نحتكم إلى عمر بن الخطاب (وكان المنافق يعرف أن سيدنا عمر يكره اليهود) فقدمنا على سيدنا عمر ، فتكلم اليهودي فقال : احتكمنا أنا وهذا إلى محمد بن عبد الله فحكم لي ، فقال : تعال نحتكم إلى عمر بن الخطاب . فقال سيدنا عمر للمنافق : أحق ما قال؟ قال المنافق : نعم . فقال سيدنا عمر : انتظرا لأحضر لكما الحكم الفصل ، فدخل سيدنا عمر وأخرج سيفه وضرب رأس المنافق وقال : هذا حكم من لم يرض بحكم رسول الله (ض) .

لذلك حين وصل الأمر بالمنافقين إلى هذا الحد ، واحتاج الإسلام إلى أن يدافع عنه أهله ، وأن يحموه من أذى أعدائه ، من أجل هذا أذن الله للمؤمنين في القتال ، لأنه الوسيلة الوحيدة لحماية العقيدة وتأمين المؤمنين بها حين لا تجدي وسائل السلم .

أريدكم - أيها السادة - أن تفهموا هذه القضية تماماً :

إن الله سبحانه حين أذن للمؤمنين في القتال لم يأذن لهم فيه إلا دفاعاً عن عقيدتهم وحماية لها من يعتدي عليها ، واسمحوا لي أن أستعرض على حضراتكم بعض الآيات القرآنية التي نزلت في الحث على الدفاع عن العقيدة وحمايتها : فالذين يقاتلون المؤمنين يجب على المؤمنين أن يقاتلوهم : ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ /البقرة: ١٩٠/ .

والذين يخرجون المؤمنين من ديارهم يجب على المؤمنين أن يقاتلوهم ﴿واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ /البقرة: ١٩٢/ .

والذين يحاولون الوقوف في سبيل الدعوة إلى الإسلام يجب قتالهم :
﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾ /البقرة : ١٩٣ .

والذين يخونون عهد المؤمنين يجب على المؤمنين قتالهم ﴿وإما تخافن
من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء﴾ .

والمبدأ العام في ذلك قوله تعالى : ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ .

إنها الحرب إذن ، ولكنها ليست لإكراه الناس على الإسلام ، وليست
للغنائم والسلب والمنافع ، وليست للقهر والغلب والاستغلال ، وليست
للاستعباد والتجبر والإذلال ، إنما هي للدفاع عن حرية العقيدة وعن كرامة
المعتقدين ، وقد بين الله هذه الحقيقة في كتابه بوضوح وجلاء فقال :

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ /البقرة : ٢٥٦ .

﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ /
الكهف : ٢٥ .

﴿إن عليّ إلا البلاغ﴾ ، ﴿إن أنت إلا نذير﴾ /فاطر : ٢٣ ، ﴿فذكر
إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾ /الغاشية : ٢٢ .

معشر السادة :

وهكذا نجد قوى الشر في العالم الإسلامي قد أجمعت القضاء على
الدعوة الإسلامية والدولة الفتية ، كفار مكة من جهة ، واليهود من جهة
والمنافقون من جهة ، فهل استطاعت قوى الشر أن تتغلب على قوى الخير؟
هل استطاعت الكثرة الكافرة أن تتغلب على القلة المؤمنة .

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى
وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس
فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

الخطبة في الغزوات والفتوح سيدنا محمد ﷺ

- ٦١ -

الحمد لله الذي نصر نبيه الكريم في المواقع والمواطن الجهادية ، وأيده بالمعجزات والآيات الربانية ، وأنزل عليه مدداً من ملائكته النورانية .
أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على نعمه المتكررة الإلهية .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع عنا كل بلية .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله الذي أزال ظلم الجبهالات والوثنية ونشر دين الله في الجزيرة العربية .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكننا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين ، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

يقول الله تعالى : ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾

لم تبق ناحية من نواحي شبه الجزيرة العربية إلا بدأت تحس سلطان الإسلام ، وما زاد من هذا السلطان أن مولانا عز وجل شرع لنبيه القتال دفاعاً

عن العقيدة ، وثبتتاً لدولة الإسلام الأولى ، فغزا رسول الله ﷺ سبعاً وعشرين غزوة وأرسل ستين سرية كان النصر في جميعها للمسلمين بشهادة رب العالمين في الآية التي صدرت بها حديثي إليكم ، وهذه الآية وإن كانت تسمى بأية الهجرة فإنه قد تأخر نزولها إلى السنة التاسعة للهجرة ، فلماذا تأخر نزولها إلى ما بعد تسع سنوات من حادث الهجرة؟ .

وللجواب عن هذا السؤال الهام أقول : لو نزلت هذه الآية بعد حادث الهجرة لقلنا إن الله قد نصر نبيه فقط في الهجرة من مكة إلى المدينة ، أما وقد نزلت بعد جميع الغزوات والسرايا فلكي تفهم - يا أخي المسلم - أن مولانا قد نصر نبيه الكريم في كل معركة خاضها مع أصحابه ولم يهزم في معركة واحدة .

كان هذا هو الموجز ، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الحادية والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أَدْعُكُمْ لترفَعُوا شعار التوحيد :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

أيها السادة :

لن أستعرض معكم الغزوات والسرايا الإسلامية لأن هذا محله السيرة النبوية ، ولكنني سأقف معكم حولها وقفات العقيدة الإسلامية ، فقد تجلّت عبقرية سيدنا رسول الله ﷺ في القيادة العسكرية بجوار رسالته العظمى التي هي الأساس ومصدر الإلهام والهداية في قيادته للجيوش وتعبئته الحكيمة وسده لمنافذ الخطر والهجوم ، وتقديره الصحيح لقوة العدو الحربية وعدده ومواضع نزوله ، جاءت تفاصيلها في كتب السيرة .

وقضيتنا الإيمانية اليوم تقول إن ذلك كله كان من أسباب النصر ، وأما الناصر الحقيقي فهو الله جل جلاله ، وليس الوسائل المادية ولا العسكرية

لذلك كنت ترى نبينا ﷺ في كل غزوة وبعد أن يتخذ أسباب نجاح المعركة ويوزع الجيش يتوجه إلى مولانا بالدعاء والاستغاثة به لينصر القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

نرى في بدر رسول الله يدعو مولانا ويستجير به ويناجيه ويناديه حتى سقط رداؤه عن كتفيه وأشفق عليه سيدنا الصديق والتزمه من خلفه وهو يقول له : كفى مناشدتك ربك يا رسول الله فإن الله منجز لك ما وعدك (م) .

وفي غزوة الأحزاب راح رسول الله يدعو : «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم» ، «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد» ، يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فإنك ترى ما نزل بي وبأصحابي (خ ٣٩٩٥ - ٤١١٥) .

فكان مولانا ينجده بالنصر والمنعة ، وينزل عليه الآيات القرآنية مؤكداً ومعلنأ بأن النصر من عنده جل جلاله وأن مولانا سينصره نصراً مؤزراً ، فنسمع مثلاً يقول عز من قائل في بدر :

﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ / آل عمران : ١٢٣ .

وفي أحد يقول مولانا : ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لما ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾ / الأحزاب : ٢٥ .

وفي المعارك والمواطن الجهادية : ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ / الأنفال : ١٧ - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ / الفتح : ١ .

رغم أن عدد المسلمين كان قليلاً وعدته ضعيفة ، ولكن الله كان ينصر نبيه وصحبه الأكرمين ، هذه القضية يجب أن يعلمها الناس في كل زمان ومكان ، في جميع الغزوات خلا غزوة حنين ، فقد كان العدد أضعافاً مضاعفة عن عدد المسلمين ، وكان النصر حليف المسلمين بعد امتحان شديد ، لذلك

علينا أن نعتقد أن النصر ليس بكثرة العدد والعدة ، ولكن النصر من عند الله ، هو الذي قال لنا :

﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يخذلكم فمّن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ / آل عمران : ١٦٠ . قولوا (لا أحد) .
أيها المسلمون :

إننا لا نقاتل بكثرة ولا عدد ولا قوة ، بل نقاتل بهذا الدين ، إننا أقوياء بالقدر الذي تتمسك فيه بديننا وعقيدتنا ، إننا أقوياء بالصلاة والصيام والحج والزكاة ، أقوياء بالأخلاق الإسلامية ، بالبر بأبائنا ، علينا أن نأخذ العبرة من سبقنا ، من الذين أعلنوها حرباً على الإسلام ، إنني ومن مقامي هذا أخطب العالم الإسلامي أجمع من شرقه لغربه خذوا العبرة من كان قبلكم لقد فتحنا الدنيا في ثلث قرن ، فتحنا ثلثي العالم في ثلث قرن ، وبدون دبابات وبدون طائرات ، فتحناه باعتمادنا على الله وبالتوكل عليه وبالتمسك بشرعه ودينه ، فتحناه بالعقيدة والإيمان ، كان نبينا ﷺ يقول في خلال المعارك كلمات إيمانية يقول مثلاً لصحابته (م) : «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ، والله لا يقاتلهم اليوم أحد مقبلاً غير مدبر لا يريد إلا الله تعالى إلا أدخله الله الجنة» فكان الصحابة يتسابقون لنيل الشهادة ، كانوا حريصين على الموت حرص الناس اليوم على الحياة ، كان القادة يقودون الجيوش وكلهم ثقة بالله ، أرسل سيدنا خالد بن الوليد لقائد كسرى رسالة يقول له فيها :

«أسلم تسلم والا فقد جئتكم بأقوام يحبون الموت كما تحبون الحياة» ،
وحين تحصن أهل قنسرين قال لهم سيدنا خالد :

«لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا» .

هذا هو الإيمان الراسخ الذي اكتسبه من عقيدة الإيمان ، كفانا تخبطاً في الحروب مع اليهود وهلم بنا نعد إلى الله تعالى فـ ﴿ما النصر إلا من عند الله﴾

إن الكثرة لا تغني شيئاً أمام الإيمان الراسخ ، إنني أذكر أن المسلمين في حنين كان عددهم قد بلغ اثني عشر ألف مقاتل ، حتى صار الناس يرددون لن نغلب اليوم من قلة ، واعتمدوا على قوتهم ، فما الذي حدث؟ إن جيش المسلمين سار وسط الليل ، وما إن انحط في الوادي حتى رأوا كتائب عظيمة قد شدت عليهم من جنبات الوادي وقمم حنين ، ففاجأت المقاتلين وراحوا يغيرون عليهم بالنبال ، فاضطرب أمر الجيش الإسلامي ، وخاصة الذين أسلموا حديثاً ، وأخذ الخوف والفرع من قلوبهم ، فأدبروا وأدبر أكثر الجيش عن المعركة وتفرق شمله ، حتى قال قائلهم : لن تنته هزيمتهم دون البحر . ولكن القائد الأعلى وقف ثابتاً لم يتزعزع عن مكانه ، ووقف معه حزبه الخاص من الصحب الكرام كأطواد الجبال ، صمدوا لما رأوا القيادة ثابتة الأركان راسخة العزائم ، ونبينا يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وأيد الله نبيه بملائكته ونزل جبريل فقال رسول الله : الآن حمي الوطيس ، وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار ، وألقى الله عليهم الرعب فولوا مدبرين بإذن من؟ بإذن الله الواحد القهار (خ ٤٣٣٣) . إذن الدرس الذي يجب على العالم الإسلامي أن يحفظه : أن الكثرة لا تغني شيئاً ، وإنما المدار على الإسلام ، على الإيمان وتمسكنا بهما أن وعقيدتنا هي : أن النصر من عند الله .

أيها السادة :

ليست هذه هي المعركة الوحيدة التي شاركت بها الملائكة ، فقد شاركت بقيادة الأمين جبريل في عدة غزوات مع المسلمين فني بدر وبعد الابتهالات النبوية والتضرعات لرب البرية أنزل عليهم مولانا :

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾ / الأنفال : ٩/ فقال لأبي بكر : أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله . هذا

جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على النقع (خ) ٣٩٩٥- الفتح ٧/ ٣١٢-
البداية والنهاية ٣/ ٢٨٤) .

وعلم الله الملائكة الحرب وضرب الرقاب : فقال عز وجل :

﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في
قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾ /
الأنفال : ١٢ .

فكان الصحابي يرفع سيفه ليقطع رأس الكافر فإذا هو يهوي عن
جسده تسبقه إليه الملائكة ، وفي الأحزاب : وصف الله حال الصحابة
الكرام فقال :

﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا .﴾ / الأحزاب : ١٠ .
ثم ماذا؟ : قال مولانا : ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها﴾ /
الأحزاب : ٩ .

وفي حنين : ﴿ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ
أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم من الله شيئاً وضائق عليكم الأرض بما
رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ /
التوبة : ٢٥-٢٦ .

أيها السادة :

وأما القضية الرابعة والأخيرة فهي قضية الأسرى ، فقد كانت الغنائم
حرام على الأمم التي قبلنا ، وأحلها الله لهذه الأمة كرامة لنبيننا صلوا عليه ،
فاسمع إلى حبيبك سيدنا محمد ﷺ يقول (خ) :

أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي :

- ١- كان كل نبي یبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة .
- ٢- وأحلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي .
- ٣- وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً فأیما رجل أدركته الصلاة صلی حیث كان .

٤- ونصرت بالرعب بین یدی مسيرة شهر .

٥- وأعطيت الشفاعة (اللهم أكرمنا بها على أحسن حال وأكمل مال) .

ومع قضية الأسرى لنا وقفة لأن بعض العلماء وقفوا منها موقفاً خاطئاً فاتهموا رسول الله بأنه أخطأ في أخذه الفداء ، وبنوا على ذلك أنه یخطئ في اجتهداه ولكن الله لا یقره على خطئه فینزل الوحي مصححاً له ، وهذه القضية رد عليها علماء أهل الشام وبنوا خطأ من قال هذا القول .

فعلماء العقيدة قرروا أن النبي معصوم عن الخطأ بعصمة الله تعالى واستدلوا على ذلك بأدلة مرت معنا في باب النبوات ، والذي أريد أن أقرره أنه لا یوجد أي قول لصحابي أو تابعي یصرح بأن نبینا أخطأ في ذلك ، بل الصواب كل الصواب فیما فعله رسول الله ﷺ وفيما أمر به قطعاً ، وإليكم الأدلة :

الدليل الأول : أن النبي الكريم عمل بذلك بمقتضى المشورة ، قال له مولانا ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ / آل عمران : ١٥٩ / ، وهو شاورهم ، استشار الصحابة ، وكل واحد أشار برأي ؛ منهم من أشار بأخذ الفداء وهو قول الصديق رضي الله عنه ، ومنهم من أشار بضرب رقابهم وهو قول الفاروق رضي الله عنه .

الدليل الثاني : أن نبینا جنح للفداء لما في هذا الرأي من الرحمة والعطف بمقتضى المقام الذي أقامه الله فيه ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ / الأنبياء : ١٠٧ / بل إنه لما أصيب في أحد قال له صحابته : ادع الله عليهم فقال ﷺ : « إنما بعثت رحمة ، اللهم اغفر لقومي فإنهم لا یعلمون » (حب : صحيح) .

الدليل الثالث : أن ما فعله كان موافقاً للقضاء الإلهي الأزلي القديم من أن الغنائم سوف تحل لهذه الأمة خاصة ، الفداء مثل الغنائم ، ولو كان أخذ الفداء من أسرى بدر خطأ لما كان رسول الله قال : «وأحلت الغنائم لي ولم تحل لأحد قبلي» (خ) فهذا مما أكرمه الله به .

الدليل الرابع : أن التشريع نزل بإحلال الغنائم لقوله تعالى : ﴿فكلموا مما غنمتم حلالاً طيباً﴾ وهو إقرار لما فعله رسول الله وتصويب لما رآه ، إذ لو كان خطأ كيف يقره عليه ، بل ويجعله باقياً إلى يوم القيامة ، لو كان خطأ لأمره الله بردّ الفداء ، لكن الله قال له ولأصحابه ﴿فكلموا مما غنمتم حلالاً طيباً﴾ / الأنفال : ٢٩ .

الدليل الخامس : انظروا لو أن رسول الله ضرب أعناق الأسرى ، ثم جاء الشرع بقبول الفداء من الأسرى ، ماذا سيكون موقف النبي بعد ذلك؟! لكن الحبيب تريث في القتل ، فكان تريثه هو عين الحكمة وهو الصواب ، لذا أقره الله سبحانه وشرع هذا التشريع .

الدليل السادس : لو كان أخذ الفداء خطأ لما أقره عليه مولانا في الغزوة التي كانت قبلها (في رجب) لما قتل عمرو بن الحضرمي ، فإنه فادى أسيرين لقريش كل واحد بأربعين أوقية .

الدليل السابع : قوله تعالى ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الحياة الدنيا﴾ / الأنفال : ٦٧ / فيها عتب لمن أشار على النبي بالفداء أو بأخذ الأسرى بتعبير آخر ، بغية عرض الحياة الدنيا (وهو المال) ، أما سيدنا رسول الله فما شاء أن يبغى عرض الحياة الدنيا ، فإن الدنيا كلها مالها قيمة عنده ، وقد عرضت عليه جبال تهامة أن تكون له ذهباً فأبى .

فما هو تأويل الآية : ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ / الأنفال : ٦٧ / ولكنه كان لك يا رسول الله كرامة خصصت بها من

بقية الأمم ، ما كان لنبي غيرك ، لولا كتاب من الله سبق بهذه الخصوصية
لصمكم فيما أخذتم عذاب عظيم .

ثم لها معنى آخر (هذه الآية) ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى
يثخن في الأرض يدل على أن الأسر كان مشروعاً ولكن بشرط الإثخان في
الأرض ، ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق﴾ .
هذه الآية التي جاءت في سورة سيدنا محمد التي نزلت قبل الأنفال ، نعم
كانت نزلت قبل الأنفال فاسمعوها : ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب
الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى
تضع الحرب أوزارها﴾ / محمد : ٤ / فحكم الأسرى كان نازلاً ومعروفاً ،
ولكن لم يكن ينبغي له أن يأخذ الأسرى حتى يثخن ، والمراد بالإثخان
القتل والتخويف الشديد وليس من شرط الإثخان قتل جميع الناس ، رغم أن
المسلمين في بدر قتلوا سبعين من صناديد الكفر .

إذاً الأسر يجوز بعد الإثخان ، وليس في الآية أن رسول الله قد اجتهد
في حكم الأسرى حين أسر وجاءت الآية تصحح اجتهاده ، ولا أن الأسر
الذي نعلم في بدر كان تشريعاً فجاءت الآية تبين خطأه ، وكذلك لا تدل
على أن الأسر كان ذنباً مخالفاً للحكم الذي نزل ، وكل ما هناك أنه كان
الأولى أن يشد أكثر في القتل والقتال حتى يكون الإثخان أبرز وبالتالي يتم
أخذ الأسرى .

فالآية - أخيراً - نزلت موضحة أن الإثخان قد مر على وجهه هو خلاف
الأولى إن جاز لنا التعبير .

أيها السادة :

علينا أن نعتقد أن رسول الله لا يخطئ ، لو أخطأ رسول الله لأمره
مولانا برد الفداء وقتل الأسرى ، وأن العتاب موجه لمن أراد بأخذ الفداء
عرض الحياة الدنيا ، وأما رسول الله فلا يخطئ ولم يخطئ في أي اجتهاد

اجتهده لأن مولانا وصفه بقوله ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ /النجم: ٤/ فكلمة ما ينطق من صيغ العموم يشمل الكتاب والسنة فجميع ما ينطق به ﷺ من التشريع هو من الله تعالى .

إن من يقول بأن نبينا أخطأ في بعض الأحكام أو في بعض اجتهاداته ثم صحح الله له هذا الخطأ يعني أنه ﷺ قد بلغ الناس شريعته من اجتهاده الشخصي لا من وحي الله إليه ، وهذا كله باطل عقلاً ونقلاً . فكيف ذلك؟

الدليل العقلي : أنه عليه الصلاة والسلام كان ينتظر الوحي في كثير من الأحكام مع الحاجة العاجلة لبيان الله في حينه ، فلو جاز عليه الاجتهاد لما أخرج الحكم حتى نزول الوحي ، فدل ذلك على أنه لم يجتهد بل دل على أنه لا يجوز له الاجتهاد لأن الاجتهاد معناه احتمال وقوع الخطأ ، ولأنه ﷺ واجب الاتباع فيعني أنه لو اجتهد وأخطأ لوجب علينا اتباع الخطأ وهذا أمر باطل لأنه معصوم عن الخطأ في التبليغ .

والدليل النقلي : آيات كثيرة كقوله تعالى يأمر نبيه الكريم أن يقول ﴿قل إنما أئذركم بالوحي﴾ وآية أخرى في الأحقاف ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ .

كما لا يقال إن الله لا يقره على الخطأ وأنه يبينه له سريعاً ، فهذا قول باطل ولا يجوز في حق الرسول أن يبلغ حكماً ثم يقول للناس إن ذلك الحكم خطأ لأنه من عندي والصواب هو ما جاءني من عند الله ، ثم يأمرهم بترك الحكم الأول واتباع الثاني ، ماهذا الكلام؟! .

فماذا نفسر بعض الآيات التي توهم أن رسول الله اجتهد فيها كموقفنا هذا في أسرى بدر ، وكقوله تعالى ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ . وقوله ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ /عبس: / .

ماذا يمكن أن نقول بهذه الآيات؟

إن هذه الآيات وأمثالها إنما أتت من قبيل تحديد الأولويات ، أي تحديد

ما هو الأولى بالرسول أن يقوم به أي أن نبينا كان الأولى أن يفعل كذا ، وليس أنه أخطأ بدليل أن الله أقره على ذلك هو من باب القاعدة التوحيدية «حسنات الأبرار سيئات المقربين» كما تقدم في باب صفات الأنبياء .

إخوة الإيمان :

تعالوا لنناقش (آية الإذن) التي أنزلها مولانا على نبيه بعد غزوة تبوك في سورة التوبة ، في السنة التاسعة للهجرة والتي أذن فيها رسول الله لبعض المنافقين في التخلف عن المعركة ، وهي قوله تعالى :

﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ .

هل تدل هذه الآية على أن نبينا أخطأ في إعطائهم الإذن أم لا ؟ إن الدارس لتاريخ التشريع الاسلامي يحكم مباشرة على أن النبي فعل ما هو خلاف الأولى على نفس القاعدة السابقة ، لأن آية نزلت قبل هذه الآية في سورة النور أذنت لنبينا أن يأذن لمن يشاء ، وسورة النور نزلت قبل التوبة ، والآية هي : ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ /النور: ٦٢/ .

فحكم الإذن كان معروفاً قبل غزوة تبوك ، فلما أذن لهم في هذه الغزوة عاتبه مولانا عتاب الحبيب لحبيبه قائلاً ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ ، ولا يفهم من كلمة عفا الله عنك أن نبينا قد أذنب والعياذ بالله ، بل هي عبارة كانت العرب تتداولها في أثناء حديثها مع العظماء ، فهذه الآية ليست تصحيحاً لاجتهاد ولا تشريعاً لحكم يخالف حكماً كان الرسول قد اجتهد فيه في الحادثة نفسها .

وهكذا - أيها السادة - ثبت لدينا شرعاً وعقلاً بأن من كمال العقيدة الإسلامية الإيمان الجازم بأن رسول الله لا يجوز في حقه مطلقاً أن يكون مجتهداً لأن المجتهد يعتريه الخطأ والصواب ، وبذلك تسقط استدالات الكتاب الذين

يرون أن رسول الله مجتهد في السنة النبوية ، وهذه من أخبث الفكر المدمرة للعقيدة الإسلامية وللتشريع الإسلامي لأننا اليوم إذا قلنا : إن رسول الله أخطأ ، فسيأتي علينا يوم ما نقول فيه إن تشريع سيدنا محمد من اجتهاد محمد وأنه خاطئ ، وما دام خاطئاً فليس مطلوباً علينا اتباعه ، هذه هي النتيجة الطبيعية التي يريد أعداء الاسلام أن نصل إليها ، فالله الله - معشر السادة - واذكروا قول مولانا ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ / النجم : ٣ - ٤ / .

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



خصائص

سيدنا محمد ﷺ

- ٦٢ -

الحمد لله الذي يجتبي من يشاء من عباده ، ويصطفى من خلقه من شاء من أهل وداده ، رفعهم فوق الناس درجات وجعلهم من أكرم أهل بلاده .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجعلنا من خير أحبائه .
وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد أنبيائه وأكرم رسله وأوليائه خير نبي اجتباه ورحمة للعالمين أرسله .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكننا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين ، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليمًا .
أما بعد :

فمازلنا نقف بإجلال أمام الشخصية العظيمة التي فاقت شخصيات الدنيا منذ أن خلق الله البسيطة وإلى أن تقوم الساعة ، مازلنا بصدد الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ الذي كان يقول : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر آدم ومن دونه

تحت لوائي ولا فخر) (ت ٥/٥٨٧ - أحمد ١/٥ صحيح) ، وكان يقول بتواضع : (أدبني ربي فأحسن تأديبي) (ض) . نبي كريم لخص بعثته إلى الناس في كلمتين بليغتين فقال ﷺ : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) حسن لغيره : (مالك) .

يامن له الأخلاق ما تهوى العلى منها وما يتعشق الكبراء
زانتك بالخلق العظيم شمائل يغرى بهن ويولع الكرماء
إننا ما زلنا نشرح بيتاً من أبيات الشرونية في العقيدة :
واجزم بأن المصطفى التهامي أفضل مبعوث إلى الأنام
إننا مع الحلقة الثانية والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع
الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله .

أيها السادة :

نال رسول الله من العطاء الإلهي نصيباً وافراً فخصه الله من بين سائر أنبيائه ورسله بخصوصيات لم يعطها لأحد قبله وأولى هذه الخصوصيات أنه أول النبيين ، فعند الإمام أحمد وغيره عن ميسرة قال قلت يا رسول الله : متى كنت نبياً؟ قال : وأدم بين الروح والجسد . فهو أول النبيين حقيقةً وآخرهم صورةً وجسداً . وهو خاتم النبيين نص على هذا الكتاب المبين قال تعالى :

﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾
/الأحزاب : ٤٠/ . ولهذا كان السيد الأعظم يقول (أحمد) : «إنني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طيئته» . وكان خاتم النبوة بين كتفيه «مثل بيضة الحمام» (م ٢٣٤٤) .

ولهذا أخذ الله العهد على جميع الأنبياء والرسل إذا بُعث سيدنا محمد ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه ، فالأنبياء نوابه وخلفاؤه في عالم الأجسام يقول رب العزة والجلال :

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ (وهو سيدنا محمد ﷺ) لِتُؤْمِنُوا بِهِ وَلْتَنْصِرُنَّهُ قَالَ : أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي . قَالُوا : أَفَرَرْنَا . قَالَ : فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ / آل عمران : ٨١ / ولذلك كان الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه يقول :

كل النبيين والرسل الكرام أتوا نيابةً عنه في تبليغ دعواه
فهو الرسول إلى كل الخلائق في كل الدهور ونابت عنه أفواه
ولأجل ذلك نرى مولانا عز وجل لم يكتب إلى جنب اسمه على العرش
إلا اسم سيدنا محمد (ياسعد من صلى عليه) . فعن عمر بن الخطاب (ح) -
هب- طب وأبو نعيم- وابن عساكر (ض) قال ﷺ :

«لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب بحق محمد لما غفرت لي ، قال : وكيف عرفت محمد؟ قال : لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . قال : صدقت يا آدم وإذ سألتني به غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك» .

صلوا على الحبيب الأعظم ، صلوا على من قال (ض) «من صلى عليّ في يوم ألف مرة لم يميت حتى يرى مقعده من الجنة» .

ومن كرامته على مولانا أنه ذكره في الأذان والإقامة مقروناً بذكره تعالى وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ قال تعالى : لا أذكر إلا وذكرت معي (مرسل صحيح) ، بل لا يُقبل إيمان عبد ماله يشهد بالرسالة له ﷺ : وأشهد أن محمد رسول الله .

أيها السادة :

واسمحوا لي أن أنقل لكم على موجات الأثير جزءاً من الرحلة المباركة التي اختص الله بها نبيه الكريم بالإسراء والمعراج (الزيارة) : فإنني

أرى الأمين جبريل ومعه البراق وهما هو رسول الله يريد أن يركبها فشملت .
فقال لها جبريل : اسكني فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد .
(صل على النبي من قلبك) ، صلوا على من قال «من صلى علي لم تزل
الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك أوليكثر» . (هـ-
أحمد-هـ-حسن .

قال فارفضت عرقاً ، ثم ركبها رسول الله حتى انتهى بها إلى الحجاب
الذي يلي الرحمن ، فبينما هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال الله أكبر
الله أكبر ، فقل له من وراء الحجاب : صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر .
ثم قال الملك : أشهد أن لا إله إلا الله فقل من وراء الحجاب : صدق
عبدي لا إله إلا أنا .

فقال الملك : أشهد أن محمداً رسول الله ، فقل من وراء الحجاب : صدق
عبدي أنا أرسلت محمداً .

قال الملك : حي على الصلاة حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت
الصلاة الله أكبر الله أكبر . فقل من وراء حجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر .
ثم قال : لا إله إلا الله . فقل : صدق عبدي لا إله إلا أنا .
ثم أخذ الملك بيد سيدنا محمد ﷺ فقدمه فأمر أهل السموات فيهم آدم
ونوح ، فيومئذ أكمل الله لسيدنا محمد ﷺ الشرف على أهل السموات
والأرض .

هذه هي الإكرامات العظيمة الإلهية لأشرف الخلق في الأرض والسماء ،
وإليكم هذه الآية التي أوتيتها من تحبون أن تصلوا عليه ، قال لصحابته يوماً (ق) :
«هل ترون قبلتي ههنا ، فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجدكم إنني
لأراكم من وراء ظهري» .

محمد بشر وليس كالبشر بل هو ياقوته والناس كالخجر
ما تئاءب قط ، وليس له ظل في شمس ولا قمر ، وكان لا يقترب منه

الذباب ولا القمل، وفضلاته جميعها طاهرة (صلوا عليه) تنام عيناه وقلبه لا ينام (ق) وكانت السيدة عائشة تقول: يارسول الله تأتي الخلاء فلا يرى منك شيء من الأذى، فكان يقول لها: أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء ولا يرى منه شيء. ورحم الله شيخنا على مذهب مالك كان يعلمنا:

خصص نبينا بعشرة خصال	لم يحتلم قط ولا له ظلال
الأرض ما يخرج منه تبتلع	كذلك الذباب عنه ممتنع
تنام عيناه وقلبه لا ينام	يرى من خلفه كما يرى أمام
تعرفه الدواب حين يركب	تأتي إليه سرعة لا تهرب
على جلوسه جلوس الجلوس	صلى عليه الله صباحاً ومساء

إنه لفضل عظيم ومقام كريم تلك الآية التي نزلت في جاهه ومكانته عند الله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ / الأحزاب: ٥٦ / واليكم هذه البشارة لأنكم صليتم على النبي من قلوبكم:

(د) عن سيدنا أبي بكر الصديق عنه رضي الله عنه أنه قال في حجة الوداع: «إن الله عز وجل قد وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار، فمن استغفر بنية صادقة غفر له ومن قال: لا إله إلا الله رجح ميزانه، ومن صلى علي كنت شفيعه يوم القيامة» فما هو الذي يشفع له رسول الله؟ اسمعه يقول لك (طب): «من صلى علي حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة».

وما اختص الله به نبينا قوة صوته صلوات الله عليه كان الرجل يسمعه وهو بعيد عنه جداً، اسمع إلى السيدة أم هانئ تقول: (هـ- هب): «كنا نسمع قراءة النبي في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي».

ومنها قوة وطئه صلوات الله عليه فعن أنس (خ) قال: (كان النبي يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة. فقليل لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين).

أيها الإخوة :

بشر برسالة نبينا الإنس والجن والملك والحيوان كلهم بشروا ببعثته ﷺ ،
فعن سيدنا عمر (خ) بينما كان أحد الكهان قبل الإسلام يذبح عجلاً إذ صارخ
منه يصرخ قائلاً : يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله ، يقول سيدنا
عمر فسمعتة يكررها ثلاثاً ، فما هو إلا أن قيل : بعث محمد نبياً .

وعند الترمذي بسند حسن صحيح : أن ذئباً غار على نعاج فاخطف
نعجة فأسرع الراعي وأخذ منه النعجة : فأنطق الله الذئب وقال : عجباً تأخذ
مني رزقاً ساقه الله إلي؟! فقال الراعي : ذئب يتكلم هذا عجيب . فقال
الذئب أدلك على أعجب من ذلك؟ رسول الله بين أظهركم ولا تؤمنون به؟!
قال الراعي : لو أن هناك من يحرس الغنم لذهبت فأمنت به . فقال الذئب :
اتركهم فأنا أحرسهم لك . فذهب الأعرابي حتى بلغ سيدنا رسول الله ﷺ
ودل عليه فما إن دخل عليه الأعرابي حتى قال : أين تركت غنمك ، إنه راع
أمين (لا تخف ما زالت غنمك بخير) فأسلم الأعرابي لساعته وعاد فأعطى
الذئب نعجة مكافأة له على أمانته (١) .

وأعجب من هذا أن الله أنطق شاة مذبوحة مسمومة فقالت للنبي لا
تأكلني فإني مسمومة ، واستدعى اليهودية التي أهده إياها ، وسألها فقالت :
إن كنت نبياً لم يضرك وإن كنت كذاباً أراحنا الله منك ، فتركها رسول الله فلما
مات أحد الصحابة الذين أكلوا معه جيء باليهودية فقتلت به (حا ٣ / ٢٢٠) .

وبما من الله به على نبيه : نبع الماء من بين أصابعه ﷺ فعند البخاري
أن بعض الصحابة كانوا معه في سفر فقل الماء معهم فدعا رسول الله بماء
قليل فأدخل يده فيه ثم قال : حي على الطهور المبارك من الله تعالى يقول
الصحابة : فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ (خ) .

صلوا على الهادي البشير المنذر صلوا على أهل الكمال المسفر

(١) - وانظر شاهدأله عندخ ٣٦٦٣ .

قال لنا : «من صلى على صلاة من تلقاء نفسه صلى الله عليه بها عشرأ وحط عنه عشر سيئات وكتب له عشر حسنات ورفع له عشر درجات» . (بز- طب- هـ ٦٠٨) .

إن صلاتنا على النبي دليل محبتنا له ، ثقوا تماماً أن كل ذرة في الوجود تحب سيدنا محمداً ، يحدثنا (خ) سيدنا عمر عن هذا الحب فيقول : كان مسجده ﷺ مسقوفاً من جذوع من نخل ، فكان النبي إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر علا عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً وصياحاً بالبكاء كبكاء وصياح الصبي ، فنزل رسول الله ﷺ فضمه إلى صدره فسكن أنينه وصياحه يارسول الله :

يا حبيب القلوب أنت الحبيب أنت أنسي وأنت مني قريب
يا طبيباً بذكره يتداوى كل ذي سقم فنعم الطبيب
أيها السادة :

وقد حدث رسول الله عن هذا الشرف العالي الذي آتاه الله تعالى ، فكان يقول : «فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون» (م ٥٣٣) .
وفي رواية : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي :

(كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً فأما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة) .

لذلك كان ﷺ يقول (م د) «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» فمن هم أول من يشفع لهم رسول الله ﷺ ، اسمعوا وأنتم تصلون عليه يقول (طب حط- ض) :

«أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي أهل بيتي ، ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ، ثم من آمن بي واتبعني من اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم ، ومن أشفع له أولاً أفضل» .

ولهذا كان يقول ﷺ : «لكل نبي دعوة مستجابة ، واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» (ق) .

يامن له عز الشفاعة وحده وهو المنزلة ماله شفعاؤ
أعطيت فضلاً لا يباح لمرسلٍ والله يعطي الفضل كيف يشاء
أيها السادة الكرام :

ومن الأمور التي نالها الحبيب الأعظم من بين سائر الأنبياء نهر الكوثر الذي ذكره مولانا في كتابه : إنا أعطيناك الكوثر وهو غير الحوض المورود الذي أعطاه الله لنبينا في الجنة ، وقد سأله الصحابة عن الكوثر فقال (صلوا عليه) :
- «نهر ما بين صنعاء إلى بصرى عليه أنية بعدد نجوم السماء وعدنيه ربي» وفي رواية :

- من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً» (متواترة) .

اللهم ارزقنا شربة منه لا نظمأ بعدها أبداً ، فمن هو الذي يشرب من نهر الكوثر : اسمعوا الحديث وصلوا على الحبيب : «إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة» . فصلوا عليه وسلموا تسليماً .

هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



عَلَى النَّبِیَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَیِّدِنَا مُحَمَّدٍ

- ٦٣ -

الحمد لله الذي يهمل ولا يهمل ، ولا معقب لحكمه وهو السميع العليم
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الحكم العدل لا يعزب عن
علمه مثقال ذرة في الأرض وفي السموات وهو الرحمن الرحيم .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نبي أنقذنا الله به من نار الجحيم .
استيقظ يوماً من نومه محمراً وجهه وهو يقول : لا إله إلا الله ويل للعرب
من شرق قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج بمثل هذه . . . قيل : أنهلك
وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثرت الخبث (الأربعة) (خ ٣٣٤٦) .
اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الهداه المهتدين ، وسلم تسليمًا .
أما بعد :

فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة .
«ستكون فتن : القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ،
والماشي فيها خير من الساعي» (الأربعة) (خ ٧٠٨١) .
نطق بهذا فم سيدنا رسول الله ﷺ فقد كشف الله لنبينا الغطاء عن
حوادث الدنيا والآخرة فرأى أمته وما سيحل بها فنبه ووعظ ، وحذر وجنب
الوقوع في هذه الفتن ، يقول عنه صحابته رضي الله عنهم (م) : «صلى بنا
رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ،
ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر

فخطب حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا .
وفي رواية سيدنا حذيفة : «ما ترك شيئاً يكون من مقامه ذلك إلى قيام
الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه» (ق) .
أيها السادة :

إننا مع الحلقة الثالثة والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع
الدرويشية وعنوان هذه الحلقة دلائل النبوة أو علائم نبوة سيدنا محمد ﷺ ومع
بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد :

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله.

معشر الإخوة الكرام :

أخبرنا رسول الله ﷺ بما كان من أخبار الأمم السالفة وأنبيائهم
ورسلهم ، ثم أخبرنا بأحوالنا في بيوتاتنا وبين أهلينا وماذا سيحدث لنا مع
أعدائنا ، ثم أخبرنا عن أمتنا الإسلامية وماذا سيحدث لها في آخر الزمان
فتحقق ما أخبرنا به أولاً وثانياً وسوف يتحقق ما أخبرنا به ثالثاً لأنه الصادق
المصدوق (صلوا عليه) فكان هذا من دلائل نبوته ﷺ وكل ما ترونه من
خلافات المسلمين والدول الإسلامية ، ثم خلافتها مع الدول الأجنبية كله
ذكره رسول الله ﷺ فعن سيدنا ثوبان عن النبي ﷺ قال : إن الله زوى لي
الأرض (قبضها وجمعها) فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما
زوى لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض (الذهب والفضة) وإني
سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة بعامة وألا يسلط عليهم عدواً من سوى
أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد إني قضيت قضاءً فإنه لا
يرد ، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدواً
من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو من بين
أقطارها حتى يكون بعضهم يهلكُ بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً . (م ت د) ،

وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة (إن لم يكن في بلديكون في آخر وهكذا . .)، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي (خ)، (ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) (خ) .

إخوة الإيمان :

وأخبر نبينا أنه سيكون في هذه الأمة أربع فتن عظيمة : الأولى يُستحلُّ فيها الدم ، والثانية يستحل فيها الدم والمال ، والثالثة يستحل فيها الدم والمال والفرج ، والرابعة الدجال .

وقد سَمَّاهُ في حديث صحيح عند أبي دؤاد فذكر أسماء الفتن :

الأولى : فتنة الأَحْلَاسِ ثم فتنة السَّرائِرِ ثم فتنة الدَّهِيَمَاءِ : هذه الفتنة لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمَةً فإذا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَّتْ ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، حتى يصير الناس إلى فسطاطين فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده .

وكان سيدنا حذيفة بن اليمان أمين سر سيدنا رسول الله ﷺ يحلف ويقول : «والله ما ترك رسول الله من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سَمَّاهُ لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته . يقول سيدنا حذيفة رضي الله عنه (ق د) :

«كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت : يا رسول الله ! إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال : نعم . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال : نعم وفيها دخن . قلت : وما دخنه؟ قال : قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر . قلت فهل بعد ذلك الخير من شر . قال : نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها . قلت : يا رسول الله صفهم لنا . قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا . قلت : فما تأمرني إن أدركني

ذلك ، قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت : فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ، قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» .

أيها السادة :

كانت أول وأعظم مصيبة حلت بالمسلمين موت سيدنا رسول الله ﷺ ، وكانت المصيبة الثانية ارتداد العرب عن الإسلام ، فقد أخبر عن ذلك رسول الله قبل موته فقال : «لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين» (م- أحمد) (وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان) . ثم بدأت المصائب تتوالى بمقتل الفاروق ثم سيدنا عثمان فسيدنا علي ، قولوا رضي الله عنهم .

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام عن ذلك أيضاً حين وقف على جبل أحد يوماً وقد قال فيه الحبيب الأعظم : (أحد جبل يحبنا ونحبه) (خ) . وقف عليه الحبيب الأعظم وكان معه سيدنا أبو بكر وعمر وعثمان فاهتز الجبل طرباً فرحاً بهؤلاء جميعاً فقال له سيدنا رسول الله : («اثبت أحد فإن عليك نبياً وصديقاً وشهيدين») (خ) .

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام عن توليهم الخلافة بهذا الترتيب وتحدث عن دولة بني أمية ودولة بني العباس . وهذا الحديث وإن كان قاله سيدنا عبد الله بن عمرو لكن له حكم المرفوع ، اسمعه يقول لنا ! (أبو نعيم عن عبد الله بن عمرو) (كتاب السنة لابن أبي عاصم ١١٥٣) : يكون على هذه الأمة اثنا عشر خليفة أبو بكر أصبتم اسمه ، عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه ، عثمان بن عفان ذو النورين قتل مظلوماً أو في كفلين من الرحمة ، ملك الأرض المقدسة معاوية وابنه ثم يكون السفاح ومنصور وجابر (الرشيد) والأمين وسلام وأمير العصب لا يرى مثله ولا يدري مثله كلهم من بني كعب بن لؤي» .

أسمعتم أيها السادة : مثل هذه الدلائل العظيمة على نبوته ﷺ سُمي الخلفاء بأسمائهم وهم لم يولدوا بعد من بني العباس ، كما أنه أخبرنا عما سيجري بين سيدنا علي والسيدة عائشة رضي الله عنها بعد مقتل سيدنا عثمان في معركة الجمل ، فقد جلس يوماً مع زوجته رضي الله عنهن فقال لهن : «أيتكن صاحبة الجمل الأدب تخرج حتى تنبجها كلاب الحوآب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة . وتنجو بعدما كادت أي تهلك» . وقد حدثت تماماً هذه الدلائل التي أخبرنا عنها بل حدثنا أكثر :

نظر يوماً إلى الزبير بن العوام وسيدنا علي وكل واحد منهما يبتسم للآخر ، فقال للزبير : أتعجب علياً؟ قال : نعم يارسول الله . قال له : «أما إنك ستقاتله وأنت ظالم له» .

وفعلاً شارك الزبير في مقاتلة سيدنا علي في موقعة جمل السيدة عائشة التي قادت المعركة للأخذ بثأر سيدنا عثمان وقتل حولها كثيرون مدافعين عنها ثم كسرت رجل الجمل وكادت أم المؤمنين تسقط على الأرض فأدركها سيدنا علي وقال : «حافظوا على أمكم وأكرموها ، وأمر بإرجاعها إلى وطنها» .

وحدث نبينا عما سيحدث بين سيدنا علي وسيدنا معاوية من المقتلة العظيمة ، وكيف أن سيدنا الحسن يصلح بين الفريقين فقال : ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» وقد حدث ما أخبرنا عنه ﷺ فقال : «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة وكلاهما يدعوان إلى الحق» . وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج (وهو القتل) وحتى يكثر المال فيفيض ، وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : ياليتني مكانه (ق د ت) .

حدثنا عن استئثار الملوك والحكام بالحكم وأن الحكم سيصبح وراثياً بين أبناء الملوك ، منها حديث «الخلافة بعدي ثلاثون ثم تصبح ملكاً عضوضاً» ومنها

حديث : «سيكون عليكم أمراء إن أطعتموهم أدخلوكم النار ، وإن عصيتموهم قتلوكم فقال رجل : يا رسول الله سمهم لنا لعنا نحشوفي وجوههم التراب . فقال : عليهم يحشون في وجهك ويفقؤون عينك» .

ومن علائم نبوته ﷺ إخباره عن الذين سيدعون النبوة فقال :

«لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ﷺ (ق د ت) ، وقد خرج منهم كثيرون منهم العنسي اليمني ومسيلمة وابن صياد وهؤلاء ظهوروا في زمن النبي وهلكوا ، وخرج بعدهم المختار الثقفي وأما المسيح الدجال فثقوا أنه سيخرج مصداقاً لقوله ﷺ ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يقول : إن في ثقيف كذاباً ومبيراً ، فأما الكذاب فهو المختار الثقفي ، وأما المبير فهو الحجاج الذي قتل أناساً كثيرين من أهل العراق بلغوا أكثر من مئة وعشرين ألفاً لذلك سمي مبيراً .

وبمناسبة الحديث عن العراق فإن نبينا أخبر عن الحصار الاقتصادي الذي سيحصل لعراق والذي نشاهد آثاره في التلفزيون يقول ﷺ (م) : يوشك أهل العراق ألا يجبى إليهم قفيز ولا درهم . قلنا : من أين ذلك؟ قال : العجم يمنعون ذلك» ، وماخفي كان أعظم .

معشر السادة :

وحدث نبينا عن فتوحات ستحدث للأمة ، حدث عن فتح الشام وفتح فارس وعن قتال الترك وغزو الهند وخراسان والسند والصين ، وعن التفسخ الأخلاقي الذي سيحدث لهذه الأمة ، وأن نتيجةه ستكون غضب الله على عباده منها : إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم غضب الله « وإليكم هذا الحديث الشريف وتصوروا معي هذا الوصف الدقيق للأمة الإسلامية بعد أن تصلوا على الحبيب الأعظم الذي يقول :

«لا تقوم الساعة حتى تركب أمتي المياثر (الوسائد المشيرة : المريحة وهي السيارات اليوم) يأتون المساجد نساؤهم كاسيات عاريات العنوهن فإنهن ملعونات» .

وإليكم هذا الحديث الذي حدث في أوروبا ولا أدري إن كان حدث في بلادنا يقول ﷺ :

«تمشي المرأة في الطريق فيرفع ذيلها فتتكح فيقول قائل : هلا داريتها خلف الجدار ، فيومئذ ذلك القائل كأبي بكر وعمر فيكم» . أو كما قال ﷺ (الفتح عند حديث ٧١٢٠-٧١٢١ طب) :

حقيقة علينا أن نخاف أن نكون إحدى أمارات الساعة ، فتعالوا نفتح كتب الحديث الشريف لنسمع الدرر والحقائق التي لا حقائق بعدها من فم الصادق المصدوق ﷺ .

سيدنا أنس يحدثنا أنه سمعه يقول (خ) : «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويكثر النساء ويقل الرجال» هذا وصف دقيق لحالة الأمة اليوم ، وانظروا إلى العاقبة إلى جزاء المعصية .

يقول ﷺ (ت ٨- ٢٣٠ - ٤٥٦ / ٦) : في هذه الأمة خسف ومسح وقذف فقال رجل من المسلمين يا رسول الله ومتى ذلك قال : إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر» يعني لا تستغربوا يوماً ما أن تستيقظوا وتسمعون إن الله قد مسح المطربة فلانة أو المطرب فلان أو العازف الشرقي فلان إذا مسحهم الله قرده أو خنازير فهذا حدث عنه نبينا ﷺ .

وعن سيدنا علي عنه ﷺ قال : إذا فعلت أمتي خمس عشر خصلة حل بها البلاء . فقيل : وما هن يا رسول الله قال : إذا كان المغنم دولاً ، والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً وأطاع الرجل زوجته ، وعق أمه وبرَّ صديقه وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمر ، ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً» (ت ٣٠٨ ض) .

أيها السادة :

أذيع على حضراتكم هذا البيان النبوي المؤلف من اثنتين وسبعين فقرة كلها دلائل واضحة وجلية على نبوته ﷺ هو حديث ضعيف لكنه ارتفع إلى مرتبة الصحة لأن الحوادث التي ذكرها فيه وقعت كلها كما أخبر عنها يقول :

«إن من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة :

إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة ، وأضاعوا الأمانة ، وأكلوا الربا ، واستحلوا الكذب ، واستخفوا بالدماء ، واستعلوا بالبناء ، وباعوا الدين بالدنيا ، وتقطعت الأرحام ، ويكون الحلم ضعفاً والكذب صدقاً ، والحريز لباساً ، وظهر الجور ، وكثر الطلاق وموت الفجأة ، وائتمن الخائن وخون الأمين ، وصدق الكاذب ، وكذب الصادق ، وكثر القذف ، وكان المطر قيظاً ، والولد غيظاً ، وفاض اللئام فيضاً ، وغاض الكرام غيضاً ، وكان الأمراء والوزراء خونة ، والعرفاء ظلمة ، والقراء فسقة ، إذا لبسوا مسوك الضأن ، قلوبهم أنتن من الجيفة وأمر من الصبر ، يغشيه الله فتنة يتهاوكون فيها تهاووك اليهود الظلمة ، وتظهر الصفراء ، وتطلب البيضاء ، وتكثر الخطباء ، ويقل الأمر بالمعروف ، وحلت المصاحف ، وصورت المساجد ، وطولت المناير ، وخربت القلوب ، وشربت الخمر ، وعطلت الحدود ، وولدت الأمة ربتها ، وترى الحفاة العراة صاروا ملوكاً ، وشاركت امرأة زوجها في التجارة ، وتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، وحلف بغير الله ، وشهد المرء من غير أن يستشهد ، وسلم للمعرفة وتفق لغير الله ، وطلبت الدنيا بعمل الآخرة ، واتخذ المغنم دولا ، والأمانة مغنماً ، والزكاة مغرماً ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وعق الرجل أباه ، وجفا أمه ، وبر صديقه ، وأطاع امرأته ، وعلت أصوات الفسقة في المساجد ، واتخذت القيان والمعازف ، وشربت الخمر في الطرق ، واتخذ الظلم فخراً ، وبيع الحكم وكثرت الشرط ، واتخذ القرآن مزامير ، وجلود

السباع صفافاً (تجعل على المقاعد والسروج) ولعن آخر هذه الأمة أولها
فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات .

كل هذه الحوادث قد وقعت واحدة واحدة ، بل إن ابن عساكر يروي
عن الزهري أن رسول الله ﷺ قال : دمشق معقل المسلمين من الروم إذا
وقعت الملاحم (الحروب المذابح) وعلامة ملاحم الروم إذا بنيت مدينة من
دمشق على أربعة أميال قبل الغرب (وقد بنيت اليوم في المزة) .

أيها الإخوة الكرام : فما هي نصيحة سيدنا رسول الله لنا؟ هذه
النصيحة نصحتها سيدنا عمر لأهل الشام حين قدم الجابية ، فقال : أيها
الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال :

«أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ، ثم يفسو الكذب حتى يحلف
الرجل ولا يستحلف ، ويشهد الشاهد ولا يُستشهد ، ألا لا يخلون رجل بامرأة
إلا كان ثالثهما الشيطان ، عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع
الواحد وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة ، من
سرتة حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن» (ت ٢ / ٢٥ - حا ١ / ١١٤ -
أحمد ١ / ١٨ صحيح) .

فكيف كانت حياة نبينا الزوجية كيف كان مع أمهات المؤمنين؟ ما
فضائلهن؟

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى
وأعود بكم من هناك إلى هنا ، هنا مدرسة التوحيد .



آل سیدنا محمد صلی اللہ علیہ وسلم أزواجه أمهات المؤمنین

أزواجه أمهات المؤمنين سيدنا محمد ﷺ

- ٦٤ -

الحمد لله الذي جعل من بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرا ، فجعله نسباً وصهراً ، وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الزواج جبراً ، وعظم أمر الأنساب فجعل لها قدراً ، وندب إلى النكاح وحث عليه اسحتباباً وأمرافقال تعالى : ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ /النور : ٣٢ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مدح أنبياءه ورسله الكرام فقال مخاطباً نبينا محمداً ﷺ ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ /الرعد : ٣٨ .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله قال له مولانا : ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ /الأحزاب : ٥٠ .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليماً .

أما بعد فيا حمة الإسلام وحراس العقيدة :

يتخذ أعداء الإسلام من جمع سيدنا رسول الله ﷺ بين تسع نسوة في وقت واحد منفذاً للطعن ووسيلةً للاتهام ، وحين يبحثون عن الأسباب فلا يجدون إلا الشهوة الجنسية والثورة الغريزية ، دون أن يحيطوا بالظروف التي صحبت هذا الزواج ، ودون البحث عن أسباب الجمع لحقدهم على الإسلام ورسول الإنسانية الأعظم ، ولعداوتهم المترسخة في سويداء القلوب .

إن تعدد الزوجات ليس أمراً مستحدثاً في الشرع المطهر بل هو أمر قديم قدم الزمان . فقد تحدثنا في ملف الأنبياء أن نبي الله داود كان له مئة زوجة ، وكان لنبي الله سليمان كما في التوراة سبعمئة زوجة من الحرائر وثلاثمئة جارية فكيف ينكر أعداء الإسلام تزوج نبينا بإحدى عشرة امرأة ، إن هذا الشيء عجاب .

أيها الإخوة الكرام : إننا اليوم نقوم بالرد على أعداء الإسلام في الحلقة الرابعة والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

أيها السادة :

خاض العابثون الحاقدون على هذا الدين بتمويه الحقائق لتشويه الإسلام بالطعن على سيدنا رسول الله بسبب تعدد زوجاته ، وهذه عادة أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم الذين يفترون الكذب والبهتان ، فقالوا : إن هذا التعدد ليس إلا لقوته الجنسية وحبه للشهوة واللذة والمتعة النفسية .

إن هذا الكلام يقلب الحقائق إلى أباطيل مع أبناء الإسلام .

إن تعدد الزوجات بحق نبينا ﷺ ليس كما يقول أعداء الإسلام ، إنما هذا التعدد هو رحمة من الله تعالى ، ولو كان كلامهم صحيحاً لكان نبينا قد تزوج جميع النساء في مرحلة الشباب مرحلة الشهوة العارمة التي تكون عند الشباب

ولكن رسول الله لم يفعل ذلك ، تعالوا بنا - معشر الإخوة - نستعرض حياة النبي الكريم بشكل إجمالي .

المتأمل في سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام يرى أنه قضى شطراً من عمره في العزوبة مدة خمسة عشر عاماً ، وهي فترة الشباب التي استوفت أفضل شروطه وصفاته ، وكان مثلاً للفتوة الإنسانية العربية السليمة ، والصحة التي كان له فيها نصيب للنشأة في البادية ، والبعد عن أدواء المدينة ، وكان متحلياً بأفضل صفات الفروسية والرجولة التي تفاخر بها العرب وتشيد بها النفوس والأخلاق ، ولم يجد أشد أعدائه له مغمراً في هذه الفترة الحاسمة الدقيقة من حياته قبل النبوة وبعد النبوة إلى هذا اليوم ، فكان مثلاً للطهر والعفاف والنزاهة والبراءة والعزوف عن كل ما لا يليق به ﷺ .

وتبدأ المرحلة الجديدة أو الثانية من حياته عندما بلغ خمساً وعشرين سنة ، حينما تزوج السيدة خديجة بنت خويلد ، وهي أيم (أي سبق لها أن تزوجت) قد بلغت من عمرها أربعين سنة وقد تزوجت قبله برجلين ولها أولاد ، وبينه وبينها من التفاوت في السن / ١٥ / سنة على القول المشهور ، وقد بقي معها سعيداً لم يفكر في غيرها مدة ثمان وعشرين سنة حتى وفاتها (صلوا عليه) .

وحينما بلغ سن الخمسين تنتقل حياته ﷺ إلى مرحلة جديدة أو ثالثة ، من سن الخمسين إلى الستين . انتبهوا إلى هذه المسألة إن الجمع لأكثر من واحدة إنما كان لبنينا في سن الكهولة ، فهل هذا شهواني؟! لعن الله من نسب ذلك إلى نبينا ، تزوج في هذه المرحلة السيدة سودة بنت زمعة القرشية ، ثم السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق ، ثم السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب ، ثم السيدة زينب بنت خزيمة وتوفيت عنده بعد شهرين ، ثم السيدة أم سلمة هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة القرشية المخزومية وهي آخر نسائه

موتاً ، ثم السيدة زينب بنت جحش وهي ابنة عمته أميمة ، ثم السيدة جويرة بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية ، ثم السيدة صفية بنت حيي ثم السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب ثم السيدة ميمونة بنت الحارث وهي آخر من تزوج بهن ، والله أعلم .

هؤلاء هن اللواتي يلقبن بأسمى لقب : لقب (أمهات المؤمنين) وهن إحدى عشرة امرأة كما سمعتم ، ست منهن من قريش ، وأربع عزيات ، وواحدة من بني إسرائيل ، هذه هي المراحل الثلاث لحياة نبينا ، وإن شئتم أن تضيفوا مرحلة رابعة ، نعم مرحلة رابعة ، وهي أنه منذ السنة الثامنة للهجرة وهي السنة التي نزل فيها عدم تعدد الزوجات لأكثر من أربع لم يتزوج رسول الله أي امرأة أخرى كرامة للمسلمين .

نعم أيها السادة :^٩ كان قبل السنة الثامنة من الهجرة يستطيع كل مسلم أن يتزوج ما شاء من النساء ، ليس فقط سيدنا محمد ﷺ بل كل مسلم .

فلما نزل التحديد بأربع أي لما نزلت الآية القرآنية : ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ .

صار المسلمون الذين عندهم أكثر من أربع يطلقون زوجاتهم الزائدات على العدد تنفيذاً للأمر الإلهي ، فها هو غيلان بن سلمة الثقفي حين أسلم كان تحته عشر نسوة ، وها هو الحارث بن قيس كان تحته ثمانى نسوة ، فأمرهما رسول الله أن يختارا منهن أربعاً ويفارقا سائرهن .

وأما سيدنا محمد ﷺ فكان الجمع بين تسع نسوة في وقت واحد عند نزول الآية خصوصية من خصوصياته لا تجوز لأحد بالإجماع . إلى جانب عدد من خصوصياته التي ذكرناها قبل جمعيتين ، بل إن مولانا أمره بعد نزول الآية الأولى ، اسمعوا الأمر الإلهي قال تعالى : ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن﴾ .

وفي هذا رد على من قال : إن رسول الله أباح لنفسه ما حرم على غيره ،
ليسمع الأفاكون الذين يروجون الأكاذيب لقد كان بوسع كل مسلم أن يتزوج
أكثر من أربع خلال السنوات اللواتي تزوج فيهن رسول الله نساءه .
وكان رسول الله ﷺ قد طلق امرأتين قبل الدخول بهما وهما
أسماء بنت النعمان الكندية لبياض فيها ، ردها بعد أن متعهما
بالكسوة ، والثانية عمرة بنت يزيد الكلابية كانت حديثه عهد بكفر
فلما قدمت استعادت منه فردها إلى أهلها .

وكان عنده ﷺ إماء (أو جوارى) أو ملك يمين أربعة :
السيدة مارية بنت شمعون القبطية أهداها له المقوقس عظيم القبط ،
وهي أم ولده سيدنا إبراهيم رضي الله عنه ، وريحانة بنت زيد من بني
النضير أسلمت فأعتقها ثم تزوجها ، وأخرى وهبتها له السيدة زينب بنت
جحش ، وأخرى أصابها في السبي .
أيها السادة :

كل هؤلاء النسوة تزوجهن رسول الله لأسباب اجتماعية وسياسية
وإنسانية ودينية ، فقد تحولت بيوتات أمهات المؤمنين إلى مدارس شرعية
للمؤمنين والمؤمنات من علم وتهذيب ، وأنا أسأل هذا السؤال : هل تكفي
امرأة واحدة فقط أو اثنتان أو أربع لجميع نساء المسلمين لتعليمهن الأحكام
الشرعية الخاصة بهن مثلاً : كأحكام الزواج والحيض والنفاس وقضايا الجناية
والطهارة ، وإليكم هذا الحديث الشريف الذي يوضح هذا الموقف الذي نحن
فيه ، إنه حديث رواه الشيخان عن السيدة عائشة رضي الله عنها : أن امرأة
من الأنصار سألت النبي ﷺ عن غسلها من الحيض فأمرها أن تغتسل ، ثم
قال : خذي فرصة من مسك (قطعة قطن أو خرقة) فتطهري بها . قالت :

وكيف أنظهر بها ، (وكان سيدنا محمد ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها) (م) فاستحيا أن يجيئها وقال : تطهري بها . قالت الصحابية ثانية : كيف . قال : سبحان الله تطهري؟! تقول السيدة عائشة : فاجتذبتها إلي فقلت : تتبعي بها أثر الدم» .

فاستحيا رسول الله ﷺ بأن يصرح لها بموضع القطن المطيبة بالمسك في المكان الذي كان يخرج منه الدم ، فأفهمتها السيدة عائشة رضي الله عنها ذلك .
أيها السادة :

كانت نساء النبي خير مبلغ عن رسول الله ﷺ في حياته وخير مرجع بعد وفاته ، وخاصة السيدة عائشة رضي الله عنها ، يقول عنها إمام علم الرجال والطبقات الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي من القرن الثامن الهجري في كتابه المشهور «تذكرة الحفاظ» يقول عن السيدة عائشة : «كانت أكبر فقهاء الصحابة ، كان فقهاء أصحاب رسول الله ﷺ يرجعون إليها» . ويروى عن قبيصة بنت ذؤيب قالت : كانت السيدة عائشة أعلم الناس يسألها أكابر الصحابة . وقال أبو موسى : ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً .

وقال حسان بن ثابت شاعر رسول الله ص : ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال وحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا النسب من عائشة رضي الله عنها» (١) .

لقد ساهمت أمهات المؤمنين برواية السنة المطهرة ، أمهات المؤمنين الراويات الثقة المقطوع لهن بصلتهن بسيدنا رسول الله ﷺ وبصدقهن في الرواية عنه ، إن علماء الإسناد والرواية ذكروا أن عدد الأحاديث التي رويها

نساء النبی ﷺ قد جاوزت ثلاثة آلاف حدیث ، أكثرهن روته السيدة عائشة
حيث روت أكثر من ألفي حدیث .

إن أمهات المؤمنین كن أعواناً لنبیننا على تبلیغ الرسالة وأداء الأمانة
وتعلیم المسلمین دینهم ذكوراً وإناثاً . لقد كن یرافقنه فی الحروب والغزوات
فیداوین الجرحی ویمرضن المرضی ، ویشرن بالخیر ، ویواسین فی الشدة ، وبهن
قام نحو ثلث الدین ، مما یتعلق بحیاته المنزلیة والعشرة وملاحظة الأهل
وكیفیة معاملة الأطفال والنساء ، وكثیر من الأحكام تعلمها المسلمون منهن
وحفظوه ونشروه . وهو القائل ﷺ : خیركم خیركم لأهله وأنا خیركم لأهلی»
(صحیح) (صلوا علیه) هذا من الناحیة الدینیة ، فما هی الناحیة السیاسیة؟
أیها السادة :

كان معروفاً عند العرب المصاهرة بین القبائل لكسب تأییدها ، وهكذا
فعل رسول الله ﷺ مع القبائل كان یصاهرها لیجد منهم التأيید المطلق
ولیدخلوا جمیعاً فی الإسلام ، إننی وأنا على هذا المنبر أعلتها عالیة ، لقد
كان الحبيب الأعظم أعظم رسول سیاسی محنك وکیفیه عظمة أنه كان
ینظر بعین الوحي أو النبوة .

لم یخلق الرحمن مثل محمد
بین الوری بشرأعلى الإطلاق
كلا ولا عرف الخلائق قدره
ما فوقه حقاً سوى الخلاق
ماذا أقول بوصفه ومدیحه
وسناه دوماً باهر الإشراق
وأكبر مثال على هذا الكلام ما حدث لقوم السيدة جویریة بنت
الحارث ، التي كانت عند ثابت بن قیس وجاءت النبی الکریم تستعین على
کتابتها فقال : أدلك على خیر من ذلك؟ أقضي عنك وأتزوجك ، ففرحت .
وأقبل الناس فأطلقوا قومها من الأسر والرق وكانوا أكثر من مئة بیت ، لأنهم

أصبحوا أصهار رسول الله فدخلوا جميعاً في الإسلام وهم راضون ، وجاء أبوها يفديها فخيرها رسول الله ﷺ فاختارت نبي الله (ق) .

ويذكر ابن هشام أن أباهما صاح : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأصدقها رسول الله أربعمئة درهم .

وكذلك نقول : بزواجه من السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان التي خطبها النبي من النجاشي ملك الحبشة بعد أن تنصر زوجها ، وحينما بلغ أبا سفيان خبر زواجها من سيدنا محمد ﷺ أتدرون ماذا قال : قال : هو الفحل لا يقدح أنفه ، أي هو الكفاء الذي لا يماثله أحد ، وكانت هذه المصاهرة من العوامل التي دفعته للدخول في الإسلام (أحمد ٦ / ٤٢٧ - ٢ / ٥٣٨ - ن ٦ / ١٩٦ - حا ووافقه) .

(خ) وأما زواجه عليه الصلاة والسلام من صفية بنت حيي بن أخطب سيد قومه بعد أن أسرها المسلمون بعد قتل زوجها في خير سنة سبع هجرية ، فإن رسول الله تزوجها رغبةً في تحريض اليهود على اعتناق الإسلام أو تخفيف عداوتهم ، وقد خيرها بعد عتقها أن يتزوجها أو يلحقها بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته ، وانتبهوا معشر السادة هذه المصاهرات كلها لكسب تأييد القبائل أضيفوا إلى ذلك :

زواجه من حفصة بنت عمر من بني عدي .

وزواجه من زينب بنت جحش من بني أسد .

وزواجه من أم سلمة من بني مخزوم .

وزواجه من ميمونة بنت الحارث من بني هلال .

وزواجه من سودة بنت الحارث من بني عامر بن لؤي .

كله يدل على أنه كان يستهدف مصاهرة القبائل ليكتسب تأييدها من أجل الإسلام ، بل كان زواجه أحياناً بأكثر من واحدة أو أربع لا اكتمال

التشريع كزواجه من السيدة زينب بنت جحش فقد كان تزوجه بها لإبطال عادة التبني التي كانت متبعة في الجاهلية .

ومنهن من تزوجها رسول الله للرحمة بهن حيث كن لا يجدن من يرعاهن ويقوم على شؤونهن كسودة بنت زمعة وأم سلمة المخزومية ، أم سلمة المخزومية تزوجها رسول الله رغم أنها أكبر منه سنّاً لأنها كانت ذات أيتام لحرص النبي ﷺ على رعاية الأيتام وكفالة الأراامل وتعزية المصابين وقد أنزل الله عليه ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ / الأنبياء : ١٠٧ .

وأما الصديق والفاروق فقد تزوج رسول الله من ابنتيهما ليكافئهما على شدة صحبتتهما ودفاعهما عن الإسلام ، فنال كل واحد منهما الوسام الأعظم : عم رسول الله (صلوا عليه) .

أيها الإخوة الكرام :

إن المستعرض لحياة نبينا ﷺ يرى أن حياته مع أمهات المؤمنين لم تكن حياة ترف ورفاهية وتوسع في المطاعم والمشارب وخفض العيش ، وتلك غاية تعدد الزوجات في نظر كثير من الناس ، بل كانت حياته حياة زهد وتقشف وإيثار وقناعة ، لا يطيقها أعظم الرجال وكبار الزهاد في القديم والحديث ، وحسبكم أيها الإخوة - أن تقرؤوا قول مولانا عز وجل :

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾ / الأحزاب : ٢٨ - ٢٩ .

أرأيتم هذه التربية الإلهية والنبوية لأمهات المؤمنين ، أندرون ماذا اخترن كلهن (قولوا رضي الله عنهن) لقد اخترن جميعاً وبدون تلكؤ الله ورسول والدار الآخرة ، وإليكم هذا الجواب الذي أجابت به السيدة عائشة

حين استدعاها رسول الله وسألها بعد أن تلا عليها هذه الآية ، قال لها : لا عليك ألا تستعجلي حتى تستأمرى أبويك ، قالت له : أفبي هذا استأمر أبوي؟ أشهد يارسول الله أنني أريد الله ورسوله والدار الآخرة (خ ٤٧٨٦) .

هذا الجواب كان من فضائل أمهات المؤمنين ، فما هي بقية الفضائل؟

أعلق هذا الجواب لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى .

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



زواج أمهات المؤمنين / سيدنا محمد ﷺ

- ٦٥ -

الحمد لله الذي جعل من بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشراً ، فجعله نسباً وصهراً ، وسلط على الخلق شهوة اضطهرهم بها إلى الزواج جبراً ، وعظم أمر الأنساب فجعل لها قدراً ، وندب إلى النكاح وحث عليه استحباباً وأمرأ فقال تعالى : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ / النور : ٣٢ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مدح أنبياءه ورسله الكرام فقال مخاطباً نبينا محمداً ﷺ ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ﴾ / الرعد : ٣٨ .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله قال له مولانا : ﴿ يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ / الأحزاب : ٥٠ .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكننا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين ، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليماً .
أيها السادة :

قبل أن أدخل في موضوع حلقتنا اليوم أريد أن أرفع التحية للقائد الأعلى

سيدنا محمد ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين

للأمة ، لفخر الكائنات وعظيم السادات سيدنا ومولانا محمد بمناسبة ذكرى مولده الشريف الذي عطر الأكوان وشرف بمولده كل مخلوق من الإنس والملك والجان سيدي أبا القاسم يارسول الله :

فاحت بعاطر ذكرك الأيام وتفاخرت بجهادك الأعلام
أثنى عليك الله في قرآنه فاهناً فأنت السيد المقدام
كنت قد علقت معكم في الجمعة الماضية سؤالاً حول فضائل أمهات المؤمنين زوجات نبينا ﷺ ونحن اليوم نحيب بعون الملك المعبود عن هذا السؤال مع الحلقة الخامسة والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، وفي بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله.

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة الأحزاب : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيْطْمَعِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ، وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا . وَقرْنٌ فِي بَيْتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ، واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾ / الأحزاب : ٣٤ .
أيها السادة الكرام :

المراد بأهل البيت في هذه الآيات الكريمات : أزواج سيدنا محمد ﷺ وأولاده وذريته ، وقد نص بعض العلماء أن أولاد نبينا السبعة هم أفضل من جميع الصحابة رضي الله عنهم جميعاً فقد سئل إمام دار الهجرة الإمام مالك : من هو أفضل ، الصحابة أم أولاد سيدنا محمد ﷺ ومنهم السيدة فاطمة ؟ فقال : « لا أفضل على بضعة رسول الله أحداً » .

وقد وقفت فيكم اليوم لأسعد معكم بالحديث عن أهل البيت وفضائلهم ، آل البيت الذين أمرنا بمودتهم ومحبتهم وإليك هذا التوجيه الإلهي :

﴿قل أسألكم علیه أجرأ إلا المودة فی القربی﴾ قل لا أسألكم علی تبلیغی الشرع المطهر إلا أن تودوا قرابتی وتصلوهم وتحترموهم لأنی أبوهم وجدهم (یاسعد من صلی علیه) .

إننا الیوم فی صدد الحدیث عمن نذكرهم فی كل صلاة بعد صیغة التشهد فنقول : «اللهم صل علی سیدنا محمد وعلی آل سیدنا محمد» والآل هم بنوه من الصلب ومنهم أزواج وأولاد النبی ﷺ :

أما أزواجه فهن أمهات المؤمنین اللواتی لا یجوز نکاحهن بعد نبینا ﷺ لأن لهن فضلاً خاصاً علی نساء زمانهن ، وبهذا جاء التصریح بالدستور الأعظم لأمة سیدنا محمد ﷺ :

﴿وما كان لکم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنکحوا أزواجه من بعده أبداً﴾ / الأحزاب : ۵۳/ بل لهن جأه عظیم عند الله فی الآخرة ، اسمع إلی حبیبک سیدنا رسول الله وأنت تصلي علیه یقول :

«أفضل نساء أهل الجنة خدیجة بنت خویلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وأسية بنت مزاحم» قولوا رضي الله عنهن : ولهذا یقول عز من قائل : ﴿النبي أولى بالمؤمنین من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ / الأحزاب : ۶/ .

فهن أمهات الرجال دون النساء علی الراجح ، لأن فائدة الأمومة فی حق الرجال وهي النکاح مفقودة فی حق النساء ، قالت امرأة للسيدة عائشة رضي الله عنها مرة : یا أمه . فقالت لها : أنا أم رجالکم ولست أم نساءکم» .

فإن كانت الأمومة للاحترام والتعظیم فهي موجودة أيضاً فی النساء فی هذا المعنى تقول السيدة أم سلمة : أنا أم الرجال منکم والنساء» .

وحین تلوت هذه الآية مرة علی بعض التلامذة سأل سؤالاً ، قال : وهل یقال له ﷺ أبو المؤمنین؟ وقد أصاب علماء المذهب الشافعی أنه لا یقال ذلك فی الأصح . لكن طائفة من الصحب الکرام منهم أبي بن کعب وجدي سیدنا عبد الله بن عباس کان یقرؤون هذه الآية علی الشكل التالی :

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم﴾
/الأحزاب: ٦ (قراءة شاذة)/ ، واستأنسوا عليه بحديث صحيح رواه الإمام أبو داود (حسن) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :
«أنالكم بمنزلة الوالد أعلمكم : فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها . . . الحديث» لكن الصحيح المقطوع به في المذهب الشافعي أنه لا يقال ذلك لقوله تعالى :

﴿ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾
/الأحزاب: ٤٠/ .
أيها السادة :

ومع كون أزواج نبينا أمهات للمؤمنين فلا تجوز الخلوة بهن ولا رؤيتهن أو سؤالهن إلا من وراء حجاب ، هذه القواعد قررها رب العزة حفاظاً على أهل بيت نبينا وتربية لهن ورعاية لشأنهن ومقامهن العالي ، ولهذا اسمعوا إلى القرار الإلهي : ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾ .
فلا يجوز لهن كشف وجوههن وأيديهن حتى للشهادة وغيرها ، ولا إظهار شخصوهن وإن كن مستترات إلا للضرورة خروجهن لقضاء الحاجة ، فكن رضي الله عنهن إذا قعدن للناس جلسن من وراء حجاب ، وإذا خرجن حجبن وسترن أشخاصهن ، ولما توفيت السيدة زينب جعلوا لها قبة فوق نعشها لستر شخصها . وإليكم هذا المشهد الذي حدث لما نزلت آية الحجاب على أمهات المؤمنين ، فقد خرجت السيدة سودة وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها ، فرأها سيدنا عمر ، (لله درك يافاروق) ، ناداها قائلاً :

- ياسودة أما والله لا تخفين علينا فانظري كيف تخرجين (خ) .
فانكفأت أم المؤمنين الثانية في دخولها بيت النبوة راجعة إلى رسول الله ﷺ وإنه ليتعشى فقالت :

- يارسول الله خرجت لبعض حاجتي فقال عمر : كذا وكذا ، فأوحى الله تعالى إليه وإن اللحم في يده ما وضعه فقال ﷺ :

- قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن .

ولأجل هذا لما حج سيدنا عثمان وابن عوف بأزواج النبي الكريم في السنة التي توفي فيها سيدنا عمر ، فكان سيدنا عثمان وعبد الرحمن يحجبهن ، يسير عثمان أمامهن فلا يترك أحداً يدنو منهن ولا يراهن إلا من مد البصر ، وسيدنا عبد الرحمن خلفهن يفعل مثل ذلك ، وفي رواية : فإذا دنا منهن أحد يصيح عثمان على راحلته : إليك إليك ، وهن في الهودج ، وكان ينزل بهن في الشباب ولا يتركان أحداً يمر عليهن .

كان كل ذلك - أيها الإخوة - تنفيذاً للأمر الإلهي القديم القائل ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ / الأحزاب : ٣٣ / ولهذا رأينا الحبيب الأعظم يجمعهن طارئاً ويلقي عليهن بياناً هاماً ، قال لهن : «أيتكن اتقت الله ولم تأت بفاحشة مبينة ولزمت ظهر حصيرها بيتهما) فهي زوجته في الآخرة» .

أيها السادة :

الأمر إذاً جد خطير ، والخطب جلل فاسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك ، فنحن اليوم ننزل زائرين على سيد الأنبياء والرسل الكرام (فأرسلوا تحيتكم للحبيب الأعظم) ، وهاهن أمهات المؤمنين مجتمعات جميعاً يناقشن أمراً هاماً مع سيد الوجود والبركة العامة لكل موجود ، وفي خضم هذا الاجتماع طُرق الباب ، من هذا؟ قال : أبو بكر يستأذن بالدخول ، قال : فلم يؤذن له .

ثم طرق الباب ثانية : من هذا؟ قال : عمر بن الخطاب . قال : فلم يؤذن له . قال الراوي ياسادة يا كرام : والناس جلوس بباب المصطفى (صلوا عليه) ، ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلوا .

أيها السادة : أرى الآن سيد الكائنات جالس وحوله نساؤه ، وهو ساكت ، ونظر الصديق والفاروق إلى الجالسين وساد الموقف وجوم لدقائق . قال سيدنا عمر في نفسه : لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك ، فقال : - يا رسول الله ! لورأيت

ابنة زيد (امراة عمر) سألتني النفقة أنفأ فوجأت عنقها . وهنا ضحك نبينا حتى بدت نواجذه وقال : هن حولي يسألنني النفقة . فقام سيدنا أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة ليضربها وقام سيدنا عمر إلى حفصة كلاهما يقولان : تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده (خ) .
أيها السادة :

فمن هو الذي حسم الموقف ، إن الذي حسمه الله رب العالمين ، إذا بسفير الأنبياء أمين وحي السماء يطوي السبع الطباق وينزل على حبيب الله ومصطفاه بآية عظيمة :

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾ / الأحزاب : ٢٩ .
قال فبدأ رسول الله بالسيدة عائشة فقال : إني ذاكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك؟ قالت : وما هو؟ قال فتلا عليها الآية ، فقالت : أفيك أستأمر أبوي؟ بل أختار الله تعالى ورسوله ، وأسألك ألا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت . فقال ﷺ : إن الله تعالى لم يعشني معنفاً ولكن بعثني معلماً ميسراً لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا خبرتها» هذه رواية الإمام مسلم ، وفي رواية الإمام البخاري قال : «ثم خير نساء كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة رضي الله عنها» (خ ٥٢٦٢) .
أيها السادة :

فلما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة وعظهن مولانا وسطر ذلك في كتابه ، إن رب العزة خاطب نساء نبينا وعدّه هذا من فضائلهن اسمعوا الخطاب المكرّم :
﴿يأينساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً ، ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾ / الأحزاب : ٣١ .

المراد بالفاحشة المبينة (النشوز وسوء الخلق) فلما كانت محلتهن رفيعةً ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلاً صيانةً لجنابهن الرفيع ، وانظروا إلى قول مولانا ﴿وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾ / الأحزاب : ٣١ / أي في الجنة فإنهن في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق ، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش كما قال ابن كثير الدمشقي .

أتعلمون معنى هذا -أيها السادة- معناه كما قاله بعض العلماء أن أمهات المؤمنين مقطوع لهن بدخول الجنة ، ويكفيهن فخراً أن القرآن الكريم كان ينزل في بيوتهن ، ولهذا امتن الله به عليهن في كتابه فقال عز وجل : ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ / الأحزاب : ٣٤ .

اذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين النساء أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس ، وكانت أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه النعمة وأخصهن من هذه الرحمة السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق ، فإنه لم ينزل على رسول الله الوحي في فراش امرأة سواها كما حدث به سيدنا محمد (صلوا عليه) .

ومن فضائلهن أن بعضهن زوجهن مولانا عز وجل من عليائه فدخل عليهن بغير عقد بما تعارف عليه الناس ، وإليكم هذه الآية التي تزوج رسول الله على أثرها من السيدة زينب بنت عمته ﷺ قال تعالى :

﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ / الأحزاب : ٣٤ / فكانت السيدة زينب تفخر على أزواج رسول الله فتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من سبع سموات (خ) .

فكان لأمهات المؤمنين المقام العالي ، بل أيضاً لأهاليهن أيضاً لهم منزلة عند مولانا ، ولا يدخلون النار لأن صهرهم سيدنا رسول الله ﷺ ، اسمع إلى الحبيب الأعظم يقول : « لا يدخل النار من تزوج إلي أو تزوجت إليه » وفي رواية (حا) : سألت ربي عز وجل ألا أزوج أحداً من أمتي ولا أتزوج إلى أحد من أمتي إلا كان معي في الجنة فأعطاني » (ابن عساكر) .

ولذلك سارع سيدنا عمر رضي الله عنه فخطب إلى علي ابنته السيدة أم كلثوم فتزوجها عمر ، ثم راح إلى المهاجرين وقال لهم : ألا تهنئوني بأم كلثوم ابنة فاطمة ، سمعت رسول الله يقول : « كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله سبب ونسب » .
أيها السادة الكرام :

ومن أعظم فضائلهن وجوب محبتهم رضي الله عنهن وقد وردت الأحاديث المستفيضة في وجوب حب آل البيت النبوي فقد روي : « لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته ، وتكون أهلي أهلي أحب إليه من أهله ، وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته » .

بل ورد في الحديث : « لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار » .
وفي الحديث : « والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني » (ت - أحمد صحيح) .

اللهم اشهد بأننا نحب أهل بيت نبيك الأعظم ﷺ فهل تشهدون أيها الإخوة قولوا نعم الله فاشهد .

إليكُم كلُّ مكرمة تؤوُلُ	وكلُّ مهمة بكم تزولُ
كفاكم يا بني الزهراء فخراً	إذا ما قيل جدُّكم الرسولُ

أبوكم فارس الهیجا علیؑ
وأنتم ملجأ اللاجین دُخْرًا
وَأَمَّكُمْ الْمُطَهَّرَةُ الْبَتُّولُ
وفي التنزیل مَدْحُكُمْ جَلِيلُ
إذا افتخر الأنام بمدح قوم
بمدحکم تشرف جبرائیل (۱)
أیها السادة :

فکیف کان رسول الله بین نسائه؟ هل کان فی بیته بصفة و بین أصحابه
بصفة أخرى؟ ما هی أحكام تزوجه ﷺ؟
أعلق هذه الأسئلة لأجیب عنها فی الجمعة القادمة بإذن الله تعالى ،
وأعود بکم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحید ، الجالس
فیها علیه أن یوحّد الله تعالى .



(۱) - انظر کتابنا نفحات منبرية فی تاریخ المئة الأولى الهجرية ج ۱ / ۲۵۵ .

تذكر عزيزي القارئ

إن تعدد الزوجات ليس أمراً مستحدثاً في الشرع المطهر بل هو أمر قديم قدم الزمان .

إن تعدد الزوجات بحق نبينا ﷺ رحمة من الله تعالى وقد حدث بعد وفاة السيدة خديجة وبعد تجاوزه ﷺ مرحلة الشباب (سن الخمسين إلى الستين) .
أمهات المؤمنين بعد السيدة خديجة رضي الله عنها :

- ٢- السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها .
- ٣- السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .
- ٤- السيدة حفصة بنت سيدنا عمر رضي الله عنهما .
- ٥- السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها .
- ٦- السيدة أم سلمة هند بنت أمية رضي الله عنها .
- ٧- السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها وهي ابنة عمته أميمة .
- ٨- السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها .
- ٩- السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها .
- ١٠- السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنها .
- ١١- السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها .

سيدنا محمد ﷺ

مع أزواجه أمهات المؤمنين

- ٦٦ -

الحمد لله الذي بلطفه تصلح الأعمال ، وبكرمه وجوده تدرك الآمال ، وعلى وفق مشيئة تتصرف الأفعال ، وبإرادته تتغير الأحوال ، وإليه المصير والمرجع والمآل ، سبحانه هو الباقي بلا زوال ، المنزه عن الحلول والانتقال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش والمعارج والطول والإكرام والجلال .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا محمداً عبده ورسوله ونبيه ، وخيرته من خلقه وصفيه ، وخليته ووليه وحبيه المفضل .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ذي الشرف الباذخ والفضل الشامخ والعلم الراسخ والجمال والكمال ، وسلم تسليماً .
أما بعد : فياحمداً الإسلام وحراس العقيدة .

نشأت مشكلة تعدد الزوجات في حياة نبينا سيدنا محمد ﷺ في الغرب الأعمى ، وشغلت عقول كثير من الباحثين الغربيين وأقلام الكتاب المستشرقين ، وكثر التساؤل عنها بسبب إخضاعهم الحياة الزوجية في بلاد العرب وبين المسلمين في عصر النبوة للقيم والتصورات والأعراف الغربية ، بل إنهم سلطوا الموازين والمقاييس الغربية الفاسدة على المقاييس الصحيحة التي كانت سائدة في البيئة العربية والإسلامية ، وتلك نقطة ضعف في التفكير الغربي وفي الكتابات الغربية فيجعلون الغرب هو الميزان ، ثم يطلقون حكماً قاسية على كل ما جانب أحوال الغرب أو اختلف عنه ، فإذا بهم

يخلقون مشكلة ثم يعاجونها على ضوء رأيهم الفاسد ، وما هي إلا نتيجة كبريائهم وتقديسهم الزائد للقيم والمثل الغربية ، ولذلك نجد واحداً من أبناء جلدتهم ويتكلم بلغتهم يحكم عليهم بأنهم قد غلطوا في ذلك وذهبوا به مذهباً بعيداً ، إنه الناقد الغربي الانكليزي بوب دلي ، الذي قال في كتابه «محمد الرسول» (ﷺ) :

«إنه لا داعي إلى قياس حياة محمد (ﷺ) الزوجية بالمقاييس الغربية ولا الحكم عليها من وجهة نظر التقاليد والقوانين التي سنتها المسيحية في الغرب ، فلم يكن أولئك الرجال - العرب - غربيين ولا مسيحيين ، إنما نشؤوا في بلاد وفي عصر كان يسود عليه نظامهم الخلقي الخاص ، ثم قال :

ورغم كل ذلك لا مسوغ لتفضيل النظام الخلقي الأمريكي أو الأوروبي على النظام الخلقي العربي ، إن الغربيين لا يزالون في حاجة إلى بحث دقيق وتمحيص كبير لتفضيل نظامهم الخلقي وطريقة حياتهم على غيرهم ، فعليهم أن يتجنبوا الطعن في ديانات أخرى ومدنيات أخرى .

هذا كلام رجل منهم يشهد عليهم ورحم الله من قال : «والفضل ما شهدت به الأعداء» .

أيها السادة :

إننا مع الحلقة السادسة والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية وعنوان هذه الحلقة «الغيرة بين أمهات المؤمنين» ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله .

وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطرة من كتاب الله المجيد :
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ

الحكيم . وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير . إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيراً عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً ﴿ التحريم : ١ - ٥ / .

أيها الإخوة الكرام :

أحلَّ الله لنبيه الكريم صنوفاً من النساء :

- ١- صنفاً يدفع لهن المهور ، وهن : المهورات .
- ٢- وصنفاً يتمتع به بملك اليمين ، وهن : المملوكات .
- ٣- وصنفاً من أقربائه من نساء قريش ونساء بني زهرة ، وهن : المهاجرات .

٤- وصنفاً رابعاً ينكحهن بدون مهر ، وهن : الواهبات أنفسهن .

وهذا كله خصوصية له ﷺ لم يشاركه فيها أحد ، وذلك توسعة على خير البرية وتيسيراً له في نشر الرسالة وتبليغ الدعوة ، فتزوجه ﷺ بأكثر من أربع ، واختصاصه بنكاح الواهبات أنفسهن بدون مهر وعدم وجوب القسم عليه بين الأزواج كل ذلك خاص به صلوات الله عليه وتشريفاً له وتكريماً وإظهاراً لمقامه السامي عند الله تعالى ، لذلك اسمع إلى السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها تقول (م) : كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ (كأمر شريك وخولة بنت حكيم وليلى بنت الخطيم ولكن لم يكن عند رسول الله منهن أحد (ابن عباس ومجاهد)) وأقول : أما تستحي امرأة أن تهب نفسها لرجل؟! حتى أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما أتيتهن كلهن . ﴿ الأحراب : ٥١ / .

هذا هو الأمر الإلهي الذي أذن الله فيه لنبيه ليتخير أن يفعل مع زوجته ما شاء ، ولا إثم عليه في هذا التخيير . أتعرفون ماذا قالت السيدة عائشة رضي الله عنها (خ ٤٧٨٨) . قالت : «لما نزلت هذه الآية قلت : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك» أي في رضاك ، صلوا على هذا النبي ﷺ ، صلوا على من آتاه الله خلقاً رفيعاً ومجداً وفخراً . فكيف كان رسول الله بين نسائه رضي الله عنهن؟ هل كان يدخل عابساً ويخرج غاضباً ، إن أحد الأدباء قال في المرأة الصالحة : «إنها التي يخرج زوجها من عندها كارهاً (كارهاً للخروج) ويعود إليها والهاً» وهكذا كانت نساء نبينا ﷺ فهذه السيدة خديجة التي وازرته على النبوة وجاهدت معه وواسته بنفسها ومالها ، وكان دائم الذكر لها والاعتراف بفضلها ، وربما إذا ذبح الشاة يقطعها أعضاء ثم يبعثها إلى صديقاتها .

ورغم أن الراجح أنه ﷺ لم يكن القسم واجباً عليه بين نسائه ، فلا يفترض عليه أن يبيت ليلة عند كل واحدة منهن ، رغم ذلك كان يعدل بينهن في البيتوتة والنفقة . وكان إذا بات عند واحدة في غير ليلتها يدور على نسائه جميعاً (صلوا عليه) .

وكان في منزله بشراً من البشر بل هو سيد البشر .

محمد بشر وليس كالبشر بل هو ياقوته والناس كالحجر

تقول عنه السيدة عائشة : كان يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه ، ومرة قالت : «كان يرقع الثوب ويخصف النعل» وقالت حينما سئلت ما كان رسول الله يصنع في أهله؟ أجابتهم : «كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة» . ثم وصفته فقالت :

كان ألين ، الناس ، وأكرم الناس ، وكان ضحاكاً بساماً (ض) «ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه (م ٢٣٢٧) .

ما ضرب بيده خادمًا قط ، ولا ضرب امرأة ، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله . وهو القائل : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» .

ووصفه أصحابه فقالوا : (أنس) : ما رأينا أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ .

(أبو هريرة) : وما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه .
وهكذا ترون -معشر السادة- كيف أتم الله خلق نبينا وخلقه وإليه المنتهى في اعتدال الفطرة وسلامة الذوق ورقة الشعور ، يقول عنه سيدنا أنس :
خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء تركته لم تركته ، فإن قيل له لم فعلت يقول لهم ﷺ : دعوه لو قدر كان (م) .
وهذا ما دعا البوصيري رحمه الله لأن يقول :

محمد سيد الكونين والثقلين	والفريقين من عرب ومن عجم
فاق النبيين في خلق وفي خلق	ولم يدانوه في علم وفي كرم
فهو الذي تم معناه وصورته	ثم اصطفاه حبیباً بارئ النسم
فإن فضل رسول الله ليس له	حد فيعرب عنه ناطق بفم
ياسعد من صلى عليه ﷺ .	
أيها السادة :	

كان هذا فعل سيدنا رسول الله مع زوجاته ، فكيف كن معه ، هل كان تقع بينهن ما يقع بين الضرائر؟ إن من يتأمل حياتهن معه يجد أنهن كن حزينين : حزب السيدة عائشة وسودة وحفصة وصفية ، وحزب السيدة أم سلمة وزينب بنت جحش وأم حبيبة وميمونة وجويرية .

وسبب تشكل هذين الحزين بينه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال : كان للنبي ﷺ تسع نسوة فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة إلا في تسع (من الليالي والأيام) إلا يوم وليلة تجيء نوبتها . يعني يشق ذلك عليهن إذا لم يجتمعن بالنبي ﷺ ولم تره كل واحدة منهن إلا في تسع ليال ، فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها (أي صاحبة النوبة) .
أيها السادة الكرام اسمحوا لي أن أتقل بكم إلى هناك ، إلى صاحب الطلعة البهية والروضة الندية إلى صاحب الجبين الأنور والروض الأزهر ، إلى سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، ونحن اليوم ننزل زائرین علی أم المؤمنین السيدة

سيدنا محمد ﷺ مع أزواجه أمهات المؤمنين

عائشة رضي الله عنها فإن دورها في مبيت رسول الله عندها هذه الليلة ، وهاهن أمهات المؤمنين يزرنها في ليلتها ، ولم يكن في بيوته ﷺ إنارة إلا على ضوء الليل نجومه والقمر ، فإذا بسيد الخلق يد يده إلى السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها ، فقالت السيدة عائشة :

- هذه (أي التي مددت يدك إليها) زينب وليست النبوة لها .

قال : فكف النبي ﷺ يده ، فتناولتا : أي صار بين السيدة عائشة الصديقة والسيدة زينب رضي الله عنهما مقالة ، فكانت كل واحدة منهما ترد القول على صاحبها وتنتصر لنفسها ، ورسول الله موجود ، حتى أصحبتا أي ارتفع صوتهما بالخصام . وهذا كله بجوار المسجد لأن حجراتهن كانت ملاصقة للمسجد . وحجرة السيدة عائشة هي المكان الموجود اليوم والمدفون فيه من تحبون أن تصلوا عليه . يقول أنس : وأقيمت الصلاة فمر الصديق أبو بكر رضي الله عنه على ذلك فسمع أصواتهما ، فجعل النبي يرد بعضهن عن ليُسكتهن عن الصخب والضجة . فقال أبو بكر لسيدنا النبي : احث يارسول الله في أفواههن التراب واخرج إلى الصلاة .

قال الراوي بإسادة ياكرام :

فخرج النبي ﷺ وقالت السيدة عائشة : الآن يقضي النبي صلاته فيجيء أبو بكر فيفعل ويفعل ، تعني أنه يهددها لأجل ما تكلمت به في حضرة النبي ﷺ . فلما قضى صلاته أتى الصديق إلى ابنته السيدة عائشة فقال لها قولاً شديداً وقال : أتصنعين هذا في حضرة النبي ﷺ .

وطبعاً إنما فعل الصديق أبو بكر هذا غير احتراماً للنبي ولنصبه الشريف وحماية ورعاية لعلو درجة النبوة ، وفخامة شأنها ، وأنه لا يحسن ولا يَجْمَلُ بنسائه أن يصخب وترتفع أصواتهن في حضرة الشريفة ﷺ ، وقد قال رب العزة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ / الحجرات : ١- ٣ / .

أیها السادة الكرام :

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد لأن السيدة عائشة اتفقت مع السيدة حفصة بنت سيدنا عمر أن تكیدا للسيدة زينب فما هو خبر هذه المكيدة؟ كان النبي يشرب عسلاً عند السيدة زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت السيدتان على أنه متى أتى النبي عند واحدة منهما أن تقول له : أكلت لحم مغافير ، إني أجد منك ريح مغافير . (وكان ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه ريح الخبيث أو الكريه) .

وكان ﷺ إذا انصرف من صلاة العصر دخل على إحدى نسائه ، فكان أن دخل على إحدهما فقالت ذلك . فقال : لا بل شربت عسلاً عند زينب ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً (خ) . وهنا أنزل رب العزة عليه : ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك﴾ / التحريم : ١ / ثم أمر السيدتان عائشة وحفصة بالتوبة ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما﴾

أیها السادة الكرام :

فماذا كانت النتيجة لمثل هذا الذي كن يفعلنه رضي الله عنهن ، كانت النتيجة أن هجرهن جميعاً قريباً من شهر . فعن عمر (أحمد) قال : كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم . قال : فغضبت يوماً على امرأتي فإذا هي تراجعني ، فأنكرت أن تراجعني . فقالت : ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج رسول الله ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل .

فإذا بسيدنا عمر يذهب إلى ابنته السيدة حفصة ويعنفها ويقول : قد خاب من فعل منكن وخسر ، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت . ثم قال لها : لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم (أجمل) وأحب إلى رسول الله منك .

لكن الأمر ازداد سوءاً فإذا بالخبر ينتشر بين الصحابة أن رسول الله

سيدنا محمد ﷺ مع أزواجه أمهات المؤمنين

طلق نساءه . فقال سيدنا عمر : قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائناً . ونزل إلى ابنته فدخل عليها وهي تبكي فسألها : أطلقكن رسول الله فقالت : لا أدري . فقال سيدنا عمر : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ... (خ) . هو هذا معتزل في المشربة . فأسرع الفاروق يستأذن بالدخول على رسول الله فلم يأذن له فلما كرر الاستئذان أذن له .
أيها السادة :

إننا هناك فأصغوا إلي بأسماع أفهامكم وصلوا على سيدنا رسول الله يقول عمر : فدخلت على رسول الله فإذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر في جنبه . فقلت : أطلقت يارسول الله نساءك؟ فرفع الحبيب رأسه إليه وقال : لا . وهنا كبر سيدنا عمر رضي الله عنه فقال : الله أكبر . وراح يحاول أن يسري عنه ويجعله يبتسم ، حتى ابتسم ﷺ واستأنس بحديث سيدنا عمر . وكان أقسم ألا يدخل على نسائه شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل . فقال سيدنا عمر رضي الله عنه :

- يارسول الله ما يشق عليك من أمر النساء ، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك . فإذا برز العزة ينزل قرأناً يؤيد سيدنا عمر ويصدق كلامه قال تعالى :

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ - عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُن أَنْ يَبْدَلَكَ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُن مَسْلَمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارٌ﴾ /التحريم : ٥/ .

وهكذا معشر السادة الكرام :

يدافع مولانا عن نبيه ويؤيده بملائكته الكرام ، فمن هي أم المؤمنين الأولى ، من هي أم أولاده ﷺ وما الذي أجرى الله على يديها من الخير .
أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى .
وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

الحمد لله الذي أنار الوجود بطلعة خير البرية ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، قمر الهداية ، وكوكب العناية الربانية ، مصباح الرحمة المرسله وشمس دين الإسلام ، من تولاه مولاه بالحفظ والحماية والرعاية السرمدية ، وأعلا مقامه فوق كل مقام . وفضله على جميع الأنبياء والمرسلين ذوي المراتب العلية فكان للأولين مبدأ وللآخرين ختاماً .

وأشهد أن الله فرد يعبد وأن خير خلقه محمد رسوله المتمم المجدد وكل من صدقه مخلد بغير شك في جنان الخلد .

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فحذرنا ناراً وبشر جنّة وعلمنا الإسلام فالله نحمد
تعاليت رب العرش عن قول جاحد فأياك نستهدي وإياك نعبد
وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد
وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وأنزلهم في مقعد
صدق عندك يامليكن المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا
بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً .

أما بعد فياحماة الإسلام وحراس العقيدة :

يتحامل كثير من الحاقدين والمغرضين والشعوبيين على العرب ،
ويتهمونهم ظلماً وعدواناً بصفات لا تمت إلى الإنسانية بصلة ، وليت هؤلاء
المتحاملين والحاقدين اقتصروا بنسبة هذه الصفات الذميمة على بعض أفراد
من العرب إذاً لفعّلوا شيئاً من الإنصاف والحق ، وكان العرب كغيرهم من

كل أمة من أمم الدنيا لا يخلون من أفراد يتكبرون الجادة ، يبتعدون عن كريم الخلق وسبيل المجد ، ولا يعيب ذلك الأمة العربية ولا ينقص من مجدها وكرامتها ومكانتها ، لأن الحكم على الأمة بالعظمة والمجد والخلود ، أو بعكس ذلك ، إنما يكون بالنظر لمجموعها ولنظمها وتقاليدها العامة ، وإننا لدى البحث الدقيق والنظر المنصف نجد أن العرب قد انطووا في مجموعهم على كثير من خصال الخير والبر والكرم والنجدة وحتى الرحمة والعطف والحنان والرفاة بالبؤساء .

إننا اليوم بصدد عرض نموذج من أفراد هذه الأمة العربية الخالدة يعبر عما يكمن في نفوسها من خير وبر وهدى وتقى وإيمان ، هذا النموذج الذي سأقدمه لكم ستجدونه في شخص امرأة عاشت في فترتين من الزمن ، وأدركت عهدين مختلفين : عهد جاهلية قائمة مظلمة .
وعهد إسلام مشرق وضاء .

هذه المرأة هي السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .
إنها السيدة التي نالت لقبين عظيمين ، نالتهما عن استحقاق وجدارة :

اللقب الأول : هو ما كان يصفها به العرب معاصروها :

سيدة قريش الطاهرة

واللقب الثاني : هو ما وصفها به مؤرخو الرومان :

امبراطورة الصحراء^(١)

أيها السادة : إننا مع الحلقة السابعة والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدريوشية وفي بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد : **لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله**

أيها الإخوة : نحن اليوم ننزل زائرين على هذه السيدة الطاهرة أعني :
السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن

(١) مستوحى من كتاب مولانا الشيخ أحمد الخاميد من وحي المنبر .

کلاب بن مرة بن کعب بن لؤی بن غالب بن فهر بن مالک بن النضر بن کنانة من قریش ، تلتقي في نسبها مع رسول الله في جده الرابع قصي بن کلاب . وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم واسمه جندب بن هرم بن رواحة ابن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي من قریش أيضاً .

ولدت بمكة عام ٥٥٦هـ الموافق عام ٦٨ قبل الهجرة . وكان أبوها من أشرف مكة وموسريها ، وزاد شرفاً عندما حالف بني عبد الدار ، ثم مات في حرب الفجار وعندما بلغت السيدة خديجة سن الزواج تزوجها أبو هالة النباش من زرارة من تميم وأنجبت منه ولداً هو هالة ، ثم مات أبو هالة فتزوجها عتيق بن عابد من مخزوم وولدت له بنتاً هي هند ثم لم يلبث عتيق أن مات عنها ، فعاشت الأرملة الشريفة الغنية الجميلة متفرغة لتربية أولادها ، متاجرة في مالها ، وكانت معروفة بالحزم وجودة الرأي ورجاحة العقل والعفة والطهارة والشرف والعطف والمواساة .

يضاف إلى هذا أنها كانت تتمتع بشهرة واسعة في الشام والعراق وفارس والروم لعراقة بيتها في الشرف من ناحية ، ولاستيلائها على تجارة العطور والديباج والحرير في الهند واليمن وبلاد الفرس من ناحية أخرى . وكانت قوافلها التي تعدُّ عشرة آلاف من الجمال تنقل التجارة إلى أسواق البلاد الهندية فيقبل تجار هذه الأسواق على شرائها واقتنائها ، بل لقد كان للسيدة خديجة عمال من الروم والغساسنة والفرس في دمشق والحيرة والقسطنطينية وفي عاصمة كسرى .

وكانت تسكن بيتاً فخماً في مكة مؤلفاً من طابقين ، وقد كثرت فيه النوافذ والشرفات المصنوعة من المرمر وأحدثت به أبراج من القرميد الأحمر تماثل أبراج القصور في الهند وفارس ، وقد خصص في هذا البيت أمكنة للضيوف ورجال القوافل الذين كانت تستأجرهم ليصبحوا تجارها إلى الشام وإلى العراق ولم يكن في مكة بيت يماثل بيت السيدة خديجة في العظمة

والأناقة إلا بيت عبد الله بن جدعان شيخ القرشيين إذ ذاك وزعيمهم .
أيها السادة :

بعد كل هذا الجاه العريض والثروة الضخمة أسأل هذا السؤال : هل كان هذا الجاه العريض حاملاً لخديجة على الكبرياء والعظمة والترفع والأنانية ؟
إنني وأنا أطلع الصفحات المشرقة من تاريخ هذه السيدة الطاهرة لأراها في حياتها قبل الإسلام محسنة إلى البائسين ، تعطف على الفقراء والأيتام والمعوزين ، تراهم يغشون دارها حاملين أبناءهم الجياع ، فلا تتردد تلك المرأة الشريفة في قبولهم ورعايتهم والإحسان إليهم .
إنني أستطيع أن أقول من خلال قراءتي لتاريخ هذه السيدة أنها كانت أمّاً لكل طفل بائس في مكة ، وراعية لكل أسرة فقيرة فيها ، ونراها الآن ترعى طفليها وتقدم لهما العطف كله والحب كله والشفقة كلها ، لأنهما فقدا والديهما وهما في سن الصغر ، ومن أجل هذين الطفلين أحبت السيدة خديجة الطفولة في الفقراء والبائسين ، فكانت تزور بنفسها بيوت المعوزين في مكة فتحول بؤسهم إلى سرور ، وضيقهم إلى سعة ، وشقاوتهم إلى سعادة ، تكرر هذا العمل الإنساني كل حين حتى لقبت بسيدة قريش الطاهرة .
أيها السادة :

كان من أبرز الرجال الذين كانت تستأجرهم السيدة خديجة والذين يسيرون مع تجارتها ، غلامها ميسرة ، وكانت السيدة خديجة تعتمد عليه في شؤون تجارتها وتطمئن إليه في إدارتها ، وكان أميناً حازماً صادقاً فجعلته موضع ثقته ومديراً عاماً لتجارتها التي تجوب أنحاء الأرض في رحلتي الشتاء والصيف إلى اليمن والشام .

ولكن بدأ يطرق سمعها اسم جديد يتحدث الجميع عنه في كل ناد ، وفي كل حفل ، وفي كل مكان ، يتحدثون عن صدقه وزمانته وكرمه أخلاقه وعراقته في النبل والشرف والمجد ذلك الاسم الجديد هو سيدنا محمد بن

عبد الله ﷺ ورغبت السيدة الطاهرة في أن يكون أمين مكة مع أولئك الرجال الذين يسرون في تجارتها على أجر معلوم .

واسمحو لي -معشر السادة- أن أنتقل بكم إلى هناك لأشهد معكم عقد المضاربة الذي عقدته سيدة قريش الطاهرة مع سيدنا محمد ﷺ هاهو يدخل إلى قصرها ويجلس أمامها فتقول له :

إني دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظيم أمانتك وكرم أخلاقك ، وأنا أعطيك ضعفي ما أعطي رجلاً من قومك .

وهنا قبل سيدنا محمد ﷺ هذا العرض من السيدة الطاهرة ، وسار مع خادمها الخاص ميسرة يقودان هذه القافلة العريضة إلى بصرى الشام ، وراح ميسرة يرقبه كيف يبيع ويشترى ، لأن التاجر -أيها الإخوة- عليه أن يتصف أولاً بصفات منها : حرف التاء من (كلمة تاجر) ويعني تقى ، وحرف الألف من كلمة تاجر يعني أمين ، وحرف الجيم ويعني جريء وحرف الراء ويعني رحيم .

كان ميسرة ينظر إلى أمين مكة فيجده يتصف بهذه الصفات ، وجده صادقاً في بيعه أميناً في شرائه وسيدنا محمد ﷺ يقول : «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء الصالحين» (ت- هـ- ح- ض) . رأى ميسرة سيدنا محمداً ﷺ لا يحلف في بيعه ولا ينفق سلعته في الحلف الكاذب لأن سيدنا النبي كان يقول (م ١٠٦) «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب عظيم (كررها ثلاثاً) فقال الصحابة : خابوا وخسروا من هم يارسول الله؟ فقال : المسبل (إزاره) والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» .

وفي حديث آخر أنه قال : التاجر هم الفجار . قالوا : يارسول الله ! ليس الله قد أحل البيع؟ . قال : بلى ، ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون» و«إن التاجر يبعثون يوم القيامة فجراً إلا من اتقى وبر وصدق» . وبقي ميسرة يرقب أمين مكة ، راح يسمعه ينصح كل مشتر ، ويبين له

البضاعة التي بين يديه ، لأن شعاره «من غشنا فليس منا ، والمكر والخديعة في النار» و«من باع بيعاً لم يبينه لم يزل في مقت الله ، ولم تزل الملائكة تلعنه» .
ذهل ميسرة من هذا التصرف الراقي ، فلم ير على ممر خدمته لتجارة السيدة خديجة مثل هذه الأمانة والصدق في المعاملات التجارية ، فتعلم ميسرة ولأول مرة أسلوب التجارة من سيدنا محمد ﷺ تعلم أربعة أمور وشعاراً ، أما الأمور الأربعة فهي :

فالأول : ألا يثني على السلعة ولا يمدحها بما ليس فيها .

والثاني : ألا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً .

والثالث : ألا يكتم من وزنها ومقدارها شيئاً .

والرابع : ألا يكتم من سعرها ما لو عرفه المشتري لامتنع عن شرائها .

وأما شعاره في التجارة فهو : «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا اقتضى» خ .

أيها السادة :

شهد ميسرة هذا كله بأم عينه ودونه في ذاكرته ، وجهاز القافلة لتعود أدراجها إلى أم القرى ثم سبقها ليزف إلى سيدته خبر أرباح التجارة أضعافاً مضاعفة ، بل حدثها عن الغرائب التي شهدتها من ابن عبد الله وعن المستقبل المشرق الذي ينتظره ، وقال لها : لقد اشتد علينا وهج الشمس في الصحراء المحرقة مما جعلنا نضيق بالحياة ذرعاً رغم أننا أبناء هذه الصحراء فقد رأيت سحابة تظلل من الشمس حيث سار وحيث أقام .

وكان من جملة حديثه أنه قال لها : لقد نزل محمد في ظل شجرة عن كئيب من منسك لراهب نصراني يدعى نسطورا ، فخرج الراهب إلي فقال : من يكون هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة فقلت له : هذا رجل من قريش أهل الحرم . فقال الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي ثم قال لي : أفي عينيه حمرة فقلت نعم لا تفارقه ، فقال الراهب : هو نبي ، وهو آخر الأنبياء (ض) .

ثم حدثها عن رجل اشترى سلعة منهما فوقع بينه وبين الأمين محمد تلاح (ملاومة ومجادلة) فقال له الرجل : احلف باللات والعزى فقال أمين مكة : ما حلفتُ بهما قط وإني لأمرُّ فأعرض عنهما . فقال الرجل له : القول قولك . ثم التفت إلي (يقول ميسرة) وقال : هذا والله نبي تجده أحبارنا منعوتاً في كتبهم .

أيها السادة الكرام : إن ميسرة حدثت السيدة الطاهرة بكل شيء جرى في هذه الرحلة المباركة ، وكان في كل لحظة يحدثها فيها يزداد تقديرها لهذا الفتى القرشي ، فأى مكافأة خبأت امبراطورة الصحراء وسيدة قريش الطاهرة لفتى مكة ، أي هديه أهداهاً مولانا للنبي الأمي أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى ، وأعود بكم من هناك الى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله



تذكر عزيز الموحّد:

أسباب تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم :

- ١- وهي تعليم صحابيّات النبي صلى الله عليه وسلم أحكام الشرع المطهر
- ٢- رواية السنة المطهرة
- ٣- كسب تأييد القبائل ليدخلوا في الإسلام .
- ٤- اكتمال التشريع الإسلامي .
- ٥- رحمته بهن ورعايته لشأنهن .

سيرة خديجة أم المؤمنين / سيدنا محمد ﷺ

- ٦٨ -

الحمد لله الذي جعل من بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً ، وسلط على الخلق شهوة اضطهرهم بها إلى الزواج جبراً ، ثم عظم الأنساب فجعل لها قدراً ، وندب إلى النكاح وحث عليه استحباباً وأمرأ . فقال تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أنزل عليه مولانا قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِسَالاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِيَةً ﴾ / الرعد : ٣٨ .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك ياملينا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليماً .

أما بعد فياحمادة الإسلام وحراس العقيدة :

كان فرح ميسرة بنجاح تجارة السيدة خديجة كبيراً حيث سبق القافلة قبل وصولها ليزف البشرى إلى سيده ويحدثها عن هذه الرحلة الموفقة ويشني عليها اختيارها للأمين سيدنا محمد ﷺ ليرأس قوافلها فانقلب فرحها بربح تجارتها حباً وتقديراً وإعجاباً بهذا الفتى العربي الهاشمي ، فامتلات علماً وبقيناً بأن أمين مكة يمتاز عن شباب مكة بما لا يحصى من الخلق والفضيلة

والأمانة وبعد النظر وأن له مستقبلاً عظيماً وزعامة عالمية عالية .
فما هو إلا أن استأذن عليها سيدنا محمد ﷺ ليدخل عليها فيسلمها
ما ربحته القافلة من هذه الرحلة المباركة .

أيها السادة الكرام :

اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى مكة المكرمة لأشهد
معكم الحلقة الثامنة والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع
الدرويشية ، ولأننا ننزل ضيوفاً على بلدة التوحيد مكة نرفع جميعاً معكم
شعار التوحيد : **لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله .**

ورأته خديجة والتقى والز	هد فيه سجية وحياء
وأناه أن الغمامة والسر	ح أظلمته منهما أفياء
وأحاديث أن وعد رسول الله	بالبعث قد حان منه الوفاء
فدعته إلى الزواج وما	أحسن ما يبلغ المنى الأذكاء

أيها الإخوة الكرام :

جلس الصادق الأمين أمام السيدة خديجة يحدثها عن تجارتها وهو
مطرق الرأس مما مكن السيدة خديجة أن تتفرس في هذه الشخصية الفذة .
شاب يافع ممتلئ رجولةً وجمالاً ، في سن الخامسة والعشرين ليس
بالطويل الممتد ولا بالقصير وسطاً بين القوم ، مسرح الشعر ليس بالعظيم الجسم
ولا المستدير الوجه في صغر ، أبيض البشرة والوجه مشرب بحمرة ، أسود
العينين ، طويل أهدابها ، جليل عظام رؤوس المفاصل ، عريض ما بين الكتفين ،
دقيق شعر الصدر الممتد إلى السرة ، غليظ الكفين والقدمين ، إذا مشى لم يثبت
قدميه ، كأنما يمشي فيما انحدر من الأرض إذا أراد أن يلتفت التفت بكل جسمه ،
أجود الناس كفاً وأجراً الناس صدراً ، حسن العشرة ، من رآه الأولى هابه ، ومن
خالطه أحبه ، يتلألاً وجهه تالؤ القمر ليلة البدر بين كتفيه خاتم النبوة :

رحمة كله وحزم وعزم	ووقار وعصمة وحياء
كرمت نفسه فما يخطر الـ	سوء على قلبه ولا الفحشاء

وسع العالمين علماً وحلماً فهو بحر لم تعيه الأعباء
لا تقس بالنبي في الفضل خلقاً فهو البحر والأنام إضاء
كل فضل في العالمين فمن فضل النبي استعاره الفضلاء
راحت السيدة خديجة تتأمل وتتفرس في أمين مكة وحديثه الصادق
الفصيح البليغ ، وتراه مطرق الرأس يستحي أن ينظر إليها ، أشد حياءً من
العدراء في خدرها ، يحب الحلواء والعسل ، ويعجبه اليقطين ، يأكل بأصابعه
الثلاث ويلعقهن ويشرب ثلاثاً ، يحب الطيب ، ويكره الريح الكريهة ، يمزج
ولا يقول إلا حقاً ، يحب التيامن في شأنه كله ، يتفقد أصحابه لم يكن
فاحشاً ولا متفحشاً ، ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ،
ياسعد من صلى عليه .

أيها الإخوة الكرام :

كل تلك الصفات الخيرة رأتها السيدة خديجة في سيدنا محمد ﷺ
فجعلت وهي في الأربعين من عمرها ، وهي التي ردت من قبل أعظم
شخصيات قريش نسباً وشرفاً ، جعلت تود أن تتزوج من هذا الشاب الذي
نفذت نظراته وكلماته إلى أعماق قلبها ، فما هو إلا أن ولى مودعاً بمثل ما
استقبل به من حفاوة وتكريم ، حتى أرسلت إلى أعز صديقاتها وهي السيدة
نفيسة بنت منبه وتحدثت إليها عن رغبتها بالزواج من الأمين محمد ﷺ .
أيها السادة :

ما زلنا معكم في مكة المكرمة ، وأرى بعين الإيمان واليقين السيدة
نفيسة تذهب وسيطاً لتمهد لهذا العقد المبارك دون أن تريق ماء وجه السيدة
خديجة ، فدخلت على سيد الخلق وحبيب الحق وسألته ، واسمعوا هذه
المحاوراة اللطيفة المختصرة الموجزة ، قالت له :

- ما يمنعك أن تتزوج؟

قال : ما بيدي ما أتزوج به .

قالت : فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة
ألا تحيب؟

قال : فمن هي ؟ . قالت : خديجة . قال : كيف لي بذلك ؟ . قالت :
عليّ ذلك (ض) .
أيها السادة :

وعادت السيدة نفيسة تحمل الخبر السار إلى صديقتها الحميمة فلم تبطئ
سيدة قريش الطاهرة ، إذ حددت اليوم والساعة التي يحضر فيها سيدنا محمد مع
أعمامه لعقد الزواج ، ثم أرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر مجلس
العقد سادات قريش في هيبة وجلال ، ثم جاء السيد الأعظم برجولته ونوره يشع
وجهه كأنه القمر ، ومعه عمه حمزة وأبو طالب ورؤساء مضر .
أيها السادة :

هيا بنا نشهد هذا المجلس المبارك ، نشهد زواج أشرف العالمين وسيد
المرسلين بحضور سادات قريش وأشرافها هاهو أبو طالب يقف ليتكلم فأصغوا
إلي بأسماع أفهامكم واسمعوا خطبة النكاح ، قال سيد قريش :
الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل ، وجعلنا
حصنة بيته وشوكة حرمه ، وجعل لنا بيتاً محفوظاً وحرماً آمناً ، وجعلنا
الحكام على الناس ، ثم إن ابن أخي هذا محمداً بن عبد الله لا يوزن به
رجل إلا رجح (قولوا نشهد) وإن كان في المال قل ، فالمال ظل زائل وأمر
حائل ، ومحمد ممن عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها
من الصداق أربعمئة درهم وإني يامعشر قريش أشهدكم على ذلك .
ولما أتم أبو طالب خطبته قام ورقة بن نوفل فقال :

الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت ، وفضلنا على ما عدت ، فنحن
سادة العرب وقادتها ، وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد
أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبتنا في الاتصال بحيكم وشرفكم
فاشهدوا علي معاشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد
بن عبد الله على أربعمئة درهم . لكن الراجح أن الذي زوجها هو أبوهاً
خويلد بن أسد (١) .

(١) - فتح الباري ٧/ ١٣٤ - ابن إسحق - ابن هشام ١/ ٢٠٣ .

وهنا بدأت صفحة مشرقة جديدة من حياة هذه المرأة الفاضلة النبيلة التي جمعت إلى جمال الخلق أدب النفس وإشراق الذهن وشرف العمل ، وتكشف لها عن أشرف الأزواج شعوراً وأصدقهم قولاً وأجملهم خلقاً وأشدهم لصوقاً بالفضيلة ، مجلسه مجلس أنس وحلم وحياء وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ولا تذكر فيه النساء ، مجلس تواضع وتوقير للكبير ورحمة للصغير ، رآته وهو يتألف أصحابه ويتفقدهم ويكرم كريم كل قوم ، يعفو ويصفح لا يضرب خادماً ولا امرأة ولا شيئاً قط . قالت عنه ، بل قال عنه كل من عرفه : عن أنس بن مالك . مسلم (٢٣٣٠) « ما مسسنا ديباجاً قط ولا حريراً ألين من كف سيدنا محمد ﷺ ولا شممنا رائحة قط أطيب من رائحة سيدنا محمد ﷺ » ، لقد وجدت السيدة خديجة في هذا الرؤوف الرحيم أباً شقيقاً وصديقاً رفيقاً وزوجاً مواسياً .

أيها الإخوة :

وتتوالى الأشهر والسنون على هذا الزواج الموفق ، فإذا حصاده أطفال كاللؤلؤ المنشور ، وراح هذان الزوجان يتعهدان هذه الرياحين النضرة بالحب والعطف والرعاية وهم ستة أولاد :

١- سيدنا القاسم : وبه كان يكنى ﷺ ولد بمكة وعاش قريباً من السنة ، وتوفي قبل البعثة .

٢- السيدة زينب : ولدت بمكة قبل البعثة بعشر سنوات وهي أكبر أخواتها ، أدركت الإسلام ، وتزوجت ابن خالتها أبا العاص بن الربيع ، وبقيت في مكة ، ولم تهاجر إلى المدينة حتى كانت السنة الثانية للهجرة ، وبعد غزوة بدر أسر أبو العاص وفداه أخوه ، وبعثت السيدة زينب معه بقلادة لها كانت للسيدة خديجة ، فراها رسول الله فعرفها وذكر السيدة خديجة وقال : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا على زينب قلادتها ففعلوا رضي الله عنهم .

وأخذ النبي عهداً عليه أن يرد إليه ابنته ، ففعل ، وقدمت السيدة زينب إلى المدينة ثم جاء أبو العاص مسلماً مهاجراً في السنة السابعة من

الهجرة ، فزوجها رسول الله منه ثانية ، لكن السيدة زينب ما لبثت أن توفيت بعد أن تركت ولدين : علي ، وأمامة ، هذه أمامة تزوجها سيدنا علي بن أبي طالب بعد وفاة السيدة فاطمة . ودفنت السيدة زينب في البقيع بعد أن عاشت ٣٥ سنة .

٣- السيدة رقية : تزوجت لأول مرة من عتبة بن أبي لهب ، ثم طلقت منه وتزوجها سيدنا عثمان بن عفان فكانت النور الأول الذي دخل عليه حياته وأنشد نسوة من الأنصار :

أحسن شخصين رأى إنسان رقية وبعلاها عثمان

وهاجرت معه إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، فكانت تلقب بذات الهجرتين ، وحين تجهز المسلمون لمعركة بدر تمنى عثمان أن يكون مع المجاهدين إلا أن زوجته السيدة رقية كانت تحتضر بعد مرض شديد قيل إنه الحصبة ، فأذن رسول الله لعثمان بالتخلف ليكون إلى جوارها ، ولكنها ما لبثت أن لبت نداء مولانا في رمضان أثناء غزوة بدر ولها من العمر ٢٧ سنة ، وكانت أولى بنات النبي لحوقاً بربها عز وجل .

وعاد رسول الله من المعركة ليجد ابنته قد دفنت تحت التراب فدعا لها وحزن من أجلها وكانت قد ولدت لعثمان ولداً ولكنه مات صغيراً ، ومن شدة حب رسول الله لعثمان زوجه ابنته :

٤- السيدة أم كلثوم (كوكب الإسلام) : وقد ولدت قبل البعثة وتزوجها الابن الثاني لأبي لهب ثم تركها بكرةً لأنه أبى أن يدخل في الإسلام وبقيت بلا زواج عشر سنين حتى تزوجها عثمان فكانت النور الثاني الذي دخل حياته ولقب بعدها بذي النورين ، فعاشت معه ولكنها لم تنجب .

وشهدت قبل زواجها به حصار قريش لرسول الله في مكة فكانت تتألم كثيراً ، ومع ذلك كانت تبسم لوالدها الحبيب الأعظم وتخفي عنه ألمها وتبشره بالنصر من الله تعالى ، وهاجرت إلى المدينة المنورة وتوفيت سنة تسع من الهجرة ، وألقى رسول الله بإزاره إلى أسماء بنت عميس التي غسلتها لتجعله

أحد أكفانها تبرکاً بأثره الشریف . وطیب رسول الله قلب عثمان وقال له :
- لو كان عندي عشر بنات لزوجتهن لك یاعثمان (یعني واحدة بعد واحدة) .

٥- جدتي وقرة عيني سيدتنا فاطمة الزهراء ، ولدت قبل البعث بخمس سنوات وهي من خير نساء العالمين ومن سيدات أهل الجنة ، وحين بلغت الثامنة عشر بعد مقدم رسول الله المدينة بخمسة أشهر خطبها سيدنا علي ثم زف إليها بعد رجوع المسلمين من بدر ، وكانت من قلة الطعام وشظف العیش مع سيدنا علي فانطلقت إلى رسول الله تشكو حالها معه ، فصبرها وأمرها بطاعة زوجها واحتمال شظف العیش معه .

أيها الإخوة : أعقبت السيدة فاطمة ثلاثة ذكور الحسن والحسين ومحسن وبتان توفيت إحداهما بعد ولادتها بثلاث سنين وتزوج الثانية سيدنا عمر بن الخطاب . (ومحسن توفي صغيراً) .

وأكرم الله الحسن والحسين فخرج منهما آل البيت النبوي كان منهم سادة وقادة وأئمة في العلم والدين والجهاد والزهادة .

٦- سيدنا عبد الله الملقب بالطيب والطاهر لأنه ولد في الإسلام بعد البعثة ولكنه توفي صغيراً ، وبوفاته قال العاصي بن وائل : إن سيدنا محمداً أبتّر وسينقطع نسله فأنزل مولانا دفاعاً عن نبيه الكريم :

﴿إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتّر﴾ / الكوثر : ١-٣ .

وكل أولاده عليه السلام توفوا قبله إلا السيدة فاطمة فإنها تأخرت بعده بستة أشهر .

أيها الإخوة :

هؤلاء هم أولاد نبينا الأعظم من السيدة خديجة ، وكل من ينكر أحد هؤلاء الستة أنه ليس من أولاده عليه السلام فهو منافق بين النفاق ، كل من يقول إن أولاد النبي فقط هي السيدة فاطمة فهو منافق بل زعيم المنافقين وحقيّرهم

يريد أن يفرّق كلمة المسلمين ، وهذه الدعوى النفاقية ظاهرة البطلان لأنها تكذب صريح القرآن ، لأن مولانا خاطب نبيه الكريم فقال :
﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدلين عليهن من جلابيبهن . . .﴾ / الأحزاب : ٥٩ / إن رب العزة يشهد أن لنبينا بنات وليس بنتاً واحدة ولو أصرّ هذا المنافق على دعواه تلك فإنه يكفر لتكذيبه صريح القرآن .

وأما نحن أمة الاسلام فنشهد الله بأننا نحب أولاد نبينا بعد حب نبينا ﷺ هذه هي عقيدة أهل السنة «حب القرابة واحترام الصحابة» .
احفظوا هذه العقيدة الإيمانية وتمسكوا بها يقول ﷺ :
«الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا» .

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله .



والصبيحة خديجة بنت خويلد / سيدنا محمد ﷺ

- ٦٩ -

الحمد لله الذي بلطفه تصلح الأعمال ، وبكرمه وجوده تدرك الآمال ، وعلى وفق مشيئة تتصرف الأفعال ، وبإرادته تتغير الأحوال ، وإليه المصير والمرجع والمآل ، سبحانه هو الباقي بلا زوال ، المنزه عن الحلول والانتقال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش والمعارج والطول والإكرام والجلال .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا محمداً عبده ورسوله ونبيه ، وخيرته من خلقه وصفيه ، وخليله ووليه وحبيبه المفضل .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ذي الشرف الباذخ والفضل الشامخ والعلم الراسخ والجمال والكمال ، وسلم تسليماً .
أما بعد : فياحمداً الإسلام وحراس العقيدة .

ما زلت معكم حول شخصية راقية من شخصيات الإسلام ، شخصية تفوقت على نساء العالمين قال عنها سيد العالمين ﷺ : خير نساء السماء والأرض مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد ، (ق) . وقال أيضاً : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت سيدنا ومولانا محمد ﷺ (ق) .

إنها المرأة الحجة على جميع النساء في الوفاء لزوجها .

أول امرأة أمنت بالله ورسوله من هذه الأمة ، المرأة التي جمعت من الخيرات ما لم تجمع لغيرها : فهي أول امرأة تزوج بها رسول الله ؛ ولم يتزوج عليها غيرها ، وإن كل أولاده ﷺ منها إلا إبراهيم ، وهي المرأة التي لم تسؤه

قط ، ولم تغاضبه ولم ينلها عتب ولا هجر منه ﷺ ، إنها المرأة التي دفعت بكل مالها وتجارها في سبيل تثبيت الدعوة الإسلامية .

إننا باختصار مع الحلقة التاسعة والستين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله .

أيها السادة :

إننا اليوم في سبيل الرد على أولئك الذين يأكل الحقد أفئدتهم على الإسلام وقوة سلطانه ، فقد ظن هؤلاء الأفاكون أنهم واجدون في موضوع زواج النبي من نسائه مقتلاً يصاب منه الإسلام ويمكن أن يشوه سمعة نبي الإسلام وتخليوا أن بمقدورهم أن يجعلوه عند الناس في صورة الرجل الشهوان الغارق في لذة الجسد ، العازف في معيشته المنزلية ورسالته العامة عن عفاف القلب والروح .

اليوم نرد على هؤلاء ونلجم أفواههم ونخرسهم إلى الأبد ، إن زواج نبينا من السيدة خديجة ظل قائماً حتى توفيت وقد ناهز النبي الخمسين من العمر دون أن يفكر خلالها بالزواج من أي امرأة أو فتاة أخرى ، وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء والميل إلى تعدد الزوجات للدوافع الشهوانية فما الذي حدث؟ ليسمع الأفاكون والمجرمون إن نبينا تجاوز كل تلك الفترة من (٢٠ إلى ٥٠) من العمر دون أن يفكر كما قلنا بأن يضم إلى خديجة مثلها من الإناث زوجة أو أمة ، ولو شاء لوجد الزوجة والكثير من الإماء دون أن يخرق بذلك عرفاً أو يخرج على مألوف بين الناس ، هذا على الرغم من أنه تزوج السيدة الطاهرة وهي أيم وكانت تكبره بما يقارب عمره . لو كان رسول الله كما يقولون لكان أخرى به أن يستجيب للوטר والرغبة الجنسية في الوقت الطبيعي لهذه الرغبة ، خصوصاً وقد كان إذ ذاك خالي الفكر ليس له من هموم الدعوة ومشاغلهما ما يصرفه عن حاجاته الفطرية والطبيعية . لكنه لم يفعل ، بل بقي

على امرأة واحدة طيلة فترة ٢٥/ سنة . لكنهم خصوم الإسلام لذلك لن أقي لهم بالأفهم أحقر من أن نهتم بهم أكثر من ذلك .

أيها السادة : اسمحوالي أن أنتقل إلى البيت المبارك الذي ضم أم المؤمنين الأولى ، لتتابع الحلقة الأخيرة من حياة هذه المرأة التقية النقية .

فقد كان زواج سيدنا رسول الله ﷺ من السيدة خديجة مفاجأة لقريش ، وذلك لفارق السن بينهما ، فلم يكن مستساغاً في ذلك الوقت أن يتزوج الرجل امرأة تكبره خمس عشرة سنة ، وخاصة أنها انصرفت عن أشرف قريش وزهدت فيهم جميعاً وأثرت عليهم سيدنا محمداً بن عبد الله الأمين الصادق .

وتوقع الناس ألا يستمر هذا الزواج ، لكن الزمن كذب جميع توقعاتهم فقد عاش الزوجان أسعد ما يكون في حياة يظلمها الحب والسكن والمودة ، وكانت أول ثمرته :

السيدة زينب ، وتلتها السيدة رقية فاعتبرهما والدهما بشارة خير وبركة ، ثم جاءت بعدهما السيدة أم كلثوم وزاد البيت سروراً وفرحة ولم يضق الأبوان بمولد الأنثى الثالثة ، كعادة القوم في ذلك الزمان وفي كل زمان ، ثم ولد القاسم على المشهور ، وسيدنا عبد الله ولكنهما ما لبثا أن توفيا ثم جاءت السيدة فاطمة رضي الله عنها وهي آخر من أنجبته السيدة خديجة وقد ولدت في السنة الخامسة قبل البعثة في العام نفسه الذي تم فيه تجديد بناء الكعبة . وكان بين كل ولدين من أولاده ﷺ سنة على ما رواه ابن سعد في الطبقات ، ومعنى ذلك أن السيدة خديجة انتهت من فترة إنجابها في سن الخمسين .

وتمضي الأيام ويشاء الله للهدى أن يعم البشرية ، وللرحمة أن تهدى إلى العالمين ، وللنور أن يبدد الظلام ، ظلام الجاهلية والكفر ، فيختار نبيه سيدنا محمداً ﷺ ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين ، فجاء الشهر المبارك شهر الهدى والفرقان فنزل الملك عليه في غار حراء وهو يتعبد نزل بأول الآيات القرآنية من سورة العلق .

سيدنا محمد ﷺ وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها

وارتاع رسول الله ﷺ لما سمع ودهش بما رأى ، وجعل يحرق في الأفق ليستوثق من هذا الطيف الذي رآه وإذا به يلوح له واضحاً جلياً في صورة لم تقع العيون على أجمل منها ، ويقول له بصوت رخيم فيه كثير من الأنس واللطف : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل (خ) .

وما إن انصرفت صورة الملك حتى رجع رسول الله ﷺ ممتلئاً بما أوحى إليه وفؤاده يجفُّ وقلبه يضطرب خوفاً وهلعاً ، ودخل على السيدة الأولى الطاهرة وهو يقول : زملوني زملوني .

وكانت السيدة خديجة مثال المرأة الفاضلة في برها بزوجها ، وحَدِّبها عليه ، ومشاطرتها له مفارحه وأحواله ، وقد حبتها السماء إحساساً رقيقاً وشعوراً عالياً ، وحديثاً عذباً تسكن إليه النفوس المتألمة ، فكان موقفها منه من أشرف المواقف التي تحمد لامرأة في الأولين والآخرين ، تهافتت على السيد العظيم فطمأنته حين قلق ، وأراحته حين جهد ، وذكرته بما فيه من فضائل مؤكدة أن الأبرار أمثاله لا يخذلون أبداً ، فاطمأن إلى كلامها ، وسكن إلى حديثها ، وكانت تنظر إليه نظرة ملؤها اليقين والإكبار والإعجاب ، وراحت وهي تغطيه وتسكن من روعه تستعرض في نفسها بسرعة خاطفة ما انطوت عليه نفسه الكريمة من خير وبر وأمانة وصدق ، وما حدثها به ميسرة عن شمائله العظيمة ، فأيقنت أن الله قد أراد به الخير ، واندفعت مصرحة بذلك قائلة له بحب غامر :

أبشر يا بن العم ، والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

أيها السادة :

واطمأن سيدنا رسول الله ﷺ وألقى على السيدة خديجة نظرة شكر ومودة ، ثم أحس جسمه متعباً فراح في نوم عميق . وانطلقت السيدة الطاهرة فلجأت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل عالم مكة ، وراحت تخبره بما جرى

لزوجها الحبيب وتخبره بما رأى وما سمع فقال ورقة :
قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة
لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبي هذه الأمة ،
فقولني له فليثبت .

«وهنا عادت السيدة خديجة الطاهرة إلى سيدنا رسول الله ﷺ وقد
عزمت على أن تستوثق بنفسها من أن الذي يأتيه من الوحي ليس من
الشیطان ، فقالت : أي ابن عم ، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي
يأتيك إذا جاءك . قال : نعم ، قالت : إذا جاءك فاخبرني به ، قال : فلما جاء
جبريل عليه السلام أخبرها . قالت : فاجلس على فخذي ، ثم سألته هل تراه .
فقال : نعم فإذا بالسيدة خديجة تحسر عن رأسها وتلقي خمارها فسألته هل
تراه : قال : لا . وهنا قالت : يا ابن عم أثبت وأبشر فوالله إنه للملك وما هذا
بشیطان ، لو كان شيطاناً ما استحيا» (ض) (سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٨ - ٢٣٩) .
أيها السادة :

وتتابع الوحي بعد فتوره مدة ، وعلمه الوحي كيف يصلي لربه صلاة
الإسلام فعلم النبي السيدة خديجة الوضوء والصلاة ، فكانت أول من آمن
به وبما جاءه من عند الله ، ثم دخل في الإسلام سيدنا زيد بن حارثة ثم
سيدنا علي ثم الصديق أبو بكر وكبار صحابة نبينا وأولاده ﷺ .

وكان طبيعياً أن تسارع السيدة خديجة إلى الإيمان به وقد جربت عليه طوال
حياته الأمانة والصدق وعلو النفس وحب البر والرحمة ، وأهل البيت - كما يقولون
- أدري بمن فيه . فوقفت الزوجة المحبة المؤمنة إلى جانب زوجها تنصره وتشد من
أزره ، وتعينه على احتمال أقسى ضروب الأذى والاضطهاد سنين عدداً .

يقول ابن إسحق : «كان رسول الله ﷺ لا يسمع شيئاً يكرهه من الرد
عليه وتكذيبه فيحزنه ذلك فيرجع إلى السيدة خديجة إلا تثبته وتهوّن عليه
أمر الناس» .

فلما قضى على بني هاشم وعبد المطلب أن يخرجوا من مكة لاثنين بشعب أبي طالب ، بعد أن أعلنت قريش عليهم حرباً مدنية لا ترحم ، وسجلت مقاطعتها لهم في صحيفة علّقت في جوف الكعبة ، حينها لم تتردد السيدة الطاهرة في الخروج مع زوجها ودعمها له بكل ما أوتيت من مال وخدم ، وتخلت عن دارها الحبيبة مغنى صباها ومجمع هواها ومثابة ذكرياتها ، وقامت بكل شجاعة وإقدام تتبع رجلها ونبيها ، وقد كبرت في السن وناءت بأثقال الشيخوخة والاضطهاد ، وبقيت على ذلك ثلاثة سنوات تذوقت مع سيدنا رسول الله والصحابة أهوال الحصار المنهك ، وتكافح الوهن الذي أخذ يدب إلى جسدها منذ جاوزت الستين ، متشبثة بالحياة في نضال رائع كي تظل إلى جانب رجلها في معركته الإيمانية الفذة التي يلقي فيها بقلّة مؤمنة عزلاء جبروت الوثنية والشرك وجموع القرشيين ذوي العدد والعدة ، وخاصة بعض الأقربين وعلى رأسهم أبو لهب وزوجته حمالة الخطب تبت يداهما .

ونزل سيدنا جبريل يحمل لها سلاماً خاصاً من مولانا رب العالمين ويبشرها ببيت في الجنة من قصب (لؤلؤ) لا صخب فيه ولا نصب ، تحية من الله رب العالمين (م : ٢٤٣٤) .

ثم فشل الحصار أمام ذلك الإيمان الراسخ وأن لرسول الله أن يعود إلى مكة إلى بيته وبيتها ، فتحاملت السيدة الطاهرة حتى فراشها ، وقد نال منها الإعياء واستنفذ الاضطهاد والعذاب ما أبقي لها الزمن من قوة في عامها الخامس والستين ، فمات أولاً أبو طالب وما إن انقضى ثلاثة أيام حتى اشتد المرض على السيدة الطاهرة وزوجها إلى جانبها لا يفارقها لحظة من ليل أو نهار .

أيها السادة :

علم رسول الله ﷺ أن قضاء الله عز وجل لا بد نازل ، فجلس إلى جوار سرير زوجته يؤانسها ويحادثها بمكانتها عند الله تعالى وأنها زوجته في

الجنة ، وأن ضرائرها ينتظرنها في الجنة : قال لها : يا خديجة بالكروه مني ، سلمني على ضرائرك في الجنة ، فقالت : أتزوجت قبلي يا رسول الله . فقال : لا ، ولكن الله زوجني في الجنة بأسية بنت مزاحم ، ومريم بنت عمران وكلثم أخت موسى .

لكن السيدة خديجة ما لبثت أن انتقلت إلى جنات ونهر ، وأسلمت الروح بين يدي الرجل الذي أحبه وأمنت به وصدقته وذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات أعني في السنة العاشرة للبعثة في رمضان . وخرج رسول الله يحمل جثمانها مع صحابته الكرام إلى مقبرة مكة في الحجون ، ونزل في حفرتها فدفنها بيديه ودعا لها واستودعها مولانا عز وجل .
أيها السادة الكرام :

بقي رسول الله يذكر السيدة الوفية طيلة حياته ويقدرها حق قدرها ، وبقي شديد الوفاء لها والحفاظ على عهدا وذكرها بعد موتها ، بل يحرص أشد الحرص على صلة أصدقائها من بعدها .

لقد كانت السيدة الطاهرة ملء حياة رسول الله حية وميتة ، وما جاوزت السيدة عائشة الحق حين قالت مرة للحبيب الأعظم (خ) : (كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة) . حتى صارت السيدة عائشة وهي حب رسول الله (تقول : ما غرتُ امرأة ما حسدت خديجة وما تزوجني رسول الله إلا بعدما مات . وكان ربما يذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبيعها في أصدقاء خديجة ، تقول السيدة عائشة فأغضبته يوماً فقلت : خديجة!! فقال : إني رزقت حبها) (م) .

(تقول السيدة عائشة : إن سيدنا رسول الله كان لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها ، فذكرها يوماً من الأيام ، فأدركتني الغيرة فقلت : هل كانت إلا حمراء الشدق (عجوزاً) قد أبدلك الله خيراً منها . تقول السيدة عائشة : فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال : لا والله ما أبدلني الله خيراً منها) - (م- أحمد- طب) :

- ١- أمنت بي إذ كفر الناس .
 - ٢- وصدقتني إذ كذّبي الناس .
 - ٣- وواستني في مالها إذ حرمني الناس .
 - ٤- ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء (أحمد) .
- تقول السيدة عائشة : فقلت في نفسي : لا أذكرها بسيئة أبداً .
- أيها السادة : هذه هي السيدة خديجة ، ساعد الرسول الأمين في بث دعوة الإسلام وتثبيت دعائمه ، كانت مثلاً رائعاً للمرأة الوفية التي تساهم في إعلاء الحق ورفع مناره ، إنها نقطة تحول وتفوق للمرأة في ظل الإسلام وتلك في الحق بداية للطريق الجديدة التي سوف تسير فيها المرأة الجديدة في ظل الإسلام الحنيف .
- فرضي الله عنها وأرضاها ورضي عن أولادها وذرياتها .
- هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



السيرة السودة بنت زهوة سيدنا محمد ﷺ أمهات المؤمنين

- ٧٠ -

الحمد لله المبدئ المعيد ، الغني الحميد ، ذي العفو الواسع ، والعقاب الشديد ، من هداه فهو السعيد السديد ، ومن أضله فهو الطريد البعيد ومن أرشده إلى سبيل النجاة ووفقه فهو الرشيد كل الرشيد . أحمده سبحانه وتعالى وأشكره ، قسم الخلق قسمين وجعلهم فريقين : فريق في الجنة وفريق في السعير إن ربك فعال لما يريد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد .
وأشهد أن سيدنا وحبينا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا محمداً عبده ورسوله أشرف من أظلت السماء وأقلت البيد .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين ، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين .

أما بعد : فياحمّة الإسلام وحراس العقيدة .
نتناول اليوم طرفاً من حياة رسولنا العربي الأمي الذي قال مولانا فيه ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وقال لنا يصف أخلاقه العالية : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ /التوبة : ١٢٨/ .

وسنرى اليوم هذه الرأفة والرحمة متمثلة بجانب من حياته ﷺ مع
زوجه الثانية ، أعني بها :

السيدة سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس من قريش .
وأما الشموس بنت قيس بن زيد من بني عدي من بني النجار من الخزرج .
تزوجت أولاً من السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو ، فأسلمت
هي وزوجها وأخوها مالك ، وأمرهم رسول الله بالهجرة إلى الحبشة فهاجروا
مع من هاجر فراراً إلى الله بدينهم .

وبعد إسلام سيدنا عمر وسيدنا حمزة رضي الله عنهما سمع من كان
بأرض الحبشة من المهاجرين أن أهل مكة أسلموا كلهم ، فرجعوا إلى مكة ،
وكانت سودة وزوجها مع العائدين قبيل نقض الصحيفة .

وبعد عودتها رأت في المنام كأن النبي ﷺ أقبل يمشي حتى وطئ على
عنقها فأخبرت زوجها بذلك ، فقال :

- وأبيك لئن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجنك رسول الله . فقالت :
حجراً وستراً (أي تدعو بأن يمنعها الله ويسترها بما تعنيه الرؤيا من أن زوجها
سيموت) .

وفي مرة أخرى رأت أن قمراً انقضَّ عليها من السماء وهي
مضطجعة ، فأخبرت زوجها فقال : وأبيك لئن صدقت رؤياك لم ألبث إلا
يسيراً حتى أموت وتتزوجين بعدي .

واشتكى الصحابي السكران من يومه ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى
مات ، وكانت وفاته مواكبة لوفاة السيدة خديجة ، وظهرت على الحبيب
الأعظم بسبب موت زوجته الوفية آثار الحزن والتأثر ، كما ترك موت السكران
فراغاً في حياة السيدة سودة وخاصة أنها لم تنجب .

أيها السادة :

إننا مع الحلقة السبعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ،
ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا عالياً شعار التوحيد :

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله .

أيها الإخوة : بقيت السيدة سودة مهيضة الجناح معرضة للنكال من كفار قريش ، بل ربما من أبيها الذي كان على الشرك ، فلا سند لها ولا معيل .
وهكذا نرى هذه السيدة تعاني من محنة الاغتراب إلى الحبشة ، ومن محنة الترميل ومحنة التعذيب من أهلها ، فكان واجب المسلمين المستضعفين أن يضم رجل مسلم مثل هذه الأرملة المهددة في دينها ، المطعونة في طمأنينتها المستوحشة بفقدان عشيرتها .

والتعدد - أيها الإخوة - ليس سنة مستحدثة في العرب ، بل ذلك حالهم منذ القديم ، وأولى الناس بضم مثلها من لا زوجة له مثل رسول الله ﷺ . ولكن الصحابة لم يتقدموا إلى رسول الله ﷺ إبّان حداده على زوجته الوفية وأم أولاده ، لم يتقدموا للتحديث في موضوع الزواج ، فلما انتهت أيام الحداد كانت الصحابية الجليلة خولة بنت حكيم السلمية زوجة سيدنا عثمان بن مظعون هي التي سعت إليه ذات مساء متلطفة مترفقة فقالت له :

- يا رسول الله ! كأنني أراك قد دخلتكَ خَلَةً (حاجة) لفقد خديجة؟

فأجابها الحبيب الأعظم ﷺ : أجل ، كانت أمّ العيال وربة البيت .

وهنا فاتحته في الزواج ليجد الرعاية والراحة ، ولتجد طفلته التيمية فاطمة وأم كلثوم الرعاية والخدمة ، فوافق رسول الله ﷺ فاقترحت عليه الزواج بتلك الأرملة العجوز الكسيرة الفؤاد المعرضة للفتنة عن دينها . وينقل لنا الطبري في تاريخه أن السيدة خولة بنت حكيم ذهبت إلى سودة فقالت :

- ألا تعرفين ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ فسألت سودة

وهي لا تدري مرادها : وماذا يا خولة؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه . وجاهدت سودة لتملك نفسها من فرط العجب والدهشة ، ثم قالت في صوت مرتجف : وددت ، أدخلي على أبي فاذكري له ذلك .

أيها السادة : اسمعوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى مكة المكرمة لأنقل لكم هذا الحدث ضمن عام الحزن الذي اجتاحت مكة كلها .

هاهي السيدة خولة تدخل على شيخ كبير تخلف عن الحج فحيته
بتحية الجاهلية ، ثم قالت :

- إن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب أرسلني أخطب عليه سودة .
فقال الشيخ : كفاء كريم ، فماذا تقول صاحبتك . أجابت خولة : تحب ذلك .
فسألها أن تدعوها إليه . فلما جاءت تلقاها بقوله :

- أي سودة ، زعمت هذه أن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب
أرسل يخطبك وهو كفاء كريم ، أفتجيبين أن أزوجهك ؟ . فلم تقل السيدة
سودة إلا كلمة واحدة : نعم .

أيها الاخوة : يقول ابن سعد : إن الزواج المبارك كان في رمضان من
السنة العاشرة من النبوة ، وقد زوجها حاطب بن عبد شمس وكان صداقها
أربعمئة درهم .

أيها السادة : أريد أن أوجه انتباهكم إلى أمر هام : لقد تزوجها رسول
الله لتكون مدبرة لبيته ومربية لابنتيه لا لتكون متعة حس ولذة مضجع ،
تزوجها لتكون في كنفه وتنعم بظله وعطفه ، ولتجد في الزواج من سيدنا
رسول الله شرفاً وعزاً ، وعاصماً من النكال والردة ، ولتحل بين أبناء دينها
الجديد أرفع مكانة تصبو إليها المرأة المسلمة «مكانة أم المؤمنين» .

وتذكر كتب السيرة أن سيدنا رسول الله وصاحبه هاجرا إلى المدينة
في ربيع الأول ، وأسس أول مسجد في الإسلام في قباء ، ثم انتقل إلى
حيث أراد له الله تعالى ، وأقام في بيت أبي أيوب حتى بني مسجده وبيوته
حول المسجد النبوي ، وعندما استقر برسول الله المقام بالمدينة بعث إلى
ابنتيه وزوجه سودة فجاء بهن إلى المدينة زيد بن حارثة ومولاه أبو رافع .

ويحدث ابن سعد بسنده إلى السيدة سودة أنها قالت لسيدنا
رسول الله ﷺ :

«صليت خلفك الليلة فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن
يقطر الدم ، فضحك سيدنا رسول الله ﷺ وكانت تضحكه بالمشي أحياناً .
وكانت طيبة القلب ، يروي ابن إسحق صاحب السيرة قال :

قدم بأسرى بدر وسودة بنت زمعة زوج النبي عند آل عفراء في
مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء ، وذلك قبل أن يضرب على أمهات
المؤمنين الحجاب . تقول سودة :

والله إني لعندهم إذ قيل : هؤلاء الأسارى قد أتى بهم ، فرجعتُ إلى
بيتي ورسول الله فيه وإذا بسهيل بن عمرو أخي زوجها في ناحية الحجرة
يداه إلى عنقه بحبل ، فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيته كذلك أن قلت :
أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كراماً . فوالله ما أبهتني إلا قول رسول
الله من البيت : ياسودة أعلى الله ورسوله تحرضين . قلت : يارسول الله
والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يده
إلى عنقه أن قلتُ ما قلت (ابن هشام ٢ / ٣٣٥) .

أيها السادة : وتمر الأيام على أم المؤمنين الثانية ، وتحس هذه العجوز
الطيبة القلب بعد سنوات أنها أصبحت عبئاً على كرم رسول الله ﷺ وقد
تجاوزت السبعين من العمر ، فاستأذنته أن تظل في بيته وتعفيه من حقوق
الزوجة ، ثم قالت له :

- أمسكني (اتركني عندك) والله ما بي على الأزواج من حرص
ولكنني أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجاً لك .

وحين جاءت السيدة عائشة رضي الله عنها بعد سنوات إلى الدار
فَسَحَتْ لها سودة المكان الأول وسهرت علي راحتها وظلت السيدة عائشة
تذكر هذا الجميل فتقول : «ما من امرأة أحب إلي من أن أكون في مسلاخها
(خيرها وبركتها) من سودة بنت زمعة» .

واسمعوا معي إلى السيدة عائشة تروي لنا فتقول :

كانت سودة بنت زمعة قد أسنت ، وفي رواية أنها ثبطة ثقيلة ، وكان
رسول الله لا يستكثر منها ، وقد علمت مكاني من رسول الله ﷺ وأنه
يستكثر مني ، فخافت أن يفارقها وضنت بمكانها عنده فقالت : يارسول الله
بومي الذي يصيبني لعائشة ، وأنت منه في حل ، فقبله نبينا ﷺ (ت-
حسن - الفتح ٩ / ١٤٤) وفي ذلك أنزل مولانا قوله : ﴿وإن امرأة خافت من

بعلها نشوراً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير ﴿١٦٨﴾ / النساء : ١٦٨ .

أيها السادة : وهكذا بقيت السيدة سودة في بيت رسول الله متنازلة عن ليلتها لغيرها ، راضية بالعبادة والطاعة ، وناقلة لكل ما تقع عليه عينها من شؤون هذا البيت العظيم ، وراوية لأحاديثه ﷺ وحجت معه حجة الوداع ، ففي الصحيح عن السيدة عائشة (م ١٢٩٠) :

«استأذنت سودة رسول الله ليلة المزدلفة أن تدفع قبل حطمة الناس ، وكانت امرأة ثبطة (أي ثقيلة) فأذن لها . حتى قالت السيدة عائشة : وددت أني كنت استأذنت رسول الله كما استأذنته سودة فأصلي الصبح في منى قبل أن يجيء الناس» .

أيها الإخوة الكرام :

وهكذا نرى السيدة سودة تعيش في البيت النبوي في كنف أعظم زوج أمماً للمؤمنين ، ولم تصب منه ولداً إلى أن مات ﷺ ، فلزمت بيتها كما أمرها مولانا عز وجل ، وامتد بها العمر إلى أواخر حياة سيدنا عمر ، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح عن محمد بن سيرين أن سيدنا عمر بعث إلى سودة بغرارة من دراهم فقالت : ما هذه؟ قالوا : دراهم . قالت في غرارة مثل التمر؟! . قال : ففرقتها رضي الله عنها .

أيها السادة بقيت السيدة سودة حتى بلغت مئة عام وتوفيت آخر خلافة عمر ودفنت في البقيع في المدينة (فقولوا رضي الله عنها) .

أيها الإخوة : إن السيدة سودة بنت زمعة أول زوجة بعد السيدة خديجة ، وهي زوجة شرف في الدنيا لا أكثر ، فهل في زواج نبينا ﷺ من سودة أية شبهة أو شهوة كما يزعمه أعداء الإسلام!!؟

فمن هي أم المؤمنين الثالثة في دخول بيت النبوة؟ .

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

الطيب عائشة بنت الصديق سيدنا محمد ﷺ أمهات المؤمنين

- ٧١ -

الحمد لله البر الجواد ، الذي جَلَّتْ نعمه عن الإحصاء بالأعداد ، المانّ باللفظ والإرشاد ، الهادي إلى سبيل الرشاد .
وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الغفار وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا محمد ﷺ وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكن المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد :

فحدثنا اليوم عن سيدة نساء عصرها تقوى وورعاً ، عن امرأة حملت شطر علم رسول الله ﷺ ، وكانت ضمن النفر الذين أسلموا في أول الدعوة وهي يومئذ صغيرة ، إذ أنها ولدت بعد المبعث بأربع سنين ، امرأة أسلم أبوها وجدها وأمها وأخواتها بل أهل بيتها كلهم أعني بها أم المؤمنين الثالثة في دخولها بيت النبوة ؛ الصديقة بنت الصديق السيدة عائشة بنت أبي بكر واسمه عبد الله بن عثمان القرشية التيممية ، وأمها أم رومان بنت عامر الكنانية من أوائل المسلمات المهاجرات قال عنها نبينا ﷺ :
«من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان» (ابن سعد : مرسل) (٢٧٧ / ٨) .

فحديثنا سيكون عن هذه السيدة القرشية التي تبوأ مكانة أم المؤمنين وهي بعد ما زالت في سن التاسعة من العمر .
أيها السادة :

إننا مع الحلقة الواحدة والسبعين من سلسلة القضايا اليمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد .
لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله .

أيها الإخوة المسلمون :

لغظ المستشرقون أعداء الإسلام بأمر زواج رسول الله من هذه السيدة القرشية فقالوا : كيف يتزوج رسول الإسلام الذي شارف على الخامسة والخمسين من بكر حول سن العاشرة؟
وللإجابة عن هذا الإشكال الذي أوقع به المستشرقون أنفسهم علينا أن نعلم :

أن السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل لجبير بن مطعم بن عدي ، وتركها لإسلامها وإسلام أبيها ، إذن الفتاة - أولاً - كانت مقدمة « على الزواج » .
وثانياً : كانت خطبة هذه السيدة من قبل السيدة خولة بنت حكيم بعد أن رأت حزن رسول الله واستيحاشه لوفاة السيدة خديجة ، فبادأته هي أن يتزوج منها .

وثالثاً : كان الناس في الماضي لا يتزوجون بناء على شهادات الميلاد ، بل كانوا يتزوجون بأنوثة المرأة ورجولة الرجل ، بل كانت المرأة تعرف بأطوار نموها البدي ، كما يعرف الزارع نضوج الثمرة في حقله ، ثم هل من المعقول أن يوافق الصديق على زواجها لو لم تكن أهلاً لذلك الزواج ، فحين خطبها رسول الله من أبيها قال الصديق : يا رسول الله أوتحل لك؟! قال : نعم . قال : أليست أخاك؟ قال : بلى في الإسلام وهي لي حلال .

بل لو كان هذا الزواج يخالف سنة العرب لاتخذ الكفار والمشركون والمنافقون منه طعناً برسول الله ، ونحن في العصر الحديث شهدنا زيجات عديدةً مثل هذه ، ومن الخلط في التفكير أن يوزن الحدث منفصلاً عن زمانه ومكانه وظروف بيئته جميعاً .

وأما ما يقال عن كبر سن نبينا وصغر سن السيدة عائشة ، فهذا كان عند العرب مألوفاً وسائداً فقد نروج عمر بن الخطاب من بنت سيدنا علي بن أبي طالب وهو يفوق والدها بالعمر .

أيها الاخوة :

لن نخوض في هذه المسألة كثيراً ، لأن الذي تولى مهمة التمهيد لهذا الزواج هو الله رب العالمين ، فقد دلت الروايات أن مولانا أرسل الأمين جبريل مناماً إلى حبيبته ومصطفاه لينخبره بنخبرها ويهيئ قلبه ومشاعره للزواج منها بعد وفاة زوجها السيدة خديجة ، واسمعوا إلى نبينا الأعظم ﷺ يقول للسيدة عائشة :

«أريتك في المنام مرتين أو ثلاثة ، أتيت بك (بصورتك) في سرقة حرير (قطعة) فأكشفها فإذا هي صورتك . فيقال : هذه امرأتك . فأقول : إن كان هذا من عند الله يمضه » (ق) .

أيها السادة :

وتم ما أراده مولانا عز وجل ، إذ أن نبينا ﷺ عقد عليها وهي بنت ست وبنى بها وهي بنت تسع وكان دخوله بها في شوال في السنة الثانية للهجرة ، ففي الصحيح عن السيدة عائشة قالت : «تزوجني رسول الله وأنا بنت ست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع فقبض وأنا بنت ثمانين عشرة سنة» .

ولم يتزوج بكرراً غيرها وكانت تكنى أم عبد الله ، كناها رسول الله بآبن اختها عبد الله بن الزبير ، اسمعوا إليها تحكي قصة زواجها من الحبيب الأعظم ﷺ تقول :

تزوجني النبي وأنا بنت ست سنين (عقد عليها) فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج ، ومكثنا أياماً في منزل أبي بكر ، ثم قال أبو بكر : يا رسول الله ما يمنعك من أن تبني بأهلك . قال رسول الله : الصداق . فأعطاه أبو بكر الصداق اثنتي عشرة أوقية ونشا . فبعث بها رسول الله إلينا .

تقول السيدة عائشة : فأتتني أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعني صواحب لي فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي ، فأخذت بيدي ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر . فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأنني فلم يرعني إلا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأسلمتني إليه وأنا يؤمئذ بنت تسع سنين (خ ٣٨٩٤) .

أيها السادة :

كان سيدنا حارثة بن النعمان من الأنصار (شهد بدمراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ) كان يسكن إلى جوار حجراته ﷺ وكان كلما أتت أم للمؤمنين ترك لها غرفة من بيته وانتقل ليبيني غيرها حتى استحيا منه رسول الله ، وإليكم هذا الحوار الذي دار بين رسول الله وحارثة قال ﷺ : لقد استحيت من حارثة . فقال حارثة : إنما أنا ومالي لله ورسوله ، والله يا رسول الله للذي تأخذ مني أحب إلي من الذي تدع . فقال له ﷺ : صدقت بارك الله عليك .

أيها السادة :

وتذكر كتب السيرة أن زفاف السيدة عائشة إلى رسول الله كان في يوم أربعاء من شهر شوال من السنة الأولى للهجرة بعد سبعة أشهر من قدومه المدينة . وكان عليه الصلاة والسلام يدللها تدليل الكبير للصغيرة ، وكان يأتيها في السنوات الأولى من زواجها بأترابها وصديقاتها ليلعبن معها بالدمى والعرائس كبقية الصبايا اللواتي في مثل سنها . تقول السيدة عائشة (م ٢٤٤٠) :

«كنت أَلعب بالبنات (اللعب) عند رسول الله ﷺ وكانت تأتينني

صواحبي وكن ينقمعن (يسترن) من رسول الله ﷺ وكان يسربهن (يرسلهن) إلي فيلعبن معي . وفي رواية (ق) : أن نبينا قدم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر (في مخدعها غطاء) فهبت الريح فكشفته عن بنات لعائشة لعب ، فقال ﷺ :

- ما هذا يا عائشة؟ قالت : بناتي . ورأى بينهن فرساً له جناحان . فقال ﷺ : وما هذا الذي وسطهن؟ . قالت : فرس . قال : فرس له جناحان . قالت : أما سمعت أن لسليمان عليه السلام خيلاً لها أجنحة؟ . قال : فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه (خ) .
أيها الإخوة :

ولكن مدة لعب السيدة عائشة في بيت رسول الله لم تمتد طويلاً ، فسرعان ما أحست بالتبعة بعد أن صارت أمّاً للمؤمنين ، وعرفت أن لهذه الأمومة ضريبتها ، فاقتربت من رسول الله تسمع منه وتحفظ عنه ، تعي وتستفسر عما غمض وتشرح للنساء ما يستحيي منه رسول الله من توضيحه وبيانه ، حتى صارت أكثر أمهات المؤمنين رواية للحديث ، فقد ذكر صاحب شذرات الذهب عن الحافظ الذهبي : أنها روت ألفين ومئتي حديث وعشرة أحاديث ، فتأتي بعد أبي هريرة وعبد الله بن عمر في الإكثار من الرواية . يقول عنها الإمام الزهري : لو جمع علم السيدة عائشة إلى جميع علم أزواج رسول الله وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل .

ويذكر ابن سعد : أن السيدة عائشة كانت تفتي في عهد عمر وعثمان ، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ عمر وعثمان يرسلان إليها بعد وفاته ﷺ فيسألونها عن السنن .

وقال مسروق : رأيت مشيخة أصحاب رسول الله الأكابر يسألونها عن الفرائض .

وقال عطاء بن رباح : كانت السيدة عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة .

أما ابن أختها عروة فيقول : ما رأيت أحداً أعلم بفقهِ ولا بطب ولا

بشعر من عائشة ، وما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً .
وكانت كريمة سخية كأبيها ، يقول عنها عروة : رأيتها تتصدق بسبعين ألفاً .
وقالت جارياتها أم ذرة : بعث إليها ابن الزبير بمال يقدر بمئة ألف فدعت
بطبق وهي يومئذ صائمة ، فجعلت تقسمه في الناس ، فلما أمست دعت
بإفطارها فقالت لَهَا جارياتها : يا أم المؤمنين أما استطعت فيما أنفقت أن
تشتري بدرهم لحماً . فقالت : لو ذكرتنني لفعلت .
وفي أواخر حياتها فكر معاوية في شراء بيتها ليضم إلى مسجد رسول الله
بعد وفاتها ، وقال لها أنت أولى بالشفعة ، ثم أرسل إليها بمئة وثمانين ألف
درهم . قال : فما رامت من مجلسها حتى قسمت كل المال .
أيها الإخوة :

كانت السيدة عائشة في مقدمة الزوجات في بيت النبوة فهي
أصغرهن سناً وأقربهن إلى قلب رسول الله سألهم عمرو بن العاص : يا رسول
الله من أحب الناس إليك . قال ﷺ : عائشة . قال عمرو : إنما أقول من
الرجال . قال : أبوها (م ٢٢٨٤) .
لهذا كله كنا نراها أحب نساء رسول الله إليه ، وكانت متميزة بعطر
الحب الذي يغمرها في بيته ﷺ حتى إنها ما كانت تحدث عنه إلا بذلك
التعبير الشفاف : حبي رسول الله قال كذا .
ولقد قال فيها سيدنا أنس بن مالك : أول حب كان في الإسلام حب
النبي لعائشة رضي الله عنها .

وكانت واثقة من مكانتها في قلب النبي وأنها هي الأثيرة عنده ،
ولكنها في كل الأحوال أنشئ ، كانت تملكها الغيرة من أن ينبض هذا
القلب الكبير بحب آخر ، وكانت بين الفينة والفينة تسأل رسول الله عن هذا
الحب ، قال له مرة : يا رسول الله كيف حبك لي ؟ . فقال : كعقدة الحبل .
أي أنه حب وثيق مبرم لا تنحل عروته ولا تنفك عقده . فكانت تقر عينها
بما تسمع . ولكن كلما لمح رسول الله بلمحة وفاء لذكرى الزوج الراحلة
خديجة نراها تداعبه وتسال عن عاطفته نحوها فتقول :

- كيف العقدة يارسلو الله؟ فيقول لها : هي على حالها .
بل كان رسول الله يصرح بحبه لهذه الزوجة الحبيبة حتى في موقف
الجد أو في سياق العتاب ، ومن ذلك ما ذكرته السيدة عائشة قالت : ذهبت
فاطمة تذكرها (تشكوها) عند رسول الله فقال : يا بنية حبيبة أبيك .
إنها جملة تغني عن أي كلام في هذا المقام ، لم يجد رسول الله حلاً
لشكوى إلا في هذه الكلمة الموجزة التي تشبه أن تكون رجاءً منه لابنته أن
تتجاوز عن شكايتها لأنها تذكر حبيبة أبيها ، وحق عليها أن تكرم أباهما
بالصفح عن حبيبته مهما تكن الأسباب ، فلغة الحب وحدها هي التي
تذهب كل عتاب أو مشكلة .

أيها السادة :

ارفعوا رؤسكم عالياً بسيدنا محمد ﷺ فأنتم تنتسبون لأفضل نبي ،
ترون ذلك حين تتابعون أخبار هذا الحب المتناثرة في كثير من الكتب ،
اسمعوا الأجل :

إننا نرى رسول الله يسقي السيدة عائشة من كأس فترشف منه رشفة ، ثم
يأخذها ليشرب منه فيضع فمه موضع فمها حيث شربت . (صلوا عليه) .
ونجد رسول الله يسابقها في بعض غزواته فتسبقه حين كانت خفيفة
الحركة ، حتى إذا كانا في غزوة أخرى وامتلأ جسمها باللحم سابقتها فسبقتها
فقال لها : هذه بتلك .

أسمعتهم أحلى من هذه المداعبة بين زوجين ، إنها بحق حبيبة رسول
الله ، ولهذا كان بعض الرواة حين يروي عنها يقول : حدثني الصديقة بنت
الصديق حبيبة رسول الله المبرأة .

وهكذا - أيها السادة - نزلنا اليوم زائرين على هذه السيدة التقية
النقية ، فما هو الدرس الإيماني التالي الذي تلقاه أصحاب رسول الله ببركة
هذه الصديقة؟

أدع هذا السؤال لأجيب عنه بإذن الله تعالى في الجمعة القادمة وأعود
بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها
عليه أن يوحد الله تعالى .

تذكر عزيز الموحّد: للرد على المستشرقين:

أنه لا داعي لقياس حياة نبينا الزوجية بالمقاييس الغربية ولا الحكم عليها من وجهة تقاليد القرب ، لأن للعرب نظامهم الخلقي الخاص .

- أصناف النساء اللواتي أباحهن الله لنبه الكريم .

١- المهورات .

٢- المملوكات .

٣- المهاجرات .

٤- الواهبت أنفسهن .

- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في خدمة أهله : يغلي ثوبه -

ويحلب شاته ، ويخدم نفسه ، كان ألين الناس ، وأكرمهم ، ماضرب بيده

خادماً ولا امرأة قط . وهو القائل : خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي .

السيدة عائشة (٢)

وحديث الإفك

- ٧٢ -

الحمد لله البر الجواد ، الذي جلت نعمه عن الإحصاء بالأعداد ، المان بالطف والإرشاد ، الهادي إلى سبيل الرشاد .
وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الغفار وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا وأميرنا وقائدنا وقره أعيننا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وذريته وآل بيته الكرام وسلم تسليماً .
أما بعد :

ما زلنا أمام قمة شامخة من قمم العلم والمجد ، مازلنا ننزل زائرین على سيدنا رسول الله ﷺ وعلى زوجته الصديقة بنت الصديق حبيبة سيدنا رسول الله ﷺ أعني بها السيدة الطاهرة عائشة بنت سيدنا أبي بكر قولوا رضي الله عنهما .

فإن آل أبي بكر كلهم بركة وكل ما يجري معهم تجري بركته على الأمة الإسلامية تقول السيدة عائشة (عند البخاري ٣٣٤) :

«خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي - وفي رواية أنها استعارته من أختها أسماء - فأقام رسول الله على التماسه ، وأقام الناس معه وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا : ألا ترى إلى ما صنعت عائشة ؟ . أقامت برسول الله وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء . فجاء أبو

بكر ورسول الله واضع رأسه على فخذي قد نام . فقال : حبست رسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء . قالت فعاتبني أبو بكر وقال ماشاء الله أن يقول ، وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله على فخذي ، فنام رسول الله حتى أصبح على غير ماء - وأرادوا أن يصلوا الفجر - فأنزل الله آية التيمم وفيها : ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾ وهنا قال أسيد بن حضير ، وهو أحد النقباء من الأنصار يوم العقبة - ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ، وفي رواية : (خ ٢٣٦) [جزاك الله خيراً فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً] . [تقول السيدة عائشة : فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحت] .

أيها السادة اسمحولي أن أنتقل بكم عبر الزمن الممتد إلى الماضي ، إلى السنة السادسة للهجرة ، وها أنا أرى بعين الإيمان واليقين الحبيب الأعظم ﷺ يعود أدراجه من غزوة بني المصطلق منصوراً مؤزراً ، ومعه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فينزل مع الجيش في ليلة قريباً من المدينة المنورة ليرتاح معه قليلاً من عناء ومشقة السفر . فما الذي حدث ؟ .

أجيب عن هذا السؤال مع الدرس الثاني والسبعين من دروس التضيايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد : لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله .

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز وجل على موجات سورة النور :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين . لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا

بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته
في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ﴿٤١﴾ .
أيها الإخوة الكرام :

هذه الآيات الكريمات تضمنت الدفاع عن أم المؤمنين السيدة عائشة
فيما نسب إليها من حديث الإفك والزور والبهتان ، فأُنزل الله تعالى براءتها
في عشر آيات من القرآن الكريم تتلى عبر الأجيال على تعاقب الزمان ،
وفضح الله المنافقين وأحبط أعمالهم .

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها (فيما يرويه الإمام أحمد خ
٤١٤١- م وغيره) :

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه فأيتهن
خرج سهمها خرج بها رسول الله معه . قالت : فأقرع بيننا في غزوة غزاها
فخرج فيها سهمي ، وخرجتُ مع رسول الله في غزوته تلك ، فلما قفل
(انتهى) من الغزوة ونصره الله تعالى ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل
فقممت حين أذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني
(حاجتها) أقبلت إلى رحلي ، فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار
قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين
كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم
يحسبون أنني فيه . قالت : وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشيهن
اللحم إنما يأكلن العلفة من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين
رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا .
تقول السيدة عائشة رضي الله عنها :

فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم ليس بها داع ولا
مجيب ، فتيمنت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني
فيرجعون إلي .

فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمت ، وكان صفوان بن
المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فأدلى (وكان رضي

الله عنه يتأخر عن الناس في الغزوات فيقوم فيصلي ثم يتبعهم فيجمع ما يسقط منهم على الطريق فيأخذه فيأتي به أصحابه ، فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رأيته ، وكان قد رأي قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي على الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزل موغرين في نحر الظهيرة ، فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول فقدما المدينة فاشتكت حين قدمناها شهراً (مرضت شهراً) والناس يفيضون في قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، والذي يريني فيوجعي أني لا أرى من رسول الله اللطف الذي أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل رسول الله فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ . فذلك الذي يريني ، ولا أشعر بالشر . تقول السيدة عائشة رضي الله عنها :

حتى خرجت بعدما نقهت ، وخرجت معي أم مسطح قبل قضاء الحاجة (وهو متبرزنا) ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم ابن المطلب بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عاصر خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب ، قالت : فأقبلت أنا وهي قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها . فقالت : تعس مسطح . فقلت لها : بئسما قلت تسبين رجلاً شهد بدرًا؟

نقالت : أي هتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت : وماذا قال؟ قالت : فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضاً إلى مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال : كيف تيكم ؟ . فقلت له : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ . قالت : وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي رسول الله ﷺ .

فجئت أبوي فقلت لأمي : یا أمتاه ماذا يتحدث الناس به . فقالت :
 أي بنية هوني عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها
 ضرائر إلا أكثرن عليها فقالت السيدة عائشة : سبحان الله أوقد تحدث
 الناس بها ، تقول : فبکیتُ تلك الليلة حتی أصبحتُ لا یرقأ لي دمع ولا
 أکتحل بنوم ثم أصبحت أبکی . قالت : فدعا رسول الله علي بن أبي
 طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي یسألهما ویستشیرهما في فراق
 أهله ، قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار علی رسول الله بالذي یعلم في
 نفسه لهم من الود . فقال :

- یارسول الله أهلك ولا نعلم إلا خیراً .

وأما علي بن أبي طالب فقال : یارسول الله لم یضیق الله عليك ،
 والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر .

قالت : فدعا رسول الله بريرة فقال : أي بريرة! هل رأیت من شيء
 یریبك عن عائشة . فقالت له بريرة : والذي بعثك بالحق إن رأیت عليها أمراً
 قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها
 فتأتی الداجن فتأكله .

كما استشار رسول الله الفاروق عمر فأجابه بما عهد فيه من حزم
 ووضوح في الرأي قائلاً :

- من زوجها لك یارسول الله؟

قال : الله تعالى . قال : أفتظن أن الله دلس عليك؟ سبحانك هذا
 بهتان عظیم .

أيها السادة الكرام :

وهكذا استيقن رسول الله ﷺ براءة السيدة عائشة فقام من يومه
 فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول فقال وهو علی المنبر :
 یا معشر المسلمين من یعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي ، فوالله

ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي .

فقام سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه فقال : أنا أعذرک منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک .

قالت : فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية - فقال لسعد بن معاذ : - كذبت ، لعمر الله لا تقتله ، ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحبيت أن يقتل .
فقام أسيد بن حضير (وهو ابن عم سعد بن معاذ) فقال لسعد بن عبادة :

- كذبت لعمر الله لنقتله فإنك منافق تجادل عن منافقين .
فتناور الحيان من الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله على المنبر ، فلم يزل رسول الله يخفضهم حتى سكتوا ، وسكت رسول الله ﷺ .
أيها المسلمین :

وبقيت السيدة عائشة تبكي يومها عند أهلها بعد شهر من الإشاعات لا يرقأ لها دمع ، ولا تكتحل بنوم وهي تقول :
- وأبواي يظنان أن البكاء فالحق كبدي .

قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي ، فبينما نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس . قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل ، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء . قالت : فتشهد رسول الله حين جلس . ثم قال : أما بعد : يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه . قالت : فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب

عني رسول الله . فقال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله . فقلت لأمي أجيبني رسول الله فقالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ .
 قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن : والله لقد علمتُ لقد سمعتم بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم أني بريئة - لا تصدقوني ، ولئن اعترفت بأمره والله يعلم أني منه بريئة - لتصدقني ، فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف :

﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ / يوسف : ١٨ .
 قالت : ثم تحولت إلى مضجعي على فراشي ، وأنا والله أعلم حينئذ أني بريئة ، وأن الله تعالى مبرئي ببراءتي ، ولكني والله ما كنت أظن أن يُنزل في شأنني وحي يتلى ، ولشأنني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى . ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها .
 أيها الأخوة : تقول السيدة عائشة :

فوالله ما رام رسول الله مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي أنزل عليه . قالت : فسري عن رسول الله وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال :

- أبشري يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك .

قالت : فقالت لي أمي : قومي إليه ، فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد

إلا الله عز وجل هو الذي أنزل براءتي ، قال تعالى :

﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو

خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كبره منهم
له عذاب عظيم ﴿ /النور : ١١/ (١) .

أيها الإخوة الكرام :

فما كانت نتيجة هذا الامتحان الرهيب الذي وقعت فيه السيدة
عائشة ، ما هو الخير الذي نزل ببركتها ، كيف انتهى هذا الحدث في حياتها .
أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى .
وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد
الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



نهاية حديث الإفك

السيدة عائشة

الحمد لله البر الجواد ، الذي جلت نعمه عن الإحصاء بالأعداد ، المان باللطف والإرشاد ، الهادي إلى سبيل الرشاد .
وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الغفار وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا وأميرنا وقائدنا وقره أعيننا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وذريته وآل بيته الكرام وسلم تسليماً .
أما بعد :

فقد كنت قد علقت معكم سؤالاً في الجمعة الماضية حول نتيجة الامتحان الرهيب الذي وقعت فيه السيدة الطاهرة ، أعني بها أم المؤمنين الثالثة السيدة عائشة بنت سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، ونحن اليوم بإذن الله تعالى ومعونته نتناول هذه القضية الإيمانية ، فقد تعلمنا من منظومة العقيدة : واجزم بمعراج النبي كما رووا وبرئ لعائشة مما رموا وقد بدا لدينا بكل وضوح المؤامرة الدنيئة التي استهدفت بيت النبوة ، والتي شبك خيوطها حقير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ، وظهر لنا خطر المنافقين على دولة الإسلام ، حين استهدفوا عرض صاحب الرسالة العصماء وسيد الرسل والأنبياء سيدنا ومولانا محمد ﷺ إذ أرادوا أن يلوثوا سمعته الطاهرة بالطعن في عفاف زوجه الصديقة ، ولكن الله جل في علاه كشف خبثهم وتآمرهم ، وبرأ أم المؤمنين من ذلك البهتان العظيم ، وأعطى درساً للأجيال ودليل مجد وفخار لبيت النبوة ولجميع أمهات المؤمنين .

أيها الإخوة الكرام :

أضع اليوم أمامكم نهاية هذه القضية الإيمانية
وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب مولانا عز
وجل ، حيث ينصح مولانا أهل الغفلة من المؤمنين على موجات سورة النور :
قال تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم
ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ /النور : ٤/
. ﴿إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه
هيناً وهو عند الله عظيم . لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم
بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم
مؤمنين﴾ /النور : ١٥-١٧/ .

أيها الإخوة الكرام :

هذه الآيات القرآنية أنزلها رب العزة والجلال في شأن عبد الله بن أبي
ابن سلول وغيره من المنافقين ، لتعرف الأمة خطرهم وضررهم وتأخذ الحيطة
والحذر من كل منافق عليم اللسان يدعو إلى شق الصف الإسلامي ونشر
الفاحشة في صفوف أفراد الأمة .

لقد كشف لنا القرآن عن شناعة الجرم وبشاعته ، فقد تناولت هذه
التهمة أولاً أكرم إنسان على الله تعالى ثم أكرم إنسان على رسول الله ﷺ
وهو صديقه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم تناولت عرض زوجته وأحب
نسائه إليه ، ثم تناولت عرض رجل من خيرة الصحابة وهو سيدنا صفوان بن
معطل الذي شهد له رسول الله بأنه لم يعرف عنه إلا كل خير .

فهذا الحادث حادث الإفك ، قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية
كلها آلاماً لا تطاق ، وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في
تاريخها الطويل ، فقد زرع في بعض النفوس الشك والريبة في قلوب هؤلاء

جميعاً شهراً كاملاً حتى نزلت البراءة ناصعة للزوجة العفيفة وبراءة المؤمن المجاهد صفوان وإدانة أهل النفاق وحزب الضلال .

لكن من المؤسف أن يغتر بهذه التهمة النكراء بعض المسلمين ، وأن يتناقلها السذج البسطاء منهم وهم في غفلة عن مكائد المنافقين ومؤامراتهم ومنحططاتهم التي يستهدفون بها الإسلام ، فقد وقع في حبال ابن أبي بن سلول ثلة من المؤمنين المشهورين بالتقى والصلاح أمثال :

مسطح بن أثاثه ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش أخت السيدة زينب أم المؤمنين رغم أن السيدة زينب نبهتها على هذه الفرية المكذوبة من أن تروجها ضد بيت النبوة ولكن حمنة لم تسمع ، فقد سأل رسول الله السيدة زينب فقال : يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟ (خ) (٤١٤١) (٢٥٩٣) .

فقال : يا رسول الله : أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمت إلا خيراً .
لكن حمنة (أختها) راحت تحارب لأجل هذه الفكرة وتروج لها حتى أظهر الله الحق وزهق الباطل ، وأمر مولانا أن يجلدوا ثمانين جلدة ، أن يجلد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثمانين جلدة حتى لا يقع المسلمون بهذا الأمر ثانية ولا يروجون الإشاعات دون التمحيص والتحقيق في أصلها وصدقها .
وأدب مولانا الباقيين من المسلمين بأداب شرعية منها :

١- أن لا يظن المؤمنون ظن السوء ، وأن يحسنوا ظنهم بجميع المؤمنين وهذا الأدب مستمد من قوله تعالى : ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين﴾ /النور : ١٢ .

٢- الثاني : عدم الكلام بهذا الإفك والبهتان على أم المؤمنين زوجة نبينا ، فعظيم عند الله أن يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل ، فإن الله تعالى يغار لهذا ، وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجة نبي من الأنبياء ذلك الزنى والفاحشة ، ولما لم يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء وزوج سيد ولد آدم سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

وأما الأدب الثالث : فهو لمن سمع هذا الكلام السيئ فقام بذممه شيء منه وتكلم به فلا يكثر منه ولا يشيعه ويذيعه ، فقد قال تعالى :

﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا (وهو الحد) وفي الآخرة (بالعذاب الأليم)﴾ /النور : ١٩ .
ولهذا كله أجمع العلماء رحمهم الله تعالى قاطبة على أن من سب السيدة عائشة ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن ، واختلفوا في سواها من أمهات المؤمنين :

فذهب بعض العلماء إلى كفر من قذف إحدى أمهات المؤمنين ، وهذا ما رجحه ابن كثير رضي الله عنه ، وذلك لما ورد من الوعيد الشديد في حق قاذفهن كما قال تعالى ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ /النور : ٢٣ / حتى ذهب ابن عباس إلى عدم قبول توبته ، وحجة هؤلاء : أن قذف أمهات المؤمنين طعن في رسول الله ﷺ وجرح لكرامته ، ومن استباح الطعن في عرض رسول الله فهو كافر مرتد عن الإسلام .

واسمعوا إلى ما يقوله العلامة الألوسي في تفسير آيات الإفك ، قال : وظاهر هذه الآية كفر قاذف أمهات المؤمنين ، لأن الله عز وجل رتب على رميهن عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ، والذي ينبغي أن يعول الحكم عليه بكفر من رمى إحدى أمهات المؤمنين بعد نزول الآيات وخاصة أن مولانا قال : الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات .

فكان مولانا يقول ما كان الله ليجعل السيدة عائشة زوجة رسول الله إلا طيبة ، لأنه أطيّب من كل طيب من البشر ، ولو كانت خبيثة لما صلحت له لا شرعاً ولا قدراً .

أيها الإخوة :

والظاهر أن يحكم بكفر ابن أبي لعنه الله لأنه كان مستبيحاً وقاصداً الطعن على رسول الله ، لكنه لا يحكم بكفر من لم يستبح كحسان ومسطح وحمنة ، فإن الظاهر أنهم لم يكونوا قاصدين الطعن على سيد المرسلين وإنما قالوا ما قالوا تقليداً فوبخوا على ذلك توبيخاً شديداً .

أيها السادة : كل من يشك في براءة السيدة عائشة بعد تبرئة الله لها فهو مكذب لله عز وجل وطاعن في رسول الله فيكون كافراً بلا تردد ،
واسمعوا إلى الحكم الإلهي في ذلك :
﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾ /الأحزاب : ٥٧/ .
هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

* * *

السيدة عائشة

معركة الجمل

السيدة عائشة

معركة الجمل

- ٧٣ -

الحمد لله البر الجواد ، الذي جلت نعمه عن الإحصاء بالأعداد ، المان باللفظ والإرشاد ، الهادي إلى سبيل الرشاد .
وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الغفار وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا وأميرنا وقائدنا وقره أعيننا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وذريته وآل بيته الكرام وسلم تسليماً .

أما بعد :

لقد كانت الآيات التي نزلت مبرئة السيدة عائشة مما نسب إليها من حديث الإفك ضربة قاصمة للمنافقين وعلى أسفلهم حقيرهم عبد الله بن أبي ابن سلول الذي بدأ حديث الإفك ، وللأسف أن بعض المؤمنين السذج أمثال مسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحنمة بنت جحش قد روجوا لهذه الإشاعة فجاء بهم رسول الله فيجلد كل واحد منهم حد القذف وهو ثمانون جلدة .

وأدب الله المؤمنين الباقين بأدب ذكرها في سورة النور ، فكانت هذه التنويرة نوراً على نور ، وجاءت الأحكام تبين أن كل من يتهم السيدة عائشة بذلك بعد تبرئة الله لها فهو كافر مرتد عن الإسلام ، ولهذا جعل العلماء موضوع براءتها من أصول العقائد فقال صاحب منظومة الجوهرة :

واجزم بمعراج النبي كما رووا وبرئن لعائشة مما رموا

أيها الإخوة :

إننا مع الحلقة الثالثة والسبعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد .
لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله .

أيها السادة :

بقيت السيدة عائشة رضي الله عنها في مقدمة الزوجات في بيت النبوة ، وقد أحست هي بهذه الخطوة ، فكانت تقول : خلال في تسع لم تكن في أحد من النساء إلا ما أتى الله مريم بنت عمران ، والله ما أقول هذا فخراً على أحد من صواحيبي . فسئلت : ما هن؟ فقالت :

نزل جبريل بصورتي في حريرة ، وتزوجني رسول الله لسبع سنين ، وأهديت إليهِ تسع سنين ، وتزوجني بكرة ولم يشركه في أحد من الناس ، وكان يأتيه الوحي وأنا وهو في لحاف واحد ، وكنت أحب الناس إليه ، ونزل في آية القرآن ، بعد أن كادت الأمة أن تهلك ، ورأيت جبريل ولم يره أحد من نسائه غيري (رأته في صورة الصحابي دحية الكلبي فأقرأها السلام) ، وقبض في بيتي بين سحري ونحري ودفن في بيتي (صلوا عليه) .

وعاشت السيدة عائشة في كنف زوجها الحبيب الأعظم ﷺ تسع سنوات وبضعة أشهر ، شهدت خلالها مولد الأمة ، وإقامة الدولة ، وتنزل الوحي ، وكمال الدين ، وتمام النعمة ، وشهدت أحداث الغزوات والسرايا : عاشت انتصار بدر ، ودرس أحد ، وأزمة الخندق وعظمة الفتح المبين ، كما عاشت أحداثاً تتصل بالدعوة كما تمس شخصها ، وعاشت ما أنزل الله من قرآن يتلى وأحكام وحدود وأداب .

وفي ذي الحجة من العام العاشر للهجرة حج رسول الله وزوجاته ومئة ألف مسلم حجة الوداع (أو ثمانين ألفاً) وعاد إلى المدينة وقد بين للناس مناسكهم في خامس دعامة من دعائم الإسلام : وهي الحج .

وجاء صفر من السنة الحادية عشرة ، وفي ليلة من لياليه خرج رسول الله ﷺ في جنازة بالقيع ورجع فوجد عائشة تشكو صداً وتقول : وأرأساه . . فقال لها : بل أنا وأرأساه ، وأراد أن يداعب زوجه ليخفف عنها ما ألمَّ بها فقال لها : ما ضرك لو مت قبلي وغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك قالت عائشة : لكأنني بك قد فعلت ذلك ورجعت إلى بيتك فأعرست ببعض نسائك ، فتبسم رسول الله ﷺ ثم بدئ بوجعه الذي توفي فيه ﷺ (ق) .

وخرج من عند السيدة عائشة ، وكعادته كل يوم يطوف بزوجاته حتى كان يوم ميمونة فاشتد وجعه وغلبه على نفسه فدعا نساءه واستأذنهن أن يمرض في بيت عائشة فأذن له . وبقي الصديق يصلي بالناس حتى انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى وهو على صدر عائشة ودفن في حبرتها (خ) .

أيها السادة :

وعاشت السيدة عائشة بعد رسول الله سبعة وأربعين سنة كلها تعليم وتثقيف وتفقيه للمسلمين والمسلمات في أمور دينهم كما علمها رسول الله ﷺ تماماً .

وشهدت السيدة عائشة حروب الردة ، وعاصرت سياسة عصرها ، ولكن والدها الصديق وخلفته عمر ، ثم عثمان تولوا سياسة البلاد ولم يسمحوا لها بمشاركتها بقضايا السياسة وأمور الحرب والسلام ، فقد كان كبار الصحابة يتولون دفة الحكم حتى جرت الفتنة ؟ . فتنة قتل الخليفة الراشدي الثالث سيدنا عثمان وهروب قتلته إلى العراق ودخولهم في جيش سيدنا علي ، وكانت السيدة عائشة في طريق عودتها من الحج إلى المدينة ، فسار إليها الصحابي الجليلان طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وطلبوا منها أن تتوسط لدى الخليفة الجديد في تسليم قتلة عثمان للقصاص منهم . فعادت

إلى مكة وقامت خطيبة من وراء حجاب في أهلها وحثت على طلب دم عثمان فاستجاب لها بنو أمية وجمع من الناس كثير ، واتفقت كلمتهم على التوجه للبصرة لشحذ العزائم للأخذ بثأر عثمان وإقامة الحد على قتلته . إلا أن جمعاً من الصحابة مكثوا في بيوتهم وعدوا ذلك من إثارة الفتنة فلم يلتحقوا بسيدنا علي ولا بالسيدة عائشة رضي الله عنها . أيها الإخوة :

وتناهى الخبر إلى سيدنا علي في المدينة توجه السيدة عائشة إلى البصرة فتوجه إلى الربرة ليحول بينهم وبين البصرة بجيش من المدينة ، ولكن موكب السيدة عائشة كان قد مر من الربرة متوجهاً إلى قدره في البصرة . وما إن وصل موكب السيدة عائشة إلى البصرة حتى انضم إليها بعض أهلها ، فأبى واليها عثمان بن حنيف إلا أن يقاتل كل من وقف إلى جوار أم المؤمنين ، وكانت مقتلة عظيمة حتى ناداهم منادي السيدة عائشة يناشدهم الكف للصلح ووقف القتال ، وقرروا مراسلة سيدنا علي الذي خرج بجيش من الكوفة مع جيش المدينة ، والتقى الأطراف في ذي قار . وقد تنادوا بالصلح ودرء الفتنة .

لم تعجب رؤوس الفتنة كلمة الصلح فباتوا بشراً ليلة وهم يتشارون في كيفية إنشأ الحرب في السر ، فقام جماعة منهم لكل طرف في الظلام فقتلوا جماعة من كل حي من أحياء العرب ، فأصبح الناس يومها ورأوا القتلى فثاروا ثورة واحدة ، يظنون أن كل طرف قد نفذ الصلح وأبى إلا القتال .

وعادت السيدة عائشة من جديد تستعد للخروج لعل الله يصلح بها كما أصلح من قبل ، فركبت هودجها على جملها (عسكر) ، وألبست هودجها الأذراع ثم بعث الجند الجمل .

أيها السادة :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم بشاً حياً لما فعله
السبئيون أعداء الإسلام من المنافقين ، فقد أشعلوا الحرب في صباح يوم
الخميس العاشر من جمادى الآخرة حتى صلاة العصر من سنة ٣٥ هـ .

وأرى السيدة عائشة تبرز من البيوت نحو ساحة المعركة فرأت الناس
منهزمين ، فلما رأوا الجمل وهو مقبل إلى أرض المعركة وقد حَفَّتْ به مَضَرٌ ،
عاد الناس المنهزمون قلباً واحداً كما كانوا ، وعادوا إلى القتال من جديد فما
كان من أم المؤمنين إلا أن دفعت المصحف لأحدهم ليقبل به على القوم
للصلح فرشقوا حامل المصحف بالسهم فقتلوه ، ورموا السيدة عائشة في
هودجها وهي تنادي : الله الله ، فيأبون إلا إقداماً ، فقالت :

أيها الناس : العنوا قتلة عثمان وأشياعهم ، وضج أهل البصرة بالدعاء ،
وسمع سيدنا علي فقال : ما هذه الضجة ؟ فقالوا : عائشة تدعو ويدعون معها علي
قتلة عثمان وأشياعهم ، فأقبل علي يدعوي ويقول : اللهم العن قتلة عثمان
وأشياعهم .

وراح القوم في القتال حتى عقر الجمل الذي عليه السيدة عائشة
وحمل هودج أم المؤمنين بأمر الخليفة سيدنا علي إلى داخل البصرة ، وراح
الناس يطمئنون على أم المؤمنين بعد أن هدأت الحرب ، وكان أولهم سيدنا
علي جاء إليها وقال لها : غفر الله لك ، قالت : ولك ، ما أردت إلا
الإصلاح .

وإذا برجل يدعى أعين بن ضبيعة المجاشعي يطلع في الهودج ويهتك
ستر أم المؤمنين فقالت له :

- إليك لعنك الله ، فقال : والله ما أرى إلا حميراً ، فقالت : هتك
الله سترك وقطع يدك وأبدي عورتك ، قال فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده

ورمي عرياناً في خربة من خرابات الأزد .

أيها السادة : نزلت السيدة عائشة في البصرة بأعظم دار ، فلما فرغ علي من أمر معركة الجمل أتاه وجوه الناس يسلمون عليه ويبايعونه فسمع سيدنا علي رجلين ينالان من السيدة عائشة فأمر أن يجلدا مئة جلدة . فلما أرادت أم المؤمنين الخروج إلى البصرة بعث إليها سيدنا بكل ما ينبغي من متاع ومركب ، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر ، فلما كانت على أطراف البصرة وودعت الناس ودعت لهم قالت : يا بني لا يعتب بعضنا على بعض ، وإنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، وإنه على معتبتي لمن الأخيار . فقال علي : والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك وإنها لزوجتي نبيكم في الدنيا والآخرة .

أيها السادة :

عادت السيدة عائشة إلى مكة المكرمة إلى أن حجت عامها سنة ٣٦ ثم رجعت إلى المدينة ، وبقيت تذكر هذه الحادثة وتؤرقها طيلة حياتها ، وكانت تتمنى أن تموت قبل يوم الجمل حتى قالت ساعة الاختصار : - والله لوددت لو أنني كنت شجرة أسبح وأقضي ما علي . وكانت إذا ذكرت قوله تعالى : ﴿ وَقرن في بيوتكن ﴾ / الأحزاب : ٣٣ / تبكي حتى تبل خمارها .

وحين حضرته الوفاة جاءها عبد الله بن عباس ليعودها يقول ذكوان مولاها : فأدخلته ، فلما جلس قال : أبشري . قالت : بم؟ . قال ما بينك وبين أن تلقي محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد . كنت أحب نساء رسول الله ، ولم يكن رسول الله يحب إلا طيباً ، وسقطت قلادتك يوم الأبواء فأصبح رسول الله ليطلبها حين يصبح في المنزل فأصبح الناس ليس

معهم ماء فأنزل الله أن ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ ، فكان ذلك من سبيلك
وما أذن الله لهذه الأمة من الرخصة ، وأنزل الله براءتك من فوق سبع
سموات جاء بها الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر
فيه إلا وهي تتلى فيه أثناء الليل والنهار .

فقلت : دعني منك يا بن عباس ، فوالله الذي نفسي بيده لوددت أني
كنت نسياً منسياً .

أيها الإخوة :

هاهي السيدة عائشة قد تجاوزت السبعين من عمرها تصعد روحها
الطاهرة إلى جنات ونهر في رمضان من السنة الثامنة والخمسين للهجرة ،
 واجتمع الناس للصلاة عليها وتشيعها حتى لم تر ليلة أكثر ناساً منها ،
وصلى عليها أبو هريرة أمير المدينة وحملت لتدفن مع أمهات المؤمنين في
البقيع بعد الوتر كما أوصت .

فاللهم ارض عنها وعن أبيها وأهل بيتها وسائر صحابة رسول الله

أجمعين .

فمن هي أفضل ؟ السيدة عائشة أم السيدة خديجة أم السيدة

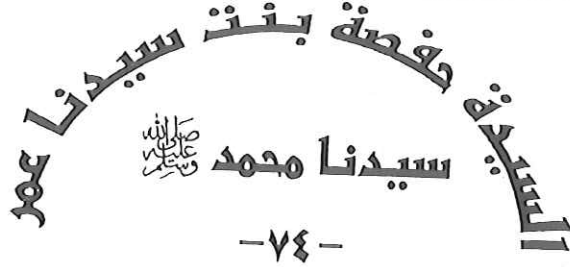
فاطمة ؟ .

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها بإذن الله في الجمعة القادمة وأعود
بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا هنا ، مدرسة التوحيد الجالس فيها
عليه أن يوحد الله تعالى .



تذكر عزيز الموحّد :

- عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على السيدة عائشة وهي بنت سبع .
- وتزوجها وهي بنت تسع بعد سبعة أشهر من قدومه المدينة .
- كانت السيدة عائشة أعلم نساء عصرها وأتقاهن .
- روت / ٢٢١٠ / أحاديث .
- كانت سخية كريمة .
- كانت غيرة على مكانتها عند رسول الله .
- نزل بفضلها آية التيمم .
- أدّب الله ببركتها المؤمنين ونزل لأجلها حدّ القذف .
- قالت في المحنة (فصبر جميل والله المستعان على ما تصنعون) .
- نزلت براءتها من لدن مولانا عز وجل في القرآن الكريم .
- من رماها بعد نزول براءتها فهو كافر لمخالفته صريح القرآن .



أمهات المؤمنین

الحمد لله مدبر الملك والملکوت ، المنفرد بالعزة والجبروت ، بيده مقاليد الأرض والسموات ومصاير جميع المخلوقات ، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اتقى الله فوقاه ، وتوكل عليه فكفاه واعتمد عليه فأيده بنصره وأواه .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنین وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكن المقتدر وعجل فرجنا بحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد :

فيأحماة الإسلام وحراس العقيدة :
قبل أن أنتقل بكم إلى زيارة أم المؤمنین الرابعة فإنني أجب اليوم بعون الله تعالى عن سؤال كنت قد علقتة معكم في الجمعة الماضية :
حول أي نساء نبينا أفضل ؟ ، بعد أن اتفق العلماء أن أفضل زوجاته ﷺ السيدة خديجة والسيدة عائشة ، والسؤال الذي يطرح نفسه اليوم أي هاتين السيدتين الصديقتين أفضل ؟
فقد عرفنا مكانة السيدة خديجة وتأثيرها الكبير في أول الإسلام ، وكيف تسلي سيدنا رسول الله ﷺ وتبته وتبذل دونه مالها ، وكيف أدركت

عزة الإسلام واحتملت الأذى في الله وفي رسوله ، وكانت نصرتها لسيدنا رسول الله ﷺ في أعظم أوقات الحاجة فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها ، وهذه ميزة لم تشركها السيدة عائشة ولا غيرها ، ثم هي أم أولاده ﷺ الستة ، وبعث لها رب العزة والجلال سلاماً عطراً مع الأمين جبريل كما في الصحيحين عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى جبريل عليه السلام إلى نبينا ﷺ فقال : هذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه إدام (طعام أو شراب) فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومني ، وبشرها ببیت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب .

وأما السيدة عائشة رضي الله عنها فكان تأثيرها في آخر الإسلام ، فلها من التفقه في الدين وتبليغه إلى الأمة وانتفاع بنيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها ، وأرسل إليها الأمين جبريل سلاماً مع نبينا ﷺ وقال فيها عليه الصلاة والسلام : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام (ق) .

وسبب الخلاف في تفضيل كل منهما ما ثبت من قوله ﷺ لعائشة حين قالت له : قد رزقك الله خيراً منها .

فغضب ﷺ حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال : «لا والله ما أخلف الله لي خيراً منها ، لقد آمنت إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبتني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد النساء» أحمد في المسند .

كان هذا الجواب من سيدنا رسول الله سبباً في تفضيل السيدة خديجة على عائشة رضي الله عنهما .

لكن العلماء وهم يتحدثون عن أفضليتهما نراهم يفضلون عليهما السيدة فاطمة ، حتى قال الإمام مالك : بأفضليتها على سائر الصحابة رضي الله عنهم ، ولهذا نرى شيخ الإسلام مولانا الشيخ زكريا الأنصاري حين سئل عن أفضلية السيدة خديجة أم السيدة فاطمة يقول : إن رسول الله ﷺ

قال لفاطمة : «بضعة مني» ولا أعدل ببضعة رسول الله أحد ، وكذلك اختار الإمام السيوطي أن فاطمة أفضل النساء ، وعليه فهي أفضل من أمها السيدة خديجة رضي الله عنها ، وإنما فضلت سيدتنا خديجة على سيدتنا فاطمة باعتبار الأمومة لا باعتبار السيادة .

أيها السادة :

فما الذي يجب علينا اعتقاده في هذه القضية الإيمانية من أقوال العلماء قاطبة؟

أضع أمامكم اليوم موجزاً هاماً عليكم حفظه جيداً واعتقاده والتمسك به وهو أن : أفضل الأمة من جهة البضعية سيدة نساء الدنيا والآخرة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، ومن جهة السابقة والمؤازرة والمعاونة والمناصرة على الدين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، ومن جهة العلم والتعليم وانتفاع الأمة ونشر الشريعة مع حب رسول الله السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها .

أيها السادة :

إننا مع الحلقة الرابعة والسبعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد :

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

فتحن اليوم ننزل زائرين على السيدة الرابعة في ترتيب دخولها إلى بيت النبوة ألا وهي السيدة حفصة بنت سيدنا عمر بن الخطاب من بني عدي بن كعب بن لؤي القرشية العدوية . وأمها زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون الرجل الصالح .

ولدت السيدة حفصة في العام نفسه الذي ولدت فيه جدتي سيدتنا فاطمة بنت سيدنا رسول الله ﷺ في السنة الخامسة أو السابعة قبل البعثة . وشبت في عز أبيها سيدنا عمر فقد كان من رجالات قريش وساداتها البارزين وشجعانها المعروفين فلما كانت السنة السادسة للبعثة أكرم الله

بالهداية سيدنا عمر فأسلم وأسلم معه أهل بيته ومنهم حفصة .
وتسامع المهاجرون إلى الحبشة بأن مكة قد أسلمت وبأن الله قد أعز
الإسلام بحمزة بن عبد المطلب وبعمربن الخطاب ، فرأى أغلبهم العودة إلى
مكة بلدهم الحبيب لينضموا إلى مواكب الإيمان تحت قيادة سيدنا رسول الله
ﷺ فكان من بين العائدين خنيس بن حذافة بن قيس بن سعد السهمي
فخطب السيدة حفصة من أبيها وتزوجها .

وقد تزوجت السيدة حفصة من سيدنا خنيس بن حذافة السهمي
أحد السابقين إلى الإسلام ، وشهد بدماءً وأحدًا ، وأصابه بها جراحة فمات
منها في المدينة المنورة ، وترك السيدة حفصة أرملة شابة لا تتجاوز الثامنة
عشرة ، وسيدنا عمر - أيها السادة - رجل جاد ، يأخذ العدل في حياته
مأخذ الجد الذي لا هوادة فيه ، فلم يجد من العدل أن تظل ابنته الشابة من
غير زواج يصونها ويذهب عنها لوعة الترمل وذُلُّه ، والمسلمون في دار الهجرة
قلة بين العرب ، ومن واجب المسلمين بإزار زوجات شهدائهم المترملات أن
يحسنوا إليهن بالزواج .

والى جانب ذلك بدأت الغزوات وتساقط المسلمون شهداء بالغزوات
وكثرت المترملات ، فكان لابد من كل مسلم أن يحمل أعباء تركه أخيه في
الدين ، فيصون زوجة أخيه عن الترمل والوحشة ويعصمها من الفتنة أو
المذلة ، ويدفع عنها الحاجة لا بصدقة تأبأها أو تهدر قدرها بل بزواج يقيم
ظهرها ويرفع رأسها .

بهذا تدرك كل مسلمة أن الجهاد في سبيل الدين لن تكون عاقبته
الحذلان والخسران وزوال الستر عن كل ذات حذر .
أيها السادة :

هكذا تفكر عمر تماماً ، وعلى هذا الإحساس ذهب والد الأرملة الشابة
في حدة الصارم ينشد لها زواجاً ، فحدث سيدنا أبا بكر الصديق فرفض
الزواج منها ، وحدث سيدنا عثمان الذي كان متزوجاً من السيدة رقية بنت

سیدنا رسول الله ﷺ ثم ماتت عنده وبقي محزوناً علیها لا یتزوج ، لكن عثمان رفض هو الآخر التزوج من السیة حفصة . فماذا یفعل سیدنا عمر رضی الله عنه؟! أتدرون ماذا فعل؟ لقد توجه إلى القائد الأعلى للأمة سیدنا محمد ﷺ وقص علیه ما حدث ، فواساه رسول الله وطیب خاطره ثم قال له : « یتزوج حفصة من هو خیر من عثمان ، ویتزوج عثمان من هی خیر من حفصة » (أبو یعلی - الفتح) .

و یتعجب الفاروق ، لكن عجبہ زال عندما زوج رسول الله سیدنا عثمان من أم كلثوم ، وتزوج النبی من حفصة . وهكذا یسوی رسول الله فی المصاهرة بین صاحبه ووزیره أبی بكر وعمر رضی الله عنهما .
وإلکم هذا الحدیث الذی رواه الإمام البخاری عن عبد الله بن عمر وهو یعرض لهذه القضية فیقول : «إن عمر حین تأیمت حفصة من خنیس بن حذافة وكان شہد بدراناً وتوفی بالمدينة ، لقی عثمان فقال : إن شئت أنکحتک حفصة قال : سأنظر فی أمری ، فلبث لیالی . فقال : قد بدا لی أن لا أتزوج قال عمر : فقلت لأبی بكر : إن شئت أنکحتک حفصة . فصمت ، فکنت علیه أوجد منی علی عثمان . فلبث لیالی ثم خطبها النبی ﷺ فأنکحتها إیاه ، فلقینی أبو بكر فقال :

- لعلک وجدت علی حین عرضت علی حفصة ، فلم أرجع إلیک شیئاً؟ . قلت : نعم . قال : إنه لم یمنعنی أن أرجع إلیک إلا أني علمت أن النبی ذکرها ، فلم أکن لأفشی سره ، ولو ترکها لقبلتها .
أیها الإخوة : هذا لعمر الحق هی الشہامة الحققة ، بل هی الرجولة الصادقة تظهر فی فعل الفاروق عمر ، فهو یرید أن یصون عرضه ، فلا یرى فی نفسه غضاضة أن یرض ابنته علی الکفء الصالح لأن الزوج خیر وسیلة للمجتمع الفاضل ، فأین نحن الیوم من جهل المسلمین بأحكام الإسلام وجماله الناصع یترون بناتهم عوانس حتی یأتی الخاطب ذو المال الكثير والشراء الوفیر .

أيها السادة :

تم هذا الزواج الميمون سنة ثلاث من الهجرة عند أكثر العلماء ، وقدمت السيدة حفصة ، وكان عند النبي السيدة عائشة والسيدة سودة ، فأصبحت صديقتيهما وشكلن حزياً واحداً كما ذكرت لكم فيما مضى ، مقابل حزب السيدة زينب بنت جحش . وأمر رسول الله ﷺ الشفاء بنت عبد الله أن تعلم السيدة حفصة الكتابة (أحمد) ، ويبلغ سيدنا عمر أن حفصة تراجع رسول الله حتى يظل يومه غضبان فيحذرهما من فوره عقوبة الله وغضب رسوله ويقول لها : لا يغرنك هذه التي أعجبها حسننها وحب رسول الله إياها ، والله لقد علمت أن رسول الله لا يحبك ولولا أنا لطلقت .

هل سمعتم - أيها السادة - الهدف من زواجه ﷺ من السيدة حفصة ، لقد أنطق الله سيدنا الفاروق الملهم عن سبب هذا الزواج إنه : الاحترام والمحبة لسيدنا عمر وتعليق وسام المصاهرة على صدره أبد الدهر . وتمضي الأيام على السيدة حفصة والسنوات في بيت النبوة وهي تتابع حفظ كتاب الله تعالى جيداً حتى حفظته كله وفهمته وعملت به .

أيها السادة :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى المدينة المنورة إلى المسجد النبوي الشريف وهاهو رسول الله ﷺ يجلس مع أصحابه يبشرهم بيشارة عظيمة فإن ابن سعد يروي لنا في حديث الحديبية وبيعة الرضوان أن رسول الله ذكر عند حفصة أصحابه الذين بايعوه تحت الشجرة في الحديبية فقال : « لا يدخل النار إن شاء الله أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها » . فإذا بالسيدة حفصة تقول : بلى يا رسول الله . فانتهرها . فقالت : ألم يقل الله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ / مريم : ٧١ / وهنا قال عليه الصلاة والسلام : « ثم نتجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » / مريم : ٧٢ / (أحمد - م ٢٤٩٦) .

وتذكر كتب التفاسير أن حفصة رأت النبي في حجرتها مع مارية القبطية ، فلما خلت معه قالت : لقد رأيت من كان عندك ، والله لقد

سببتي وما كنت لتصنعها لولا هواني عليك .
وأكب النبي يطيب خاطرها ، ولكي يترضاها أسراً إليها أن مارية حرام
عليه ، ثم أوصاها ألا تحدث أحداً بهذا ، فإذا بالسيدة حفصة تُسرُّ بالحديث
لعائشة . فأنزل مولانا عز وجل على نبيه قوله :

﴿ وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً ... ﴾ الآية /التحريم : ٣ / .
وفي الصحيحين أن القصة في شرب العسل التي ذكرناها سابقاً .
ويروي ابن حجر من طرق شتى أن رسول الله طلق حفصة تطليقة
واحدة ثم ارتجعها ، وقيل : إنه ارتجعها لأجل عمر ، وأن جبريل نزل على نبينا
فقال : إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة بعمر . وفي رواية أنه قال له :
«أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة» .

وقد شعرت هي بالندم لإذاعة السر ، فما كان لها وهي في تلك المنزلة
من العبادة والتقوى والدين أن تذيع سرّاً ائتمنها عليه رسول الله ﷺ ، لذلك
عندما طلقها رسول الله قال عمر لابنته :

- لعل رسول الله قد طلقك؟! إن كان طلقك مرة ثم راجعك من
أجلي فإن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبداً .

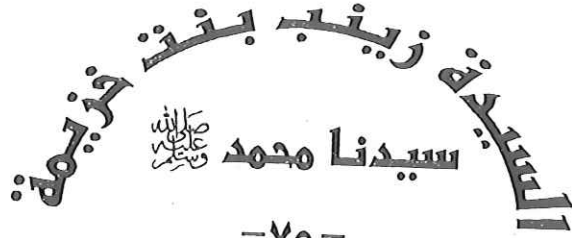
أيها السادة :

بقيت أم المؤمنين الرابعة تعيش في كنف أعظم زوج وخير معاشر حتى
انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى فلم تتركها أشد منها يومذاك ، وشهدت
حفصة خلافة الصديق ثم خلافة أبيها عمر وشهدت فتوح الشام والعراق
ومصر في عهده ، وفي سنة ٢٣ هـ دوت الصرخات في المدينة المنورة عندما
نودي بمقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبي لؤلؤة المجوسي عبد المغيرة بن
شعبة ، وتعاني هذه السيدة التقية من هذه المأساة الإسلامية الشيء الكثير ،
وينتقل المصحف الشريف الذي كتبه الخليفة أبو بكر وانتقل بعده إلى عمر ،
ينتقل إلى حفصة ويبقى عندها حتى طلبه عثمان فنسخه عدة نسخ ثم
أرسله إلى الأمصار وأعادها إليها ثانية ، ولكن القدر وبعد سنوات من خلافة

عثمان تفجع الأمة العربية بمحاولة قتل واغتيال أمير المؤمنين عثمان فتسارع السيدة حفصة إلى عائشة لترافقها إلى البصرة فيعزم عليها أخوها عبد الله ألا تذهب خشية تلك الفتنة التي بدأت باستشهاد الخليفة الثالث بالشكل المروع المعروف (١).

وتبقى السيدة حفصة بالمدينة تتابع طريق الدعوة إلى دين الله إلى أن توفيت في عهد معاوية سنة ٤٧ هـ ويشيعها أهل المدينة إلى مثواها الأخير في البقيع مع أمهات المؤمنين .
أيها السادة :

هذا هو الراجح الذي نقله علماء التاريخ فالسيدة حفصة دفنت بالبقيع وليس في باب الصغير بدمشق فتنبهوا لهذا معشر الإخوة الكرام .
فمن هي السيدة الخامسة في الترتيب في دخولها بيت النبوة؟
أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى
وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله .



أمهات المؤمنين / ١٢ /

الحمد لله الذي عمت رحمته كل شيء ووسعت ، وتمت نعمته على العباد وعظمت ، ملك ذلت لعزته الرقاب وخضعت . وهابت لسطوته الصعاب وخشعت . وارتفعت من خشيته أرواح الخائفين وجزعت . كريم تعلقت برحمته قلوب الراجين فطمعت ، بصير بعباده يعلم ماكنت الصدور وأودعت ، نحمده على نعم توالى علينا واتسعت .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من النار يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جاهد في الله حق جهاده حتى علت كلمة التوحيد وارتفعت . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما ابتهلت الوفود بالمشاعر العظام وتمت ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليننا المقتدر وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً .

نحن اليوم ننزل زائرين على من؟

على أية امرأة من اللواتي أكرمهن الله بأسمى لقب : لقب أم المؤمنين؟

ما هي الخصوصية التي اختصت بها بهذه السيدة الكريمة؟

ما هو سبب زواج سيدنا رسول الله ﷺ منها؟

ما هو رقمها في دخول بيت النبوة؟ بل ما هي القضية الإيمانية التي

نستفيدها من ذكر هذه السيدة؟

أيها السادة :

أجيب عن هذه التساؤلات مع الحلقة الخامسة والسبعين من سلسلة القضايا
الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار
التوحيد : **لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله**

أيها السادة :

أنزل معكم اليوم ضيوفاً على سيدة كريمة سخية اشتهرت بالإحسان
إلى الفقراء وكثرة التصديق عليهم ، وكانت رغم فقرها تقدم لهم الطعام
والشراب حتى لقبت لقب «أم المساكين» من كثرة إحسانها إليهم ، إنها
السيدة الخامسة في ترتيب دخولها بيت النبوة :

السيدة زينب بنت خزيمة بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف
الهلالية وأمنها السيدة هند بنت عوف بن الحارث (قولوا رضي الله عنها) .
هذه السيدة الجليلة ولدت قبل البعثة في مكة ، وعندما بلغت سن
الزواج تزوجت الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ثم طلقها ،
فتزوجها بعده أخوه البطل المقدم ، شهيد الإسلام عبيدة بن الحارث بن عبد
المطلب رضي الله عنه وأرضاه .

عبيدة هذا كان من المسلمين الأوائل قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم
بن أبي الأرقم ، أسلم هو وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وعبد الله بن الأرقم
المخزومي وعثمان بن مظعون في وقت واحد .

وهاجر عبيدة إلى المدينة مع أخويه طفيل والحصين ابني الحارث ،
ونزلوا على عبد الله بن سلمة العجلاني ، وكان لعبيدة قدر ومنزلة كبيرة عند
رسول الله ﷺ ، فقد ذكر صاحب السيرة ابن إسحق فقال :

«أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد عودته من غزوة ودان بقية صفر وصدرًا
من ربيع الأول من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد . فكان أول لواء
عقده رسول الله ﷺ لعبيدة ، فالتقى عبيدة والمشركون بثنية المرة ، وكان على
المشركين أبو سفيان بن حرب ، وكان هذا أول قتال في الإسلام (١) . فنال

(١) - فتح ابن حجر ٧/ ٢٧٩ - ابن هشام ١/ ٥٩١ - ٥٩٢ .

هذا الصباحبي الشرف العظيم بأنه كان صاحب أول لواء عقد في قتال كفار مكة ، ثم شهد عبيدة بدرًا .

واسمحو لي معشر السادة الكرام أن أنتقل بكم إلى هناك ، إلى مكان بين المدينة المنورة ومكة حيث وقعت معركة بدر ، فهاهو الجيشان قد التقيا وجهاً لوجه ، ولكن جرت العادة أن تبدأ المعارك بالمبارزة بين أبطال الطرفين ليهيج الناس بعضهم بعضاً على القتال ، وعندما اصطف القوم للقتال خرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة فدعوا إلى المبارزة فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة ، فقالوا : بمن أنتم . قالوا : رهط من الأنصار . قالوا : ما لنا إليكم حاجة ، ثم نادى مناديتهم :

- يا محمد أخرج لنا أكفاءنا من قومنا .

وهنا أصدر القائد الأعلى للأمة أوامره فقال : قم يا حمزة . قم يا علي ،

قم يا عبيدة .

وراح الثلاثة من أهل الإيمان واليقين يبارزون ثلاثة من صناديد الكفر والشرك . فبارز عبيدة عتبة فاختلفا ضربتين أثخن كل منهما صاحبه وأثبتته ، وبارز حمزة شيبة فقتله مكانه ، وبارز جدي علي الوليد فقتله مكانه ، ثم كرا على عتبة الذي كان يقاتل عبيدة ابن الحارث الجريح فدفعوا عليه واحتملا عبيدة فحازوه إلى الرحل وراء الجيش المسلم .

قيل : إن عبيدة كان أسن المسلمين يوم بدر فقطعت رجله ، فوضع رسول الله ﷺ رأسه على ركبته فقال : يا رسول الله ! لو رأي أبي طالب لعلم

أنني أحق بقوله منه حيث يقول :

وَنَسَلْمُهُ حَتَّى نَصْرَعُ حَوْلَهُ

وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَالِ

ثم ارتفعت روح عبيدة إلى الرفيق الأعلى على أثر جراحه (د : ٤ /

٤٩ - ابن حجر في الفتح ٧ / ٢٩٨) .

كل هذا - أيها الإخوة - وزوجته زينب بنت خزيمة تقوم بواجبها في إسعاف المرضى والجرحى وتضميد جراحهم ، ولم يشغلها استشهاد زوجها عند عودته مع رسول الله ﷺ من بدر ، لم يشغلها عن القيام بواجبها حتى

كتب الله النصر للمؤمنين في معركة خاضوها ضد الشرك والمشركين سطرها لهم التاريخ إذ غلبت القلة المؤمنة العزلاء الكثرة الكافرة رغم العدد والعدة .
أيها الإخوة :

ودفن سيدنا عبيدة بن الحارث وبقيت هذه البقعة يُشَمُّ منها ريح المسك ، وتمضي الأيام حتى إننا نرى سيدنا رسول الله ينزل مرة مع أصحابه عند قبره ، فقال الصحب الكرام : إنا نجد ريح مسك . فقال ﷺ : وما يمنعكم وههنا قبر أبي معاوية عبيدة بن الحارث ، كان قتل وعمره ثلاث وستون سنة فقولوا رضي الله عنه .

وصبرت السيدة زينب بنت خزيمة على استشهاد زوجها ، فلما علم رسول الله بصبرها وثباتها وجهادها وأنه لم يعد هناك من يعولها خطبها لنفسه وكانت قد بلغت الثلاثين من عمرها ، ومنهم من قال : إنها كانت في الستين ، تزوجها في شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة وأصدقها رسول الله أربعمئة درهم .

وهكذا ترون - أيها السادة - أنه لم يمض وقت طويل على مجيء السيدة حفصة إلى بيت النبوة حتى وفدت زوجة خامسة كانت هي الأخرى أرملة شهيد عزيز من شهداء بدر .
أيها السادة :

ومهما اختلف في سن أم المؤمنين الخامسة السيدة زينب بنت خزيمة فإن الذي يهمننا السبب الذي من أجله تزوجها رسول الله ، فقد كان لزوجها السابق مكانة عند الله وعند رسوله أما عند الله فقد مات الصحابي الجليل عبيدة شهيداً في سبيل الله مدافعاً عن دينه ويكفيه هذا فخراً ، وليس بعد مرتبة الشهيد إلا الصديق والنبي ، فأراد رسول الله أن يكرم عبيدة أولاً ، ويكرم زوجته التي استسلمت لقضاء الله وجاهدت بعد زوجها وسلمت أمرها للنبي يفعل ما يشاء ، وقد انقطع الناصر والمعين في الدنيا ، فما كان من رسول الله إلا أن جبر خاطرهما وهي الأم الكريمة التي طبعت على حب الخير وإطعام المساكين ، كانت تعمل بيدها فتبيعه وتطعم بثمنه الفقراء ، فإذا

اختلف المؤرخون وكتاب السيرة في أمر السيدة زينب وعمرها فقد اتفقوا جميعاً على شيء واحد لم يختلف فيه اثنان ، ذلك هو وصفها بالطيبة والكرم والعطف على الفقراء ، ولا يكاد يعرض اسمها في أي كتاب إلا مقروناً بلقبها العظيم : أم المساكين .

لذلك كانت المكافأة عظيمة على قدر عملها الصالح وهي أن تكون أماً للمؤمنين وزوجاً لخاتم الأنبياء والمرسلين .

أيها السادة :

لم تعمّر السيدة زينب عند نبينا ﷺ سوى أشهر قليلة منهم من أتمها إلى السنتين ، ثم توفاه الله تعالى في ربيع الآخر سنة أربع هجرية على الراجح انتقلت إلى جوار مولانا راضية مرضية ، فكانت هي ثاني زوجة توفيت في حياة رسول الله ، حيث صلى عليها ودفنها في البقيع . فما رأي الخراصين بهذا الزواج الشريف وغايته النبيلة؟

هل يجدون فيه شيئاً مما يافك الآفكون؟ ، أيجدون فيه أثراً للهوى والشهوة؟ أم هو النبل والعفاف والرحمة والفضل والإحسان من رسول الإنسانية الأكبر يأسد من صلى عليه .

فليتق الله المستشرقون المغرضون وليؤدوا أمانة العلم ولا يخونوها في سبيل غايات خبيثة درسوا لأجلها الاسلام للذس والكيد والنيل من سيد الإنسانية سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

فمن هي أم المؤمنين السادسة في ترتيب دخول بيت النبوة ، ما هو سبب زواج رسول الله منها ، هل هو إنساني بحث أم اجتماعي أم اقتصادي؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى . وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

تذكر عزيزي الموحّد:

أن زوجات نبينا ﷺ إحدى عشر زوجة من الحرائر ، وأربع جوارٍ :

- ١- السيدة خديجة رضي الله عنها .
- ٢- السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها .
- ٣- السيدة عائشة بنت سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .
- ٤- السيدة حفصة بنت سيدنا عمر رضي الله عنهما .
- ٥- السيدة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها .
- ٦- السيدة أم سلمة هند بنت حذيفة رضي الله عنها .
- ٧- السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها .
- ٨- السيدة جويرة بنت الحارث رضي الله عنها .
- ٩- السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها .
- ١٠- السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما .
- ١١- ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها .



أُمّهات المؤمنين / ١٣ /

الحمد لله الذي بيّن أحكام الملة السنية ، وزيّّن أعلام الجلّة السنية ، وبصرهم بما آتاهم من الآثار النبوية ، ونصرهم على ماناوأهم من الأشرار الخشوية . أشكره على أيادي جارية وحفية ، وأستغفره لمساوي بادية وخفية . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، المتوحد بالبقاء في الأزلية ، المنفرد بالكبرياء والخبرية .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي دعانا إلى الملة الزهراء الحنيفية ، وتركنا على محجة بيضاء نقية .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمداً وعلى آله وأصحابه ذوي المقادير العلية ، والمآثر الجليلة ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وعجل في فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : ما زلت معكم تنزل زائرين على أمهات المؤمنين نتعرف على أخبارهن وعن سبب تزوج نبينا بهن فقد تحدثنا حتى اليوم عن أم المؤمنين الأولى السيدة خديجة ثم عن السيدة سودة بنت زمعة ثم عن السيدة عائشة ثم عن السيدة حفصة ثم عن السيدة زينب بنت خزيمة ، ونحن اليوم بعونه تعالى ننزل على السيدة السادسة في ترتيب دخولها بيت النبوة أعني بها : السيدة أم سلمة هند بنت حذيفة أبي أمية بن المغيرة من بني مخزوم هذه السيدة القرشية التي ربّيت ونشأت في كنف أبيها أحد الأجواد

السيدة أم سلمة هند بنت سهل أبي أمية

من العرب الذي لقب بمزاد الركب لجوده وكرمه كان إذا سافر وبرفقته أحد يأمره ألا يأخذ معه زاداً لأنه سيكفيه مؤنة سفره طوال الرحلة .
وأما عاتكة بنت عامر بن ربيعة الكنانية .

وأبو سلمة هو الزوج الأول في حياة أم سلمة واسمه عبد الله بن عبد الأسد ابن عمه رسول الله وأخوه من الرضاعة ، وكان هو وزوجته من أوائل المسلمين الأولين ، ورأى رسول الله ما فيه أصحابه فقال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، فخرج المسلمون مخافة الفتنة وفراراً بدين الله ، فكان أبو سلمة وزوجه من أوائل المهاجرين إلى الحبشة ، وبقي أبو سلمة وزوجه المؤمنان في الحبشة حتى نمت إليهما الأخبار بقوة الإسلام وخاصة بعد إسلام سيدنا حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب بل بلغهم أن أهل مكة قد أسلموا جميعاً ، فعادا إلى مكة ليجدا أن عذاب قريش قد اشتد علي رسول الله وصحابته ، وأن ما بلغهم عن إسلام أهل مكة لم يكن صحيحاً ، فالتمسا جوار خاله أبي طالب بن عبد المطلب ، لكن أبا طالب ما لبث أن توفي فعادت قريش لاضطهادها للمسلمين ، فأمر رسول الله أصحابه بالهجرة إلى يثرب وكان أول مهاجر إليها أبو سلمة مع زوجته ومعهما رضيعهما هاجروا قبل بيعة العقبة بسنة وكانت ملحمة :
أيها السادة :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم بشاً إيمانياً حياً ومثالاً لما لاقى المسلمون في سبيل الهجرة إلى الله تعالى ، فإني أرى بعين الإيمان واليقين الصحابي أبا سلمة مزعماً الخروج إلى المدينة ، حتى إذا رحل بعيره وحمل عليه وزجه وابنه سلمة يقودهم إذ ببني المغيرة يرونه فقاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، رأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد . فانتزعوا منه أم سلمة وابنها ، فغضب رهط أبي سلمة فقالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، فتجاذبوا ابنها سلمة بينهم فصار كل طرف يشده حتى خلعوا يده ، وفر أبو سلمة بدينه إلى المدينة ،

واحتجزا أم سلمة بعيدة عن وليدها فكانت تخرج إلى الأبطح كل صباح فما تزال تبكي حتى تمسي .

وبقيت على حالها تلك سنة أو قريباً منها ، حتى مر بها رجل من بني المغيرة فرأى ما بها فقال : ألا تُخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها ، فقالوا لها : الحق بزواجك . وردوا لها ابنها فكان أول طعينة دخلت إلى المدينة مهاجرة ، واسمعوا إلى قصة هجرة هذه السيدة الجليلة على لسانها تقول : فرحلت بعيري ووضعت ابني في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله ، فقلت أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة من بني عبد الدار فقال : إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت فقلت : أريد زوجي بالمدينة قال : أو ما معك أحد . فقلت : لا والله إلا الله وبُني هذا . فقال : والله ما لك من مترك . فأخذ خطام البعير فانطلق يهوي بي ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقاء قال : زوجك في هذه القرية ، فدخلتها على بركة الله تعالى ، وانصرف عثمان بن طلحة إلى مكة راجعاً ، واجتمع الشمل عندئذ ، شمل زوجين وثق الحب بين قلوبهما ، ووحد الإسلام كيانهما ، وما كانت الهجرتان إلا بوتقة صهرت هذا الكيان .

أيها الإخوة :

وتمر الأيام ويصبح للمسلمين دولة في المدينة ، ويشهد أبو سلمة بداراً الكبرى ، ثم يشهد أحداً ، وفي أحد رماه أحد المشركين بسهم فمكث شهراً يداوى من جرحه ثم برأ بإذن الله تعالى ، فبعثه رسول الله على رأس سرية فنراه يغيب تسعاً وعشرين ليلة ليرجع بعدها وجرحه منتقض ، ويعرض أبو سلمة في بيته ويذكر لنا ابن سعد في طبقاته حواراً بين أبي سلمة وأم سلمة في أثناء مرضه ، قالت أم سلمة لزوجها : بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ثم لم تزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة ، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها فتعال أعاهدك على ألا تزوج بعدي ولا أتزوج

السيدة أم سلمة هند بنت سهيل أبي أمية

بعدك . وسكت أبو سلمة وهو على فراش الموت ثم قال : أتطيعيني . فقالت : ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك . قال : فإن مت فتزوجي بعدي . ثم قال : اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني لا يحزنها ولا يؤذيها .

هل رأيتم - أيها الاخوة - رجلاً بهذا القدر من سماحة النفس ، لاشك أنه محب عظيم لقد رفض ما عرضته زوجته الحبيبة عليه لأنه رأى أن أولاده بحاجة إلى الرعاية ، ويرى زوجته بعده أحوج إلى من يكنفها ويرعاها ، فضرب بذلك أبو سلمة المثل الأعلى لكل المحبين في زمانه وفيما بعد زمانه فقولوا رضي الله عنه .

ثم أعطاهما الدرس الأخير قبل استشهاده ، قال لها : سمعت رسول الله يقول : إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم عندك أحسب مصيبتني فأجرني فيها وأبدلني ما هو خير منها . تقول أم سلمة : لما احتضر أبو سلمة قال : اللهم اخلفني في أهلي بخير ، فلما قبض (سنة أربع هـ) قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك أحسب مصيبتني ، وأرادت أن تقول : وأبدلني بها خيراً منها ، فقالت : ومن خير من أبي سلمة .

أيها السادة :

وترملت أم سلمة ولها من أبي سلمة أربعة أولاد ، وحين انقضت عدتها تقدم لها الصديق خاطباً فرفضته ثم خطبها عمر فردته ، وهي في كل ذلك حزينة متأثرة على فراق زوجها ، وهي تردد اللهم أجرني في مصيبتني وعوضني خيراً منها ، ثم أرسل لها سيدنا محمد ﷺ من يخطبها لنفسه وهو حاطب بن أبي بلتعة فقالت : أخبر رسول الله أني في خلال وهي : أني امرأة مصيبة (ذات صبيان) ، وأنني غيري ، وأنه ليس أحد من أوليائي شاهداً . فبعث إليها رسول الله أما قولك : إني مصيبة فإن الله سيكفيك صبيانك ، وأما قولك : إني غيري فسأدعو الله أن يذهب عنك غيرتك ، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني (صلوا عليه) .

أيها السادة : فتزوجها رسول الله سنة أربع ، وكانت في الثلاثين من

عمرها زوجه إياها سيدنا عمر بن الخطاب لأنها تشاركه بالنسب ، وورد أن الذي زوجها ابنها عمر وهو يومئذ غلام صغير . ومهما يكن من أمر فقد دخلت أم سلمة بيت النبوة فنزلت في بيت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة ، دخلت هذا البيت الذي أناره الله بسيدنا محمد ﷺ فراحت تتفحص حجرتها لتعرف ما بها فإذا جرة فاطلت فيها فإذا فيها شيء من شعير ، وإذا برحى وبرمة وقدّر فنظرت فإذا بها كعب من سمن أو دهن ، فأخذت ذلك الشعير وطحنته ثم عصده في البرمة ، وأخذت السمن فخلطته بالشعير وطبخته فكان ذلك طعام رسول الله وطعام أهله ليلة عرسه .

وعاشت أم سلمة في بيت رسول الله أما للمؤمنين تتعلم وتنهل من معين النبوة ، وكانت تروي أحاديثه وأخباره حتى روت ثلاثمئة وثمانية وسبعين حديثاً ، وكانت ممن تقرأ ولا تكتب . وذات شخصية متميزة ورأي صائب جريء ودور قيادي وسط أمهات المؤمنين ، نرى ذلك حين ردت على عمر فيما عرف بالمراجعة فبعد أن دخل عمر على ابنته وعنفها ولأمها لمراجعته رسول الله نراه يدخل على بقية أمهات المؤمنين حتى دخل على أم سلمة وقال : يا أم سلمة تكلمن رسول الله وتراجعنه في شيء ، فقالت أي والله إنا نكلمه ، فإن حمل ذلك كان أولى به ، وإن نهانا كان أطوع عندنا منك وفي رواية قالت : عجباً لك يا بن الخطاب دخلت في كل شيء حتي تبغني أن تدخل بين الرسول وأزواجه ، يقول عمر : فأخذتني والله أخذاً وكسرتني عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها .

وكانت نساء النبي يتحاكمن إليها لعلمهن ببراءتها من الغيرة . وكان ﷺ يراعي أولادها وخاصة صغيرتها زينب ، فكان إذا دخل بيته ينادي : أين زنا ب ، «ورأى مرة ربيبه سلمة ويده تطيش في وعاء الطعام فعلمه ﷺ آداب الطعام فقال : يا بني سم الله وكل بيمينك وكل بما يليك» (ق) .

أيها السادة :

وإليكم هذا الحدث الهام الذي جرى يوم الحديبية والذي يدل على رجاحة عقلها وصواب رأيها وإنقاذها المسلمين من شر مستطير كاد المسلمون

السيدة أم سلمة هند بنت سهل أبي أمية

أن يقعوا فيه . فبعد أن توجه رسول الله إلى مكة معتمراً وبشراً أصحابه بأن الله سيفتح عليهم مكة ، وعقد مع قريش صلح الحديبية على أن يرجعوا عامهم إلى المدينة ، عندها دهش الصحابة كيف سيزجون دون الفتح ، ودخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا ، فأمرهم النبي أن ينحروا ويحلقوا رؤوسهم . قال فما قام أحد ، فأمرهم ثلاثاً فما قام أحد . فدخل على أم المؤمنين أم سلمة فقال : يا أم سلمة ما شأن الناس؟! قالت يارسول الله قد دخلهم ما رأيت فلا تكلمن إنساناً منهم واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق فلو قد فعلت ذلك . فخرج رسول الله حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق قال : فقام الناس ينحرون ويحلقون .

وهكذا - أيها السادة - ترون كيف أنقذت أم سلمة المسلمين من شر مستطير كاد المسلمون أن يقعوا فيه بخالفهم لأمر النبي ﷺ .

وحجت مع رسول الله حجة الوداع ، ولكنها شكت مرضاً موجعاً فلم تستطع الطواف وسألت رسول الله ، فأذن لها بالطواف على بعيرها من وراء الناس فكان ذلك باباً من التوسعة رخص به رسول الله ببركة أم سلمة .

أيها السادة عمرت أم سلمت حتى بلغت الرابعة والثمانين ، وعاشت الأحداث السياسية وكانت بمنأى عن خلافاتها ، وقدمت ولدها عمر لعلي ابن أبي طالب فكان معه في جيشه وتحت إمرته ، وبقيت في بيتها تروي أحاديث رسول الله ، ويروي عنها كبار الصحابة والتابعين حتى لحقت بربها عز وجل فصلى عليها أبو هريرة ودفنت في البقيع مع بقية أمهات المؤمنين رضي الله عنها .

فمن هي أم المؤمنين السابعة؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى . وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدرك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



أُمّهات المؤمنين /١٤/

الحمد لله الذي شرح صدور أحبابه بنور اليقين ، وأذاقهم لذة قربه
وأَنسه فشغلهم عن الخلق أَجمعين .

وأشهد أَن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب السموات والأرضين .
وأشهد أَن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين المبلغ كل
ما أمر بتبليغه من رب العالمين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
الطيبين الطاهرين ، وعلى أزواجه أُمّهات المؤمنين ، صلاة وسلاماً دائماً
متلازمين إلى يوم الدين ، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكنَا المقتدر
وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين
وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فقضيتنا الإيمانية اليوم لها نور خاص وتوجه معين وأحكام
تشريعية سارت على هديها الأمة الإسلامية ، هذه القضية تبناها ودافع عنها رب
العزة والجلال ، فهي ليست مسائل شخصية بحتة خاصة بسيدنا رسول الله ، بل
هو زواج جعله مولانا تنظيمًا للجماعة الإسلامية على أساس إسلامي رباني ،
واستبدل بأوضاع جاهلية رديئة أوضاعاً أخرى إسلامية مطهرة .

إننا مع الحلقة السابعة والسبعين من ملف القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله.

تعرفون - معشر السادة - أن الطبقة التي كانت في العصر الجاهلي تقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات :

الأولى : طبقة الأشراف والسادة .

الثانية : طبقة العبيد والإماء .

وطبقة ثالثة بينهما : وأهلها هم الموالي : أي : الرقيق الحرر أو العتقاء .

ومن هذه الطبقة الثالثة كان سيدنا زيد بن حارثة ، الذي كان من قبل رقيقاً للسيدة خديجة رضي الله عنهما فوهبته لسيدنا رسول الله ﷺ عند زواجها منه ، فأعتقه وتبناه ، وأقام عنده مدة حتى عرف أبوه مكانه فجاء راغباً في فدائه ، فقال له رسول الله - قبل البعثة - : خير . فإن اختاركم فهو لكم ، فاختار سيدنا زيد البقاء مع سيدنا محمد ﷺ عندئذ قام سيدنا محمد ﷺ إلى دار الندوة وأشهد قريشاً فقال إن زيداً ابني أرثه ويرثني ، فرضي أبوه بذلك وانصرف (خ ٤٧٨٢ - الفتح في فضائل الصحابة) .

ومن تلك اللحظة أصبح يطلق عليه زيد بن محمد ، ومضى على ذلك قريب من ثلاثين سنة لا يعرفه الناس إلا بهذا الانتماء ، وكان سيدنا زيد ثالث من أسلم ودعي بحب رسول الله ، وصاحب رسول الله في شدائده وحلّه وترحاله ، وحين جرت عملية التأخي بين الصحابة كان سيدنا حمزة ابن عبد المطلب أسد الله وعم رسول الله وزيد بن حارثة أخوين .

ولشدة حب رسول الله له زوجه من حاضنته أم أيمن ، وقد قال في

شأنها ﷺ : «من أراد أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن» (ابن سعد في الطبقات - كنز العمال مرسلأ ٣٤٤١٦) ، وأنجبت له أسامة فكان بمثابة حفيد لرسول الله ﷺ حتى نزل القرار الإلهي الخالد ، اسمعوه على موجات سورة الأحزاب :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾

وقال أيضاً

﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم في الدين ومواليكم﴾ / الأحزاب : ٤ - ٥ .

وبوجب هذا القرار الذي يقرر إلغاء التبني بلفظه ومعناه عاد زيد ليدعى ابن حارثة وليس ابن سيدنا محمد ﷺ .

لكن قراراً آخر كان بانتظار المنافقين الذين قابلوا القرار الإلهي بكثير من عدم الرضا ، قرار آخر كان بانتظارهم ، نرى هذا حينما أراد رسول الله أن يسقط الفوارق الطبقية بنفسه وفي أسرته لأن جذور هذه الفوارق كانت ضاربة في أعماق المجتمع يستحيل اقتلاعها إلا بفعل حاسم من رسول الله تتخذ منه البشرية الأسوة وتسير على هدايته ، ألا وهو تزوج زينب ابنة عمته أميمة ابنة الحسب والنسب والشرف من زيد بن حارثة مولاة .

أيها السادة :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، فهاهو يدخل على السيدة زينب بنت جحش الأسدية القرشية ذات الجمال والمال والشرف وكانت قديمة الإسلام ومن المهاجرات ، دخل عليها فخطبها لزيد (طب صحيح - ابن جرير) ، فقالت : لست بناكحته . فقال سيدنا رسول الله : بل

فانكحيه . قالت : يارسول الله أوامر في نفسي . وراحت تحادثه وتحاوره فمن الذي حسم المناقشة إن الذي حسم الموقف وقطع الجدل : الله رب العالمين ، إذا بالأوامر تصدر إلى سفير الأنبياء وأمين وحي السماء أن ينزل على الحبيب سيدنا محمد بآية قرآنية :

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ / الأحزاب : ٣٦ .

وهنا قالت السيدة زينب : قد رضيته لي يارسول الله منكحاً؟ قال : نعم . قالت : «إذن لا أعصي رسول الله وقد أنكحته نفسي» .
أيها السادة :

بهذه الخطوة التشريعية نسف رسول الله كل المواريث الطبقية والأعراف الجاهلية ، واستوى السادة والموالي في ميزان المجتمع الجديد ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ / الحجرات : ١٣ .
فما الذي حدث؟!

ودخل زيد على السيدة زينب ، فوجدها امرأةً مصروفة الفؤاد عنه تحرمه العطف والتقدير فثارت رجولته ، وراح يشكو غلظة قولها وعصيان أمره وأذى لسانها وتعظمها عليه ونفرته هو منها ، وتدخل النبي لإصلاح الخلاف مرة بعد مرة ، ولكن دون جدوى .

وأوحى الله لنبينا أن زيدا سيطلق زوجته زينب وأنك ستتزوجها من بعده ، ويأتي زيد ثانية ورابعة يشكو زوجه ويخبر رسول الله أنه يرغب في طلاقها ، فيرد عليه رسول الله ﷺ : «أمسك عليك زوجك واتق الله» .

ولعل رسول الله ﷺ قد استشعر نوعاً من الحرج في هذا الموقف الجديد فتريث في أمضائه وأسره في نفسه حتى نزل عتاب مولانا عز وجل له :
﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ / الأحزاب : ٣٧ .

أي أخبرتك أن زيداً سيطلقها وأنت ستزوجه وتخفي هذا في نفسك والله مبديه ومظهره للناس .

تقول السيدة عائشة تعليقاً على هذا الموقف (خ- م- ت) : «لو كان النبي كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية» ، لكن رسول الله بلغها كما نزلت لأن الواجب في حق الأنبياء تبليغ كل ما أمروا تبليغه ، ويستحيل عليهم كتمان ذلك عليهم الصلاة والسلام .
أيها السادة :

استمر الشقاق بين الزوجين قريباً من السنة حتى طلق زيد زوجته ، واسمعوا النتيجة الإيمانية إن مولانا يقول :
﴿فلما قضى زيداً منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً﴾ / الأحزاب : ٣٧ .

هذه هي الحكمة التي قصد إليها المشرع من هذا الزواج ، وتزوج النبي من السيدة زينب وقطع ألسنة المنافقين ، فجاء رسول الله ودخل عليها بغير إذن باعتبارها زوجاً له بأمر الله دون إجراء عقد أو تقرير صداق وهذا من خصوصياته ﷺ التي لا يشاركه فيها أحد .

تقول السيدة زينب : لما انقضت عدتي من زيد لم أعلم إلا ورسول الله قد دخل بيتي وأنا مكشوفة الشعر ، فعلمت أنه أمر من السماء ، فقلت : يارسول الله بلا خطبة ولا إشهاد . فقال ﷺ : الله زوج وجبريل شاهد .
حلية الأولياء) .

أيها السادة :

وأثار هذا الموقف الجديد دويماً هائلاً لدى بعض المنافقين ، كما قبل النهي عن التبني من قبل وإن كانت المفاجأة هنا أشد حتى قالوا : تزوج حليلة ابنه ، ولكن الله قطع ألسنتهم فأنزل على نبيه الكريم : ﴿ما كان محمد أباً أحد من

رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً /
الأحزاب : ٤٠ .

وبذلك وضع الوحي حداً لتقولات المبطلين وألاعيب المتصيدين .
أيها السادة :

هذه الزبجة كثر فيها لغط أعداء الإسلام من المستشرقين والمغرضين ،
ومع أن القرآن الكريم سجل هذه الحادثة وسجل هذا الزواج فلا يزال أعداء
الإسلام يكذبون القرآن ووقائعهم ويتهمون رسول الله بأنه رأى زينب بعد
غياب زوجها فشغف بها حباً وأعجبه منظرها فهام بها .

ومن الغريب والعجيب أن بعض المفسرين قد وقع بهذا الخطأ الفاضح
الذي ينافي عصمة النبي ﷺ هذه العصمة التي تعني أن النبي لا يمكن أن
يجري على خاطره لحظة أي معصية أو أي خلاف الأولى .

كثير كثير أن يقال : إن رجلاً رأى زوجة ابنه فسأل لعبه لها ناسياً أنها
حليلة ولده ، وغافلاً عما يقوم بينه وبينها من أستار وأسوار تقتل في نفسه
وتذيب كل شهوة . فكيف ونحن أمام شخصية سيدنا محمد ، وهو رسول
الله ، وهو أداة المشرع الأعظم وحامل وحيه إلى العباد وهو في نفس الوقت
يعيش في حياته الشخصية مع كوكبة من الزوجات لا ييقين له رغبة دون
تلبية ، إن الذي تكلم بهذا الكلام تكلم في مقام يتصل بالنبوة ، بالرسالة .

ويكفي لهدم هذه القصة من أساسها أن تعلم أن زينب هذه هي ابنة
عمة رسول الله أميمة بنت عبد المطلب ، وأنه كان يعرفها ، ويعرف أهلي ذات
مفاتيح أم لا قبل أن تتزوج زيداً ، وأنه شهدا في غمها تحبو من الطفولة إلى
الصبا والشباب ، وأنه هو الذي خطبها على زيد مولاه ، وأنه كان قد بلغ من
العمر ٥٨/ سنة ، وأن زوجاته الخمس أمامه ، إذا عرفت - يا أخي - ذلك

تداعت أمام نظرك كل تلك الخيالات من أنه مر بيت زيد فرأى زينب فبهره حسنها ، وقال سبحان مقلب القلوب . وكأنه أحد المستشرقين يرى أمامه مدام بريجيب باردو فانقلب قلبه فجأة ونسي جميع زوجاته ؟ .

ما هذا الهراء ، ولكنني أعرف أنها شهوة البشر المكشوف ، إنها الخصومة القديمة للإسلام تأصلت منذ الحروب الصليبية .

علينا أن نعلم - أيها السادة - في ختام هذه القضية الإيمانية أن القضية لا علاقة لها ببشرية رسول الله ، وأن الذي تولاه رب العزة في عليائه وأنزل بها شرعه القويم ليقم بها عوج الجاهلية الأولى ، وما كان رسول الله إلا مبلغاً لأمر به جل جلاله .

أيها السادة :

تزوج رسول الله من السيدة زينب في السنة الخامسة للهجرة وكان عمرها خمساً وثلاثين سنة وبركتها نزلت آية الحجاب على أمهات المؤمنين ، فقد أولم رسول الله لصحابته فلما انتهوا بقي بعض منهم جالساً فصار رسول الله يقوم ويخرج لعلمهم يخرجون وهو لا يريد أمرهم بالخروج لشدة حيائه حتى فطن القوم وخرجوا وأنزل مولانا عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ...﴾
/الأحزاب : ٥٣/ وكانت تفخر على نساء النبي بأنها بنت عمته ، وبأن الله زوجها له وهن زوجهن أولياؤهن . وكانت رضي الله عنها صوامة قوامة تعمل بيدها وتتصدق بذلك كله على المساكين ، ولما حجت مع النبي ﷺ قال لهن : « هذه الحجة ثم تلزمن ظهور الحصر » أي لا تخرجن فكن يحجبكن إلا سودة وزينب بنت جحش فإنه لما كانتا تقولان : والله لا تحركننا دابة بعد إذ سمعنا من رسول الله (أي أن يلزمن دورهن) .

وفي مجتمع ضم السيد الأعظم وزوجاته رضي الله عنهن قال رسول الله ﷺ لهن (ق) : أسرعن لحاقاً بي أطولكن يداً ، قال فكن يتناولن أيتهن أطول يداً ، تقول السيدة عائشة : فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق .

تقول عنها السيدة عائشة : « ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة ... » .
وقد روت عن النبي ﷺ أحد عشر حديثاً حتى لحقت بربها عز وجل سنة عشرين للهجرة عن عمر خمسين سنة ، فكانت أول نساء النبي ﷺ الحوقاً به فبعث إليها عمر بن خمسة أثواب بخرها ثوباً ثوباً فكفنت فيها ، وحين سمعت عائشة بوفاتها قالت : ذهبت حميدة فقيدة مفزع اليتامى والأرامل .
أيها السادة :

توفيت السيدة زينب في يوم شديد الحرارة ، فضرب عمر رضي الله عنه فسطاطاً (خيمة) على قبرها ، وجعلت أسماء بنت عميس لها نعشاً ضرب على سريرها (١) ، وصلى عليها أمير المؤمنين سيدنا عمر ، وسار في جنازتها صحابة نبينا والتابعون في المدينة حتى وسدت في قبرها بجوار السيدة زينب بنت خزيمة في البقيع .
فرضي الله عنها وأرضاها .

فمن هي أم المؤمنين الثامنة؟ .

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

(١) - الفتح عند حديث ٤٧٩٥ - الموطأ .



أُمّهات المؤمنین / ١٥ /

الحمد لله الذی خلق الخلیقة وأعمالها ، وردها بنور الهدایة عن الغواية وأمالها ، وأمدّها بالعناية الربانیة فقصر آمالها . أحمدّه حمد من احتسّی من النعم زلالها واكتسّی سربالها .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له شهادة تثبت الأقدام ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ .
وأشهد أن سیدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله والجاهلیة تشرع ضلالها ، فلم یزل علیه الصلاة والسلام یكثر جدالها ، ویضیق مجالها ، ویعرف خیلها ورجالها حتی عرفت مرامها وعافت الدنیا إذ عرفت زوالها ، اللهم فصل وسلم علی سیدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما خالفت الجنوب فی الهبوب شمالها ، وعلى أزواجه أُمّهات المؤمنین وأنزلهم فی مقعد صدق عندك یاملیکنا المقتدر وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمین ورحمة لنساء العالمین وسلم تسليماً كثيراً .

لعلنا بعد أن وصلنا إلى الحدیث عن أم المؤمنین الثامنة بعد دخولها بیت النبوة ، سنطرح سؤالاً نراه یطرح نفسه علی هذا العدد من النسوة اللواتی دخلن بیت النبوة ، کیف كان رسول الله یسوس هذا العدد من أُمّهات المؤمنین ویدبر أمرهن ویقوم علی حقوقهن مع كثرة أعبائه من تبلیغ للرسالة وإدارة للدولة الفتیة وجهاد للمشرکین ، وتعلیم للمسلمین . هذا السؤال الذی طرحه بعض الإخوة علی بساط البحث ، لكنهم نسوا شیئاً هاماً ، نسوا أن

هذا الشخص الذي جمع هؤلاء النسوة هو سيدنا محمد رسول الله .
إنها النبوة في جلالها ، والرسالة في شمولها ، وشخصية رسول الله
التي تمثلت كل جوانب الحياة .

نعم أيها السادة : إن نبينا كما بحق أباً ، وكان زوجاً ، وكان رئيساً لدولة
ناشئة ، وقائداً لجيش هذه الدولة ومخططاً لغزواته ، ومحارباً فذاً وسط
الميدان ، ومعلماً لأصحابه في شؤون الدين والدنيا ، وقاضياً بين
المتخاصمين ، وإماماً للمسلمين أجمعين .

إننا نتحدث عن القدوة في كل شيء ، ولكل مؤمن ، القدوة العليا
الكاملة المنزهة عن كل نقص ، والمعصومة من كل خطأ أو عيب ، وهذه آية
الله في رسوله الكريم الذي جعله رحمة للعالمين .

فقولوا جميعاً : الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا رسول الله يا ذا الجاه العظيم .
إننا نرفع رأسنا عالياً بسيدنا محمد ﷺ المثل الأعلى للكمال ، لقد
بنى صرح الدعوة الإسلامية وأبلغنا رسالة السماء ، ولم تشغله هموم نساءه
عن أداء الرسالة ، بل كن عوناً له على تبليغ الشرائع والأحكام .
إن حياته باختصار وبشريته المثالية وأبوته الرحيمة وزوجيته الودودة
مرآة لنا نسير على هداها إذا رغبنا في بيوت مستقرة ، وحياة سعيدة في
الدنيا والآخرة .

وقد وجدنا من خلال حلقات سابقة أن لكل زواج من أمهات المؤمنين
هدفاً ، ولكل منهن دور قامت به في حياة رسول الله ﷺ ، فما هو الدور
الذي قامت به أم المؤمنين الثامنة ؟ .
أيها الإخوة :

أجيب عن هذا السؤال مع الحلقة الثامنة والسبعين في سلسلة القضايا
الإيمانية من جامع الدرويشية ، وفي بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لرفع
شعار التوحيد :

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها الإخوة :

زيارتنا اليوم لأُم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن خزاعة وأبوها الحارث كان زعيماً لبني المصطلق .

وأما زوجها فهو من قومها واسمه مسافع بن صفوان .

واسمحوالي - معشر السادة - أن أنتقل بكم عبر القرون إلى السنة السادسة للهجرة إلى المدينة المنورة ، وأرى فيها الصحب الكرام يستعدون للغزو والجهاد في سبيل الله فقد بلغ النبي أن بني المصطلق بزعامه شيخهم الحارث قد تجمعوا مع بعض العرب لمحاربة سيدنا رسول الله ﷺ ، وذلك إثر غزوة الخندق وغزوة بني قريظة .

هاهو سيدنا رسول الله ﷺ يخرج إليهم في أول شعبان سنة ست للهجرة حتى لقيهم على ماء لهم يقال له (المريسيع) ، وكان معه في هذه الغزوة من أمهات المؤمنين السيدة عائشة والسيدة أم سلمة .

وتزاحف فريق الإيمان ضدَّ فريق الكفر واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل المسلمون منهم عشرة وأسروا سائر الرجال ، وسبوا الذرية والنساء وجمعوا الشاء والنعم حتى كان عدد السبي - كما ذكره ابن سعد - مئتي أهل بيت من بني المصطلق ، وأمر رسول الله ﷺ فأحصيت الغنائم وقسمت وفرقت وصارت في أيدي الرجال .

وكانت برّه بنت الحارث من بين الفياء الذين أفاء الله على المسلمين نراها مستسلمة لما حلَّ بها وبقومها ، لأنها رأت قبل المعركة بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجرها ، فلما سبيت رجّت أن يكون هذا القمر ، قمر يثرب العظيم سيدنا محمداً ﷺ . وقد قتل زوجها في المعركة ثم وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له ، فكاتبها على تسع أواق من الذهب .

أيها السادة :

تعلمون أن مثل هذه السيدة العربية لا تصلح أمةً تعامل معاملة الرقيق

والإماء ، ففكرت أن تذهب إلى سيد القوم الذين انتصروا عليهم وتستعين به في كتابتها ، فأتت إلى قمر يثرب سيدنا محمد ﷺ :

بَلَّغِ الْعُلَى بِكَمَالِهِ كَشَفِ الدُّجَى بِجَمَالِهِ
عَظُمَتْ جَمِيعُ خِصَالِهِ صَلُّوا عَلَيْهِ وَآلِهِ
أيها السادة :

ما زلنا هناك ، وأرى الحبيب الأعظم مع زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة والسيدة أم سلمة ، وكان أول شخص شاهدتها على باب النبي سيدتنا عائشة رضي الله عنها التي تقول : فوالله ما رأيتهما على باب حجرتي إلا كرهتها وعرفت أن أمراً ما سيجري معها . ودخلت السيدة برة بنت الحارث على القائد الأعلى للأمة ، وطرحت عليه قضيتها اسمعوها وهي تقول : يارسول الله! أنا بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومهم وقد أصابني من البلاء ما تعلم ، فوقع في السهم لثابت بن قيس ، فكاتبته على نفسي فجئت أستعينك على أمري (د ٢ / ٣٤٧ - ابن هشام ٢ / ٢٩٤ - ٦٤٥) .

فالسيدة برة جاءت تلوذ برسول الله ، المرسل رحمة للعالمين ، تستعين به ليقل عثرتها وهو الذي أذل أهلها ، مع أنهم هم البادئون بالغزو ، ورسول الله هم تفتح القلوب لدعوته وليس هم الغنم والسبي ، رأى امرأة عربية كريمة تلوى في الذل والمهانة ، سيدة حرة تلوذ به لتنجو من مهانة الرق وعاره ، ونظر القائد الأعلى للأمة وتأمل أكثر من ذلك ، لقد أمل بأكثر من ذلك ، وهو الذي رق قلبه وهي ببابه قلقة ، ولا من ينقذها سواه ، انتبهوا إلى عين النبوة كيف ترى البعيد قريباً ، قال لها :

- فهل لك خير من ذلك؟ . فسألته متعجبة : وما هو يارسول الله؟ فأجابها بترفق :- أقضي عنك كتابتك وأتزوجك . وشعشع الفرح في عيني الفتاة وقالت في فرح غامر :- نعم يارسول الله . فقال السيد الأعظم : قد فعلت .

كل هذه المحاورة والسيدة عائشة تسمع وتنظر إليها ، واليكم التصريح الهام الذي صرحته السيدة عائشة قالت : كانت برة امرأة حلوة ملاحه ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه .

أيها السادة :

إن سيدنا رسول الله ﷺ لم يرفع عن السيدة برة ذل الرق فقط ، بل ردَّ إليها عزَّتها وغسل العار والثأر عن المهزومين ، إن نبينا حول بهذا الزواج الهزيمة والعداء إلى ألفة وولاء ، وإليك الدليل الناصع :

فقد وصل خبر زواج برة من سيدنا محمد ﷺ وكان الصحابة من أشد الناس تعظيماً لسيدنا محمد ﷺ فقال : أصهار رسول الله وقوم زوجته أسرى عندنا؟! ، فإذا بهم يعتقدونهم جميعاً أحراراً لوجه الله تعالى .

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : فلقد أعتق بها مئة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها .

ووصل المسلمون إلى المدينة ، وتزوج رسول الله من برة بعد أن أصدقها أعظم صداق ، وضرب عليها الحجاب وغير اسمها من برة إلى جويرية ، وصارت أمّاً للمؤمنين وهي في العشرين من عمرها ، وكانت أول سرية لرسول الله ﷺ أعتقها وأسلمت ثم تزوجها .

أيها السادة :

لم تكتف عين النبوة بالنظر إلى عتق قوم جويرية ، ولكنها نظرت إلى أبعد من ذلك ، انظروا إلى الهدف الأسمى من هذا الزواج المبارك :

فقد جاء والدها إلى المدينة مع وفد قومه ليقدّم فداءً لابنته ، فقال له رسول الله : أرايت أن أخيرها ، أليس قد أحسنت . قال : فخيرها والدها فقالت : اخترت الله ورسوله وأخبرت والدها عن الإسلام وسماحة المسلمين وكرم رسول الله فإذا بالدها يصرخ عالياً :

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله

هذه الشهادة التي نطق بها من قلبه سيد بني المصطلق ، جعلت جميع

قومه يدخلون في الإسلام عن بكرة أبيهم فنادوا جميعاً :

ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

أيها السادة :

كانت السيدة جويرية نقية السريرة ، شفافة الروح ، مقبلة على العبادة

والتقرب ، منذ دخلت في الإسلام ، وعاشت في بيت النبوة تصوم النهار وتقوم الليل وتسبح الله كل وقتها ، وتجتهد فيما تأتي من صنوف العبادة دخل عليها رسول الله ﷺ يوم الجمعة فرأها صائمة فسألها : أصمت أمس ، قالت : لا ، قال : أتوين الصيام غداً؟ قالت : لا ، قال : فأفطري إذن (خ) .

وعند الترمذي بسند صحيح عن ابن عباس عن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي ﷺ مر عليها وهي في مسجدها (مصلاتها) ، ثم مر عليها قريباً من نصف النهار . فقال : ما زلت على حالك التي فارقتك عليها (يعني وأنت تسبحين) قالت : نعم . قال : ألا أعلمك كلمات تقولينها . وفي رواية : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلته منذ اليوم لوزنتهن .

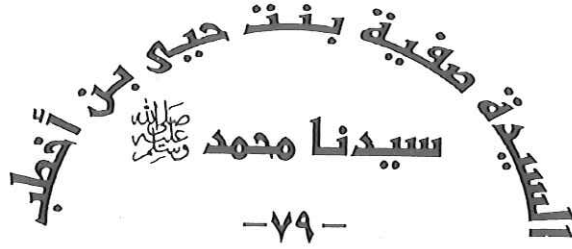
اسمعوا الكلمات وتمسكوا بها :

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ثلاثاً (صحيح) .

أيها السادة :

بقيت السيدة جويرية تروي أحاديث النبي ﷺ ويروي عنها ابن عباس وجابر وابن عمرو وغيرهم . وكانت وفاتها في المدينة المنورة سنة / ٥٠ / هـ وقيل سنة / ٥٦ / هـ وكان عمرها خمساً وستين سنة . ودفنت في البقيع بجوار أمهات المؤمنين رضي الله عنهن .

أيها الإخوة : لقد فعل هذا الزواج ما لم يفعله السيف في سلسلة المعارك الجهادية ، وقد كان باستطاعة رسول الله أن يجعلها ملك يمينه بشرائها ، ولكنه كان يهتم بانتشار الإسلام بالآلفة والمحبة ، فدعاه نظره البعيد إلى أن يعتقها ويتزوجها مسلمة حرة لتكون هذه النتيجة الإيمانية التي عشناها معاً طوال هذه القضية الإيمانية . فمن هي أم المؤمنين التاسعة . هل هي عربية ، ما هي الحكمة من زواج النبي بها ، أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله ، وأعود بكم من هناك ، إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله .



أمهات المؤمنين /١٦/

الحمد لله الذي غرس في قلوب الصالحين معرفة ، وأقام على الفطرة السليمة دينه وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ربى صحابته على البطولة والفداء والرجولة فهم كما وصف الحق ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ /الأحزاب : ٢٣/ .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه التابعين ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكننا المقتدر وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : نحن اليوم على موعد مع سيدة ذات الحظ السعيد التي بلغت من النبالة والأرستقراطية مبلغاً عظيماً ، سيدة كان أبوها حيي بن أخطب ملكاً ، وعمها أبو ياسر قائداً من قواد قومها ، وزوجها كنانة بن الربيع أحد ملوك خيبر ، وجدُّها الأعلى سيدنا هارون أخي نبي الله موسى ، ثم تربعت على قمة المجد فكانت زوجة لسيدنا محمد رسول الله وأماً للمؤمنين .

فأي سيدة في التاريخ كان أهل بيتها مثل هؤلاء؟ .

نحن أمام أم المؤمنين التاسعة في ترتيب دخول بيت النبوة ، وهي

السيدة صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير فقولوا رضي الله عنها .
أيها السادة :

إننا مع الحلقة التاسعة والسبعين من سلسلة القضايا الإيمانية من
جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم لترفعوا شعار التوحيد :

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها الإخوة :

ولدت هذه السيدة بعد البعثة بثلاث سنوات ، ونشأت وتربت في
مربع اليهود من بني النضير ، فهي بنت زعيم القوم ورئيسهم ، وعندما هاجر
رسول الله إلى المدينة ونزل بقباء ، وتسامع اليهود بنزوله إلى جوارهم تسابقوا
لمعرفة حقيقته وصفته ليتأكدوا من شخصيته ويقارنوا بينه وبين ما سجلته
كتبهم عن النبي الموعود في ذلك الزمان .

فاسمحوا لي - معشر السادة - أن أنتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم
هذا المشهد الذي التقى فيه حيي بن أخطب مع أخيه أبي ياسر ، وهما
يأتيان تعبين كسلانين ساقطين يمشان الهوينى يقول أحدهما للآخر : أهو
هو؟ قال : نعم والله . قال أعرفته وتبته؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك
منه . قال حيي : - عداوته والله ما بقيت .

وبدأت عداوة حيي هذا وأخوه أشد ما يكون حسداً للعرب على أن
خرج منهم النبي الأمي .

فحاولوا الغدر برسول الله ومحاولة قتله ، فأمر بالتهيؤ لحربهم والسير
إليهم فحاصروهم ست ليال وأمر بقطع النخيل وحرقتها ، وقذف الله في قلوب
اليهود الرعب ، وسألوا رسول الله أن يجعلهم ويكف عن دمائهم فأمرهم
بالخروج ومعهم متاعهم وأموالهم إلا السلاح فمنعوا منه . وتفرق اليهود من
بني النضير فمنهم من سار إلى الشام ، ومنهم من مضى إلى خيبر ، وكان
من سار إلى خيبر زعيم بني النضير حيي بن أخطب وكنانة بن الربيع .

لكن حياً بن أخطب ومن معه من بني النضير في خيبر راحوا

یکیدون للإسلام ویحاولون الإیقاع بالمسلمین والانتفاض علی الإسلام ، فحزبوا الأحزاب فی الخندق ، بنو النضیر - قریش - بنو غطفان - بنو قریظة ، أتوا جمیعاً ومعهم المنافقون فحاصروا المسلمین فی الخندق قرابة الشهر فی السنة الخامسة حتی جاءت الریح وجنود الله من الملائكة ، وإلیکم هذا الوصف الدقیق الذی وصفه مولانا للمؤمنین علی موجات سورة الأحزاب :

أعوذ بالله من الشیطان الرجیم

﴿یاأیها الذین آمنوا اذكروا نعمة الله علیکم إذ جاءتکم جنود فأرسلنا علیهم ریحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصیراً ، إذ جاءوكم من فوقکم ومن أسفل منکم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلی المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شدیداً﴾ .

ورجع رسول الله صباحاً إلى المدینة ، فجاءه جبریل ظهراً يأمره بالمسیر إلى بنی قریظة للقضاء علیهم لأنهم غدروا بالنبی والصحابه فحاصروهم خمساً وعشرین لیلۃ ، وقذف الله فی قلوبهم الرعب والفزع فأرسلوا للنبی وأخبروه بنزولهم علی حکمه وشاور رسول الله أصحابه ثم حکم فیهم سعداً ابن معاذ فحکم : بأن تقتل الرجال وتسبی الذراری والنساء (ق) .

ونفذ الحکم العادل فیهم وقتل حوالي سبعمئة رجل حتی جاء دور عدو الله حیي بن أخطب المحرك الأساسي لهذا الغدر ، فضربت عنقه .

وكانت ابنته صفیة فی حصون یهود خیبر عندما قتل أبوها حیي ، ولما بلغت سن الزواج زفت إلى سلام بن مشکم القرظی إلا أنه فارقها فتزوجها زعیم من قومها هو کنانة بن الربیع .

وذات لیلۃ رأت فی المنام أن الشمس أو القمر قد أقبل من یشرب ثم وقع فی حجرها ، وفی الصبح حدثت زوجها بما رأت بكل براءة فإذا به یضربها علی وجهها ضربة تركت أثراً بجانب عینها وقال : تحبین أن تكونی تحت هذا الملك الذی یأتي من یشرب؟ وقد كان ، وتحقق الحلم ، فكیف ذلك؟ .

أيها السادة :

تحقق هذا الحلم في السنة السابعة من الهجرة حين خرج رسول الله بجيشه نحو خيبر للقضاء على اليهود نهائياً ، والتخلص من أقوى أعداء المدينة في المنطقة الشمالية ، فوصلت قوات المسلمين خيبر ليلاً ، وفي الصباح بدأ القتال واشتد الهجوم واحمرت حديق الحرب وبدأت الحصون تتساقط حصناً حصناً ، حتى استسلم اليهود وغنم المسلمون منه خيراً كثيراً ، وكان لرسول الله نصيب منه السيدة صفية بنت سيد قومها والتي قتل زوجها كنانة بن الربيع ضمن قتلى الحصن .

أيها السادة :

إننا هناك بجوار المدينة المنورة وأمام الحبيب الأعظم (صلوا عليه) ، إليكم هذا العرض الذي عرضه على السيدة صفية قال لها : اختاري ، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي ، وإن اخترت اليهود فعسى أن أعتقك فتلحقني بأهلك . فقالت : يا رسول الله ، لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك ، ومالي في اليهودية أرب ، ومالي فيها والد ولا أخ ، وخيرتني الكفر والإسلام فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي .

وهنا أعتقها رسول الله وأسلمت وانتهت عدتها من زوجها ، وتزوجها رسول الله ﷺ ، وبذلك أزال كفرها وحقدتها وألمها بسبب أبيها وزوجها وأخيها اللذين سقطوا في الميدان ، وهي التي كانت السيدة الأولى في تلك الدولة المنهارة ، فجبر رسول الله خاطرها الكسير ، وربط النبي بهذا الزواج بين الديانتين بين اليهودية والإسلام وأظهر أنه لا يريد إراقة الدماء ، بل يريد هداية البشرية وجمعها على المحبة والأخوة ، فما الأديان والأنبياء إلا أبناء علات ، أي أولاد الرجل من نسوة شتى ، دينهم واحد وشرائعهم مختلفة .

أيها السادة :

وهكذا انضمت سيدة جديدة إلى البيت النبوي على مضض من

أمهات المؤمنين وعدم رضا منهن ، فما إن دخلت حتى أتت السيدة عائشة منتقبة متخفية لتراها ، فعرفها رسول الله ، فأدركها وأخذ بثوبها وقال : كيف رأيت ياشقيراء . قالت : رأيتُ يهوديةً . قال : لا تقولي هذا يا عائشة فإنها أسلمت وحسُنَ إسلامها ، لكن الغيرة بقيت تشتد في قلب السيدة عائشة حتى حدثتنا عن ضررتها صفية فقالت :

ما رأيت صانعة طعام مثل صفية صنعت لرسول الله طعاماً وهي في بيتي ، فارتعدتُ من شدة الغيرة فكسرت الإناء ، ثم ندمت . فقلت يا رسول الله ما كفارة ما صنعت؟ قال : إناء مثل الإناء وطعام مثل الطعام .

أسمعتُ إلى هذه اللقطة الطيبة من رسول الله ﷺ والتوجيه السديد من الزوج العظيم إنه يذيب صخور الغيرة النسوية .

ومرة أخرى اجتمع بعض زوجات النبي عائشة وحفصة وأخذتا تفاخران صفية وتدلان عليها بأنهما من أزواجه وبنات عمومته ، ويعيرانها بغربتها فبكت وشكت أمرها الطيب القلوب ﷺ فطيب خاطرهما وقال لها : ألا قلت لهن : كيف تكن خيراً مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد ﷺ (ت : ض) (١) .

عندئذ قرأت عين صفية وأحسست بحماية رسول الله لها .. حتى مرض رسول الله ﷺ المرض الأخير ، حيث اجتمعت عنده نساؤه في بيت عائشة فقالت صفية : أما والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي ، فغمزت أزواج النبي ببصرهن ، وأبصرهن رسول الله فقال : مضمضن فقلن : من أي شيء يارسول الله؟ قال : من تغامزكن بصاحبكن ، والله إنها لصادقة .

هذه هي شهادة سيدنا رسول الله في هذه السيدة الكريمة التي ودعت حبیبها رسول الله الوداع الأخير ، وبقيت تروي أحاديث النبي الكريم وتتعبد في محرابها حتى وصل الخبر إلى أمير المؤمنين عمر عن طريق جارية لها أن صفية تحب السبت وتصل اليهود . فبعث إليها عمر يسألها ، فقالت :

(١) - وشاهده صحيح عند الترمذي : « وإنك لابنة نبي ، وإن عمك لنبي ، وإنك لتحت نبي فقيم تفخر عليك ، ثم قال اتقي الله يا حفصة »

أما السبت فإني لا أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة ، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها ، ثم سألت جاريتها : ما حملك على هذا؟ قالت : الشيطان . قالت : اذهبي فأنت حرة .

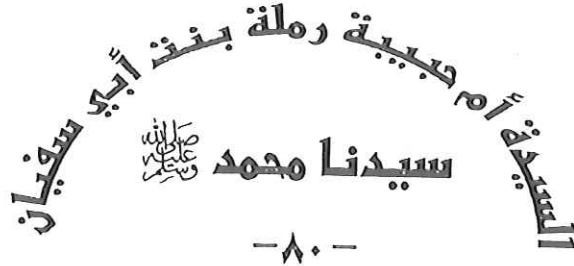
ثم نراها في فتنة الشهيد عثمان تنقل له الزاد والماء له ولأهله المحصورين حتى نفذ قضاء الله فيه .
أيها السادة :

عاشت السيدة صفية حتى جاوزت الستين عاماً بعامين ، وعندما أحسّت بدنو أجلها تصدقت بدار كانت لها ، وأوصت لابن أختها على اليهودية بثلاث ما تملك ، يقول أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : فأبوا أن يعطوه حتى كلمت عائشة ، فأرسلت إليهم وقالت : اتقوا الله وأعطوه وصيته فأخذ ثلثها وهو ثلاثة وثلاثون ألف درهم ونيف ، وهكذا نرى السيدة صفية تنفذ ولاخر لحظة الآية الكريمة : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ /المتحنة : ٨/ .

فلا حرج عليها في أن تبرّ ابن أختها إعمالاً للنص الكريم ، وقد أخذت صورة البر شكل الوصية لأنه لا يستطيع أن يرثها من حيث كان اختلاف الدين من موانع الإرث .
أيها السادة :

توفيت السيدة صفية سنة ٥٢هـ ودفنت بالبقيع .
وهكذا ترون - أيها السادة - كيف قرب رسول الله كثيراً من اليهود إلى الإسلام ، فدخلوا في دين الله مختارين ، فرضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين . فمن هي أم المؤمنين العاشرة؟ .

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



أمهات المؤمنين / ١٧ /

الحمد لله مدبر الملك والملكوت ، المنفرد بالعزة والجبروت ، بيده مقاليد الأرض والسموات ومصابير جميع المخلوقات ، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اتقى الله فوقاه ، وتوكل عليه فكفاه واعتمد عليه فأيده بنصره وأواه .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد : فياحماة الإسلام وحراس العقيدة :

حديثنا اليوم يمس أوتار العقيدة في القلوب المؤمنة ، فنحن اليوم أمام شخصية فريدة ، مع ابنة زعيم من زعماء العرب وعظيمة من عظيمات الأمة التي اشتهرت في سماء الإسلام بتمسكهن بدينهن رغم مغريات الحياة .
درسنا اليوم حول عظمة الصحابة الذين درسوا في مدرسة سيدنا محمد ﷺ وأثبتوا بما لا يدع مجالاً للشك أن رابطة العقيدة أقوى من رابطة النسب قولاً وفعلًا ، وخاصة بعد أن نزل قوله تعالى : ﴿ لا تجد قومًا يؤمنون

بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو
أبناءهم ﴿ /المجادلة : ٢٢/ .

فالأمة الإسلامية ترفع رأسها عالياً بتربية سيدنا محمد ﷺ ، لقد
أحسن رسول الله تربية أصحابه ، حوّل حياتهم من عباد للأصنام إلى عبادة
الواحد الديان ، من أكلوا الربا والحرام والخمر إلى أمة لا تبتغي عن الحلال
بديلاً ، حوّل حياتهم من اعتزازهم بالعصبية القبلية إلى اعتزازهم بالله
تعالى ودينه .

نعم - أيها السادة- إن وفعتنا اليوم مع أم المؤمنين العاشرة ، إلا أن لزواج
النبي منها سرّاً عظيماً ونبأً جليلاً وصفه مؤرخو السيرة بأنه زواج سياسي كان
من نتيجته دخول أبيها زعيم مكة وقومها في الإسلام في فتح مكة المكرمة .
إننا مع الحلقة الثمانين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع
الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد :

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها السادة :

أنزل معكم اليوم ضيوفاً على سيدة عربية قرشية من بني أمية هي :
السيدة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس
الأموية .

وأما صفية بنت أبي العاص بن أمية بن عبد شمس عمّة سيدنا
عثمان بن عفان رضي الله عنه . وأخوها ملك الإسلام سيدنا معاوية بن أبي
سفيان من جهة أبيها .

ولدت هذه السيدة قبل البعثة النبوية بسبعة عشر عاماً ، ولما بلغت سن
الزواج تزوجت حليف بني أمية عبید الله بن جحش بن رثاب من بني
أسد ، وهو أخ شقيق لعبد الله بن جحش (شهيد أحد) .

وحينما دعاهما رسول الله إلى الإسلام أعلنّا إسلامهما وتحملا من
العذاب معاً ما تحمّله المسلمون في أول الدعوة حتى فرّت بدينها مع زوجها إلى

الحبشة مع من هاجروهمي حبلى متوجعة ، وما إن عاشا في كنف النجاشي فترة من الزمن حتى أنجبا ابنتهما حببية التي اكتنت أمها بها حتى نسي اسمها الأصلي وعرفها المسلمون بعد ذلك بأُم حببية فقولوا رضي الله عنهما .
أيها الإخوة :

وفي الحبشة تسامع المهاجرون إسلام أسد الله حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب عملاق الإسلام فظنوا أن مكة كلها أسلمت ، فرجع أكثرهم إلى بلدهم الحبيب ، ولكن أم حببية وزوجها وابنتهما بقوا مع من بقي هناك . فقد كانت أم حببية تعلم أن أباهما أبا سفيان مازال على الشرك ، فأثرت أن تبقى في دار الهجرة بعيداً حتى يأذن الله تعالى .

وفي السنة السادسة للهجرة - كما يروي ابن سعد بسنده عن أم حببية - أنها رأت رؤيا أفزعته ، رأت أن زوجها عبيد الله في المنام بأشوه صوره وأسوأ حال وأبشع منظر ، فقامت من نومها فزعة تستعيز بالله من الشيطان ومن شر ما رأت ، لكنها تبينت حقيقة تأويل رؤياها الصادقة حين ابتدرها زوجها صباحاً قائلاً :

- يا أم حببية إنني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية ، وكنت قد دنتُ بها (أمنت بالنصرانية) ثم دخلت في دين محمد ثم رجعت اليوم إلى النصرانية (أي ارتد عن الإسلام) (ابن إسحق كتاب السير ٢٥٩ - طبقات ابن سعد ١/ ٢٠٨) .

فقالت له : والله ما خير لك ، إنني رأيت في منامي كذا وكذا ، فحذرته ووعظته ، لكنه لم يحفل بها ولا برؤياها ، وأكب على الخمر حتى مات .

لكن السيدة أم حببية بقت على دينها متمسكة بشريعة ربها ، ترفع رأسها عالياً بها ، فإذا بها ترى في منامها منادياً يناديها قائلاً : يا أم المؤمنين .
أيها الإخوة الكرام :

وتناقل خبر ردة عبيد الله بن جحش جميع من في المدينة ، وعلم

رسول الله بهذا الخبر ، وأن السيدة أم حبيبة ماتزال على دينها لا تحيد عنه قيد شعرة ، ولا تبغي عنه بديلاً ، فأراد أن يكافئها أعظم مكافأة ويجازيها أعظم جزاء على ثباتها وصبرها . وكانت الإرادة الإلهية أن تكون السيدة أم حبيبة زوجاً لسيد الكائنات وبطل الأنبياء ، فنالت الوسام الأعظم الذي تتمناه كل امرأة ، «وسام أم المؤمنين» فكيف تم ذلك؟
معشر السادة :

اسمحو لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك ، إلى أرض الحبشة لأشهد معكم هذا الزواج المبارك العظيم الذي عقده ملك الحبشة (النجاشي) ، فقد أرسل إليه سيدنا رسول الله بعد أن انقضت عدتها لينخطب له أم حبيبة التقية النقية . تقول السيدة أم حبيبة رضي الله عنها :
«لما انقضت عدتي استأذن على بابي جارية للنجاشي ، فدخلت علي فقالت :

- إن الملك يقول لك : إن رسول الله كتب إلي أن أزوجه فقلت :
بشرك الله بالخير (ثم ألقت إليها سوارين من فضة مكافأة لبشارتها) .
ثم قالت الجارية : يقول لك الملك وكلي من يزوجه .
فأرسلت السيدة أم حبيبة إلى سيدنا جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فقام سيدنا النجاشي خطيباً فقال :
الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار .
وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه بشر به عيسى ابن مريم» .

أما بعد :

فإن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ، وقد أصدقته أربعمئة دينار ، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم ، فقولوا رضي الله عنه .
ثم قام وليها سيدنا خالد بن سعيد فقال :

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستنصره .
وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .
أما بعد : فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة
بنت أبي سفيان فبارك الله لرسول الله .
ثم دفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أراد القوم
أن يقوموا فقال :

- اجلسوا فإن من سُنَّة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على
التزويج . فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا .
وهكذا - معشر السادة - تم الزواج بكل أركانه وشروطه وسننه : إيجاب
وقبول ، ومهر وشهود ، وولي ووليمة ، ولم يبق إلا رحيل العروس إلى الزوج
العظيم يا سعد من صلى عليه .

أيها الإخوة :

وانتشر الخبر بين العرب ، وانقلبت السخرية على أبي سفيان لأنه كان
يومها زعيم معسكر الشرك ، سبحانه مقلب القلوب : كان نوح نبياً رسولاً
وكان ابنه كافراً ، وكان إبراهيم نبياً رسولاً وكان أبوه كافراً ، وكان خالد بن
الوليد وعكرمة بن أبي جهل صحابيين جليلين وكان أبواهما من ألد أعداء
سيدنا محمد ﷺ ، وكان الحبيب الأعظم إذا رأى خالداً وعكرمة قال :
سبحان الله يخرج الحي من الميت .

لكن أبا سفيان قطع ألسنة الساخرين ، وأعلن أنه يرفع رأسه عالياً بهذا
الزواج ، وأطلق كلمته المشهورة : «هو الفحل لا يقدح أنفه» - صلوا على
النبي - هو الكف الكريم الذي لا يرد .

أيها السادة :

وما إن أتت السنة السابعة للهجرة حتى تهيأ رسول الله لتأديب اليهود
بعد أن ازداد خطرهم فتوجه لقتالهم في خيبر ، بعد أن أرسل إلى النجاشي

رسولاً يعلمه أن يرسل المسلمين المتبقين في الحبشة فقد ثبتت أركان الإسلام وقامت الدولة الجديدة ، ولم يبق إلا عودة الذين أخرجوا من ديارهم ظلماً وعدواناً ، فإذا بهم يعودون والنبي في خير ، فشدوا الرحال إلى خير ليلقوا رسول الله هناك وقد فتح الله عليه ونصره والتأم الشمل ، فقد كانت أم المؤمنين السيدة أم حبيبة مع القادمين بعد حوالي خمسة عشر عاماً قضتها مهاجرة في سبيل الله ، عادت ومعها ابنتها حبيبة محملة بالهدايا والعطور من سيدنا النجاشي (واسمه أصحمة) ، وكان على رأس الوفد الإسلامي القادم من الحبشة سيدنا جعفر بن أبي طالب ابن عم سيدنا النبي ، وما إن رآه رسول الله ﷺ حتى قال :

- ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خير أم بقدوم جعفر (فتح ٢٢٦٢) .
أيها السادة :

تكاد الروايات تجمع على أن سن السيدة أم حبيبة كانت في الثلاثين عند قدومها المدينة ، فأقامت في حجرة من حجرات النبي مع أمهات المؤمنين تتعلم وتعلم وتحفظ الحديث والقرآن ، ولها في كتب الحديث خمسة وستون حديثاً روتها عن زوجها حبيب الله تعلمتها في خلال ثلاث سنوات من مكوثها عنده قبل وفاته ﷺ .

في السنة الثامنة من الهجرة وبعد نقض معاهدة الحديبية وفي رمضان ، هذا الشهر المبارك الذي لم يكن عند الصحابة شهر ترفيه بل كان شهر توجيه ، ولم يكن شهر تسلية بل كان شهر توعية ، وجهز رسول الله جيشه لفتح مكة ، وعلم (زعيم المشركين) أبو سفيان بذلك فأسرع من مكة إلى المدينة ليمدد فترة الصلح ويرمم ما انتقض من صلح الحديبية ، فكان أن توجه إلى أم حبيبة رضي الله عنها ، ففوجئت رملة به في بيتها ولم تكن قد رآته منذ هاجرت إلى الحبشة .

أيها الإخوة : إننا في بيت رسول الله ﷺ تعالوا لتلتقط العدسة الإيمانية هذا المشهد ، وأبو سفيان واقف على الباب ، الرجل الذي حارب

معسكر التوحيد واحداً وعشرين عاماً ، قرابة ربع قرن من الزمان كان ألد أعداء المصطفى ﷺ ، قالت له مباشرة :

- ماذا تريد يا أبا سفيان؟

لم تقل له يا أبت لأن الإسلام رفع الأبوة بينها وبينه ، هو مشرك .
دخل أبو سفيان وتوجه إلى الفراش الوحيد في الغرفة فوثبت أم حبيبة فاخبطت الفراش وطوته . فقال أبو سفيان :

- أرغبة بي عن الفراش طويته ، أم رغبة بالفراش عني؟
أي أن هذا الفراش لا يليق بي وبمقامي ومكانتي ، أم أنني لست أهلاً كي أجلس عليه؟ .

فقالت أم حبيبة الطاهرة الصادقة ، التي قارب الإيمان بينها وبين رسول الله والمسلمين ، وباعد الشرك بينها وبين أبيها قالت بثقة وجرأة :
- والله لا يجلس عدو الله على فراش حبيب الله .

يا أبا سفيان هذا فراش رسول الله وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس عليه ، إنها العقيدة ، العقيدة إذا تمكنت من شغاف القلوب تكاد تجعل المستحيل ممكناً ، العقيدة إذا مزجت بماء البحر الأجاج تجعله فزاً عذباً سلسبيلاً .

قم عن هذا الفراش فهذا فراش حبيب الله أطهر خلق الله وأنت مشرك نجس ، وهل هناك أطهر من سيدنا محمد في هذا الوجود؟ .
فقام أبو سفيان وبه رعدة ، وانتفض كمن صب عليه سجل ماء في ليلة شاتية ، ثم قال لها وهو يخرج : يا بنية لقد أصابك بعدي شر . فقالت له وهي تلحقه إلى باب الحجرة :

لا يا أبا سفيان ، بل هداني الله تعالى للإسلام وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر ، واعجباً منك يا أبت وأنت سيد قريش وكبيرها .

أيها السادة :

زلزلت هذه الكلمات موقف الشرك في أعماق أبي سفيان ومهدت الطريق لدخوله في بوتقة الإيمان والتوحيد بعد أيام قليلة من هذا الموقف .
فمساكين أولئك الذين تفوتهم روعة عمل نبينا الكريم فينسبونهم إلى تلبث الشهوة ، لأن هذا الزواج - أيها الإخوة - زواج سياسي من الدرجة الأولى ، فلم تمض أيام على وجود أم المؤمنين في بيت النبوة حتى دخل أبو سفيان في الإسلام قبل دخول جيوش القيادة العامة للجيش المسلم مكة المكرمة ، وكان سبباً لتأليف قلوب قومه وعشيرته فدخلوا جميعاً في الإسلام ، كما أنه إعلان من القائد الأعلى للأمة أنه اختارها لنفسه تكريماً لها على إيمانها لأنها خرجت من ديارها فارةً بدينها ، وبقيت عليه رغم ردة زوجها فكانت المكافأة على قدر التضحية .

إخوة الإيمان :

حجت السيدة أم حبيبة مع رسول الله في حجة الوداع وأذن لها رسول الله أن تنفر قبل الفجر من مزدلفة إلى منى قبل نزول الحجيج ، ثم عاشت حتى استقر الأمر لأخيها معاوية ، وحين أحست بدنو أجلها في عام ٤٤ هـ راحت تتحلل من ضرائرها وتستغفر لهن وتطلب منهن التجاوز عما كان بين الضرائر ، وودّعت الأمة أم حبيبة إلى مرقدتها الأخير في البقيع فقولوا رضي الله عنها .

فمن هي أم المؤمنين الحادية عشرة ، أعلق هذا السؤال لأجيب عنه بإذن الله تعالى في الجمعة القادمة وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحه الله تعالى .

الاعتراف ماریة ودرجانه:

سیدنا محمد صلی اللہ علیہ وسلم

- ۸۱ -

الحمد لله منزل الكتاب ، ومفصل الخطاب ، وفتاح أبواب الصواب ،
 ومانح أسباب الثواب .
 أحمدہ سبحانہ وتعالیٰ وهباتہ ونعمہ تنزل بغير حساب ، وأعبده فإليه
 المرجع والمآب ، وأرجوه وأخافه فبيده الثواب والعقاب .
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مقدمات دلائلها
 مبينة الأسباب ، ونتيجة اعتقادها جنة مفتحة الأبواب .
 وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا
 محمداً عبده ورسوله أرسله وقد طال زمن الفترة ونُسيت الآداب ، وبعد عهد
 النبوة فزال الحق وانجابت فمنازل الهدى خراب ، ومعاهده لا تُعتاد ولا تُنتاب ،
 وللناس بالشهوات والشبهات إعجاب ، حتى افرد النظر بالدنيا وادّعي تعدد
 الأرباب . فاختر الله سيدنا محمداً من أشرف الأنساب وخيرة الأحساب .
 اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى
 أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق
 عندك يا مليكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم
 وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد : فياحماة الإسلام وحراس العقيدة

كنت أريد أن أختم معكم اليوم ملف أمهات المؤمنين بالحديث عن أم المؤمنين الأخيرة في دخولها بيت النبوة لكنني نظرت فوجدت أن امرأة أخرى كانت قد سبقتها في دخول بيت النبوة ، نعم هذه المرأة ليست من أمهات المؤمنين لأنها (أمة) أو بتعبير أدق سرّية ، فنحن أمام ألفاظ ثلاثة أرى أنه من الواجب علينا أن نفهمها لنقف على حقيقة الأمر في هذه السيدة الجديدة ، ذلك أن علماء السير والمؤرخين يدققون في الألقاب لتكون مطابقة للحال .

فلقب أم المؤمنين يعني أو المقصود منه : نساء النبي الحرائر ، أي اللواتي قَسَمَ لكل منهن رسول الله ليلة يبيت عندها وأسكنها بيتاً أو حجرة من حجراته حول المسجد النبوي .

واللقب الثاني : هو لقب الأمة أو الجارية التي تكون عند السيد تخدمه دون أن يبني بها أو يطأها وله الحق في بيعها وهبتها وغير ذلك .

واللقب الثالث : هو لقب السرية : والمقصود منه الأمة التي تكون عند سيدها فيتسرى بها أي يبني بها ويطؤها بملك يمينه ولا يحل له أن يجمع بينها وبين أختها في الوطء ، فإن ولدت له ولدأ سميت أم ولده فيحرم عليه بيعها أو هبتها أو التصرف فيها ، وتكون حرة بعد موته ، أي أن ولدها أعتقها من الرق .

وهذا ما سيكون الحديث عنه اليوم ، فنحن أمام سريتين لسيدنا رسول الله ﷺ فمن هما؟ وما هي أخبارهما؟ من هو الابن الأخير لسيدنا رسول الله ﷺ؟

أجيب عن هذه الأسئلة بإذن الله تعالى مع الحلقة الحادية والثمانين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة نرفع عالياً شعار التوحيد :

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

أيها السادة الكرام :

كان عند جدي سيدنا رسول الله ﷺ سريتان :

الأولى : السيدة ريحانة بنت زيد من بني النضير ، سببت مع غنائم بني قريظة بعد أن قتل زوجها الحكم ، وكانت بعد تقسيم الغنائم من نصيب سيدنا رسول الله ﷺ ، فأرسلها إلى أم المنذر بنت قيس من بني النجار لتبقى عندها حتى تعتد بحفصة واحدة ، وعندما طهرت في الحرم سنة ٦ هـ عرض عليها رسول الله أن تسلم فيعتقها ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك فتركها . لكنه لم يقربها لأنها تعصبت لليهودية ، فعزلها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه لذلك من أمرها . وبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال : إن هذا لشعبة ابن سعيد (وهو أحد من أسلم من يهود بني قريظة) يبشرني بإسلام ريحانة ، فجاءه فقال : يا رسول الله أسلمت ريحانة .

فسره ذلك منها ، وقام إليها ووطئها بملك اليمين ، ولذا لم يقسم لها ولم يسكنها في بيوت أمهات المؤمنين ، إنما بقيت عند أم المنذر في بني النجار حتى توفيت في السنة العاشرة للهجرة عند عودته ﷺ من حجة الوداع ، فدفنها في البقيع بجوار السيدة زينب بنت خزيمة فقولوا رضي الله عنهما . لكن ابن سعد في الطبقات (٨/١٣٠) يذكر أنها أسلمت يوم غنمها رسول الله فأعتقها وتزوجها وأصدقها وأعرس في بيت أم المنذر ، وأنه كان يقسم لها كما كان يقسم لنسائه وأنه ضرب عليها الحجاب ، والله أعلم بذلك .

أيها الأخوة :

نحن اليوم ننزل ضيوفاً على السرية الثانية ألا وهي أم سيدنا إبراهيم السيدة مارية بنت شمعون القبطية التي دخلت فجأة بيت النبوة ، فقد فوجئ بها رسول الله ﷺ بعد عودته من صلح الحديبية .

فكلنا يعلم أنه راسل الملوك والرؤساء والأمراء من النصارى والمجوس برسائل وصل عددها إلى عشر رسائل ، بل ذكر صاحب الطبقات أربعين رسالة له ﷺ لجميع ملوك الأرض (١/٢٦٤) ، أرسلها مع أصحابه الذين بعثهم في أنحاء الجزيرة العربية وخارجها ، فكان نصيب حاطب بن أبي بلتعة الذي كان يعرف اللغة المصرية القديمة أن يرسل إلى المقوقس جريج بن مينا عظيم القبط في مصر .

ولما نظر المقوقس في الرسالة قرأ فيها :

سلام على من اتبع الهدى

أما بعد :

من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط .

فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم القبط . . .

قرأ المقوقس الكتاب بإمعان وتأمل في مضمونه ، ولعله أدرك أن سيدنا محمداً هو النبي الذي بشر به السيد المسيح في الإنجيل ، فمال إلى الإسلام ، لكنه خشى من قومه وخاف من الروم على ملكه أن يسلب منه عندما يسلم ، ولذا كان رده على رسول الله سياسياً حذراً ، ليس فيه قبول أو رفض ، إنما ظاهره سياسة ومداينة وتلطف ، قال لحاطب بن أبي بلتعة :

- لقد أمرت لك بمئة دينار وخمسة أثواب ، فارحل عني ولا تسمع منك القبط حرفاً واحداً .

ثم سلم له رسالة إلى رسول الله وبعث معه جاريتين وعبداً وبطبيب وثياب ومطية وبعض خيرات مصر كالعسل .

أيها السادة :

وجد رسول الله ﷺ كل ذلك أمامه عند عودته من صلح الحديبية فاخذ الرسالة وأمر بقراءتها بين يديه ، فإذا فيها :

من المقوقس عظيم القبط إلى محمد بن عبد الله

سلام عليك

أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وتدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وثياب ، وأهديت لك بغلة لتركبها ، والسلام عليك .

بهذه الرسالة ظهرت حكمة المقوقس وسياسته المخنكة ، حين أرسل الهدايا ، فبدأ في نظر النبي غير معارض لدعوته ، أو رافض لرسالته ، وزاد من جمال الموقف أن الجاريتين دخلتا في الإسلام ، وهما السيدة مارية القبطية وأختها سيرين ، فاتخذ رسول الله لنفسه السيدة مارية ووهب شاعره حسان بن ثابت أختها سيرين ، وأنزلها في بيت من بيوت حارثة بن النعمان بجوار بيوت أزواجه .

واشتعلت نار الغيرة في قلوب أمهات المؤمنين لما وجدن أن سيدنا النبي يكثر من زيارة السيدة مارية ، وإليك هذا التصريح الهام الذي صرحته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها التي قالت :

- ما غرت من امرأة إلا دون ما غرت من مارية ، وذلك أنه كانت جميلة جعدة ، فأعجب بها رسول الله ، وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت الحارث بن النعمان ، فكانت جارتنا ، فكان عامة ليله أونهاره عندها حتى فرغنا لها فجزعت فحولها إلى العالية (على بعد ٥ كم من المدينة) فكان يختلف إليها هناك فكان ذلك أشد علينا .

وقد ذكر المؤرخون وكتاب السير أن السبب في نقلها إلى خارج المدينة همسة مريبة تتهم السيدة مارية بمثل ما اتهمت به قبلها أم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها .

أيها الإخوة : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى جوار المسجد النبوي الشريف لنشهد هذه المحنة التي وقعت فيها السيدة مارية كما ذكرها صاحب الاستيعاب عن محمد بن عبد الله الأزهري عن أنس بن مالك قال :

((كانت أم إبراهيم سرية النبي ﷺ في مشربتها وكان قبطي (الذي أهده المقوقس له)^(١) وكان هذا القبطي يأوي إليها ويأتيها بالماء والخطب ، فقال الناس في ذلك (علج يدخل على علة)^(٢) فبلغ ذلك رسول الله فأرسل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوجد القبطي على نخلة هناك ، فلما أخذ سيدنا علي سيفه وقع في نفس القبطي ما يريد وألقى الرداء الذي كان يستره فتعري فإذا هو محبوب ، أي لا يستطيع الاقتراب من النساء ، فعاد سيدنا علي للنبي وأخبره . فخاف عليها فنقلها إلى العالية بضواحي المدينة توفيراً لراحتها وسلامتها وعناية بصحتها .

إلا أن حدثاً سعيداً وأملاً بارقاً وفرحة غامرة ملأت هذا البيت الجديد ، إذ أن السيدة مارية أعلنت أنها حامل ، فقد أحست ببوادر الحمل حين دخلت عامها الثاني مع سيدنا رسول الله الذي كان قد شارف على الستين وما إن دخلت السنة الثامنة للهجرة في شهر ذي الحجة حتى دخلت أم رافع القابلة لتبشر سيدنا محمداً بمولد ولده فأكرمها ثم أسرع إلى بيت جاريتة فرحاً مسروراً حامداً شاكراً ليحمل الغلام بين يديه ويسميه إبراهيم مما زاد في غيره أمهات المؤمنين وخاصة السيدة عائشة رضي الله عنها .

وحلق رسول الله شعر سيدنا إبراهيم في اليوم السابع وتصدق بوزن

١- أورد صاحب الاصابة أنه أخو السيدة مارية .

٢- العلج : الرجل من كفار العجم .

شعره فضة على مساكن المدينة ، وتنافست الأنصار فيمن يرضعه ، فاختر رسول الله مرضع ولده ، وجعل في حيازتها سبعاً من الماعز كي ترضعه بلبنها إذا شح ثديها .

وكان الوحي إذا نزل عليه يؤنسه ويسلم عليه قائلاً : السلام عليك يا أبا إبراهيم . وبدأ الطفل الحبيب يحبو على يديه ورجليه على الأرض ، وتزداد سعادة والديه به حتى قارب على العامين ، لكنه فجأة مرض فبدأ القلق يتسرب إلى أهل البيت ، وأما سيدنا رسول الله فضرب المثل الأعلى في الثبات أمام المصائب ، وفي الصبر عند الملمات ، يقول سيدنا جابر يصف الحزن الذي اعتري سيدنا رسول الله وهو يأخذ ولده من حجر أمه ، وهو يوجد بنفسه ، فوضعه في حجره وتتحدر دموع النبوة على خديه كحبات اللؤلؤ ثم قال : ((يا إبراهيم ، لولا أنه أمر حق ، ووعد صدق ، وأن آخرنا سيلحق بأولنا ، لحزننا عليك حزناً هو أشد من هذا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ، وتبكي العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب)) .

ثم نظر إلى أمه السيدة مارية التي اعتراها ما يعتري الأمهات عند فقد أولادهن وقال مواسياً لها : ((إن له لمرضعاً في الجنة)) . وأقبل الفضل بن عباس فغسل الصغير وأبوه رسول الله جالس يرنو إليه في حزن بالغ وقطرات النبوة تفيض من عينيه .

وحمل جثمان الطفل إبراهيم من منزل أمه المفجوعة ، وسار وراءه سيد الأمة وعظيمها وخلفه الصحابة الأجلاء بصمت رهيب إلى البقيع ، وصلى عليه القائد الأعلى للأمة ، وأضجعه بيده في قبره ، دفنه إلى جوار عثمان بن مظعون وقال له : «الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون» ، ثم سوى عليه التراب ونداه بالماء .

وما هي إلا لحظات إذا بالشمس تنكسف ويذهب ضوءها ، فنظر الناس بعضهم إلى بعض وصاروا يقولون : إنها انكسفت لموت إبراهيم . وبلغت الكلمة مسمع نبينا (صلوا عليه) فالتفت إلى أصحابه وقال لهم : «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته» .
أيها السادة :

لم تطل حياة السيدة مارية كثيراً ، فبعد وفاة نبينا بخمس سنوات أعني سنة ست عشرة من الهجرة ، وفي زمن سيدنا عمر بن الخطاب توفيت السيدة مارية ، وراح عمر يجمع الناس بنفسه لشهود جنازتها ، وصلى عليها ودفنت بالبقيع .

فمن هي أم المؤمنين الأخيرة ، ما سبب زواجها من سيدنا رسول الله ﷺ ؟

أترك هذا السؤال - أيها السادة - لأجيب عنه في الخطبة القادمة بإذن الله تعالى . وأنتقل بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



أُمّهات المؤمنين / ١٨ /

الحمد لله العلية ذاته ، المجيدة صفاته ، القدیمة أسماؤه وآياته ، الظاهرة أفعاله ، الباهرة أنواره ، المتصرفه أقداره ، فسبحان من لا أرض تحوطه ولا سماء تكتنفه وتحويه .

أحمده حمداً منه بدأ ، وإلى صفة الشكر يعود ، وأثنى عليه ثناء لا يحصى متعلقاً بصفة الشكر غير معدود .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ما لها حدود ، متعلقة بذاته العلية مشتملة على ذرات الوجود .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف من في الوجود .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمّهات المؤمنين وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا ملكنا المقتدر وفي رحمتك يا أرحم الراحمين ، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليماً صلاة وسلاماً ما لهما حدود .

أما بعد : فيا حمة الإسلام وحراس العقيدة قبل أن أنتقل بكم إلى زيارة أم المؤمنين الأخيرة أرى لزماً علي أن أذكر أن

بعض علماء السيرة ذكروا بعض الزوجات اللواتي لم يدخل بهن رسول الله ﷺ وطلقهن ، أو اللواتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ فقبلهن ثم ردهن ، لنكون بذلك قد أتينا على جميع حياة نبينا الشخصية .

فمنهن : السيدة فاطمة بنت الضحاك التي تزوجها رسول الله ﷺ فلما دنا منها قالت : أعوذ بالله منك . فقال لها : لقد عدت بعظيم ، الحقي بأهلك . أي طلقها وعادت إلى أهلها ، وكانت تقول بعد ذلك : أنا الشقية . ماتت سنة ستين للهجرة .

ومنهن : أسماء بنت النعمان الكندية .

التي كاد بها السيدتان عائشة وحفصة قالتا وهما يشيطانها ويخضبانهما : إذا دخل عليك رسول الله ﷺ فاستعيذي بالله منه فإنك تحظين عنده ويرغب فيك (خ : فتح الباري ٩ / ٣٥٦) .

يقول ابن سعد : وإنما خدعاها لما رأيا من جمالها وهيئتها ، وحين طلقها رسول الله (بعد أن قالت له ذلك) ذكر له أن السبب في ذلك عائشة وحفصة فقال رسول الله ﷺ : إنهن صواحب يوسف وكيدهن عظيم .

ومنهن : ليلى بنت الخطيم : وهبت نفسها للنبي وكانت غيورة متسلطة على أزواجها السابقين فاستقالته فأقالها وردّها .

ومنهن : أم هانئ فاختة بنت أبي طالب ابنة عمه ﷺ خطبها في الجاهلية قبل زواجه بخديجة فتزوجت غيره ، فلما أسلمت فرّق الإسلام بينها وبين زوجها ، فخطبها رسول الله ﷺ فقالت : والله إنني كنت أحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام ، ولكنني امرأة مصيبة وأكره أن يؤذوك . فقال رسول الله :

«خير نساء ركن الإبل نساء قريش ، أحناء على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده» (خ : ٥٠٨٢ - م : ٢٥٢٧) .

ومنهن : السیدة أمانة بنت حمزة بن عبد المطلب :
عرضت علیه لیتزوجها فقال : «إنها ابنة أخي حمزة من الرضاعة وإنه
یحرم من الرضاع ما یحرم من النسب» (خ : ٤٢٥١) .
وهناك نساء آخر ذكرت الأخبار أنهن قد تزوجهن رسول الله ولم
یدخل بهن ، أو خطبهن ولم یتم نکاحه معهن ، والأخبار بشأنهن قليلة .
أيها السادة الکرام :

اسمحو لی أن أزور معکم الیوم السیدة الأخيرة ذات الحظ السعید
التي دخلت بیت النبوة فی الحلقة الثانیة والثمانین من سلسلة القضايا
الایمانیة من جامع الدرویشیة ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوکم جمیعاً لترفعوا
شعار التوحید :

لا إله إلا الله سیدنا محمد رسول الله

أيها الإخوة :

أم المؤمنین الأخيرة هی السیدة میمونة بنت الحارث بن حزن من بني
هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية .
وأما هند بنت عوف التي ذکر أنها أكرم عجزوز فی الأرض أصهاراً .
فقد زفت ابنتها السیدة زینب بنت خزیمة إلى رسول الله ﷺ وماتت
فی حیاته .

ثم زفت ابنتها الثانیة : أم الفضل لبابة الکبری بنت الحارث إلى
العباس بن عبد المطلب .

ثم زفت ابنتها لبابة الصغری إلى الولید بن المغيرة .
ثم زفت ابنتها أسماء بنت عمیس إلى سیدنا جعفر بن أبي طالب
فلما مات عنها زفت إلى سیدنا أبي بكر الصدیق ، فلما مات عنها تزوجها
علي بن أبي طالب .

ثم زفت ابنتها سلمى بنت عميس إلى سيدنا حمزة بن عبد المطلب .
وها هي اليوم تزف ابنتها الأخيرة ميمونة بنت الحارث إلى سيدنا
رسول الله .

فمن هو أكرم من هذه العجوز؟ قولوا رضي الله عنها .
أيها الإخوة :

كانت السيدة ميمونة متزوجة في الجاهلية من مسعود بن عمرو
الثقفي ثم فارقتها ، فتزوجت أبا رهم بن عبد العزى من بني عامر بن لؤي
فتوفي عنها .

وكانت رضي الله عنها قد أسلمت وبايعت سيدنا رسول الله ﷺ قبل
هجرته ، إلا أنها لم تهاجر ، وظلت في مكة حتى كان عام القصاص أو عمرة
القضاء بعد عام الحديبية .

وها هو سيدنا رسول الله يدخل مكة المكرمة في السنة السابعة من
الهجرة لأداء العمرة مع ألفين ممن شهد الصلح العام السابق ومن انضم
إليهم ، ها هم يدخلون مكة محرمين بالعمرة ترتفع أصواتهم ملين :
لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك
والملك . لا شريك لك .

فتجاوبت أرجاء مكة بالهتاف المؤمن ، ومادت الأرض تحت أقدام
المشركين الذين ضربوا خيامهم خارج البلد الحرام ، وتسامعت قريش هذا
النداء الخالد حين بلغ الصحابة الحرم المكي ، فخرجوا من الحرم وصعدوا إلى
التلال ورؤوس الجبال المجاورة للحرم ، وراحوا ينظرون بأم أعينهم إلى المؤمنين
الصادقين وهم يسيرون خلف سيد المرسلين يحيط به كبار الصحابة الكرام ،
يتجهون نحو الكعبة لا يصددهم أحد عنها ، وهم ينشدون نشيد التلبية :
لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك
والملك لا شريك لك

وانظروا - معشر السادة - إلى هذا الطرب الذي أصاب صحابة النبي ﷺ ، وهم يسرون فرحين آمنين ينفذون مشيئة مولانا عز وجل :
 ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ .

إنك - يا أخي المسلم - لتقدر هذا المشهد العظيم حين تسمع وأرجاء الحرم المكي المباركة تهتز بهذا النداء ، وارفـع رأسك عالياً لترى على التلال أشد الكافرين صلابـة وعناداً وعبدة الأصنام ، انظروا إليهم -أيها الإخوة- كيف انجذبوا إلى الإسلام وسكتوا وخشعوا وخشعت قلوبهم إلى الإسلام إلى نداء التوحيد وهو يدوي ينبعث من القلوب المؤمنة :
 لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، لا شريك لك .

كان هذا النداء يخترق الأذان ويصل إلى شغاف قلوبهم فيهبها هزاً ، وأمام هذا المنظر الأخاذ ارتعش قلب سيدة من أكرم سيدات مكة ، وهي برة بنت الحارث ، وكانت أرملة فتقدمت برة إلى أختها أم الفضل لبابة الكبرى زوج جدي العباس رضي الله عنهما ، وحدثتها بما يهفو إليه قلبها ، قالت لأختها : هل تحدثين زوجك العباس ليحدث رسول الله أنني أرغب بالزواج به ، وأنتي وكلت العباس لعقد العقد .

وحدث العباس سيد الكائنات عن رغبة السيدة برة بزواجها منه ، فقبل رسول الله ﷺ ، وعقد عليها وغير اسمها إلى ميمونة ، لكن المهلة التي أعطتها قريش للعمرة كانت ثلاثة أيام ، فأرسلت قريش من قال للنبي ﷺ إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا . فقال ﷺ : وما عليكم لو تركتموني

فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه . فقالوا : لا حاجة لنا في طعامك ، فأخرج عنا

أيها الإخوة : وخرج رسول الله ﷺ ، ووكل أبا رافع مولاه لإحضار السيدة ميمونة إلى منطقة سرف خارج مكة ، فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك ، وفي ذلك يروي الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : «أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم ، وبنى بها وهو حلال» . أي بعد تحلله من العمرة ، وكان عمرها ستاً وعشرين سنة ، وأصدقها أربعمئة درهم :

وهكذا -معشر السادة- تخلف أختها السيدة زينب بنت خزيمة ، وكانت من السيدات المتعبدات الزاهدات ، شهد لها رسول الله ﷺ بالإيمان فقال : «الأخوات مؤمنات : ميمونة وأم الفضل وأسماء» . أي بنت عميس .

أيها الإخوة :

وتروي لنا كتب السيرة الصفات التي تميزت بها شخصية هذه السيدة عن أمهات المؤمنين ، وأهم هذه الصفات القرار الذي اتخذته في نفسها بأن :
١- تتزوج سيدنا رسول الله ﷺ أو تهب نفسها له حتى إذا انتقل إلى الرفيق الأعلى اتخذت قراراً آخر .

٢- ألا تتمتع بلحظة من لحظات الرضا بجمالها ، فقد لجأت إلى أن تحلق رأسها في مسلك فريد لم يُعرف إلا عن قلائل من كريمات العرب ، وكأنها فرضت على نفسها الحداد على رسول الله ﷺ مدى حياتها ، وهو لا شك قرار قاس . يقول ابن أختها يزيد بن الأصم :

(رأيت أم المؤمنين ميمونة تحلق رأسها بعد رسول الله ﷺ وظلت كذلك حتى ماتت وهي محلقة الرأس) .

٣- ولو أننا تتبعنا سمات هذه السيدة الكريمة لأعجبنا فعلها حينما أبصرت حبة رمان على الأرض فأخذتها وقالت : إن الله لا يحب الفساد .

٤- بل نراها شديدة التمسك بسنة رسول الله في استعمال السواك وجعله منقوعاً في الماء إن شغلها عمل أو صلاة ، وإلا أخذته واستاكت به .

٥- وما يدلنا على شخصيتها الصارمة القوية وحزم رأيها السديد ما روي أن : أحد أقربائها دخل عليها فوجدت منه ريح شراب ، فقالت : لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك ، أو قالت : يطهروك - لا تدخل علي بيتي أبداً) .

أيها الإخوة الكرام :

عاشت هذه السيدة الكريمة حتى بلغت الثمانين من عمرها تروي أحاديث زوجها سيدنا محمد رسول الله ﷺ وقد ذكر لها ستاً وسبعين حديثاً رواها عنها ابن أختها جدي عبد الله بن العباس ، وابن أختها يزيد بن الأصم وجماعة التابعين .

وفي سنة غادرت أم المؤمنين ميمونة المدينة لحج بيت الله الحرام رغم سنها الكبير ، وهناك في مكة أحست بدنو أجلها ، فأوصت ابن أختها عبد الله بن العباس أن يدفنها في أعز مكان عندها ، في المكان الذي شهد لقاءها برسول الله في سرف (ابن سعد- ابن حجر في الفتح : كتاب النكاح) .

وكانت فراستها صادقة إذ توفيت ، فشيّعها المسلمون إلى حيث أوصت ، وحين بلغ نبأ وفاتها السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : أما إنها كانت -والله- من أتقانا لله وأوصلنا للرحم .

إخوة الإيمان :

هذه هي آخر الأنبياء عن أمهات المؤمنين ، فلم يتزوج رسول الله ﷺ بعدهن أحد ، لأن مولانا عز وجل أنزل عليه قوله :

﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك ﴾ . ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ، ونسخ

حكم هذه الآية ، وأباح له التزوج لأن السيدة عائشة رضي الله عنها تقول :
أحمد - ت - ن) (ما مات رسول الله حتى أحل الله له النساء) .

ولكن لم يقع منه بعد ذلك أن تزوج لتكون المنة لسيدنا رسول الله
عليهن وخاصة أن الله أنزل في أواخر السنة الثامنة تحديد عدد الزوجات
بأربع للمسلمين فربما ترك رسول الله التزوج جبراً لخاطر المسلمين ، (ت - ن -
أحمد - ابن حجر في التفسير ٤٧٨٩) .

وبعد معشر السادة :

هذه لمحات عن أمهات المؤمنين زوجات سيدنا رسول الله الطاهرات
اللواتي أكرمهن الله بصحبة رسوله في الدنيا والآخرة ، وظهر لنا في تزوجه
عليه الصلاة والسلام بكل واحدة منهن الدليل الساطع على نبيل رسول الله
وشهامته وسمو غرضه وجميل إحسانه ، خلافاً لما يقول الأفاكون الدساسون ،
فلو كان للهوى سلطان على قلب النبي لتزوج في حال الشباب ولتزوج
بالأبكار ، ولكنه الحقد الأسود الذي ملأ قلوب أولئك المستشرقين الغربيين
فأعماها عن رؤية ضياء الحق الساطع ، وصدق الله العظيم :

﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما
تصفون ﴾ .

فكيف كانت أخلاقه ﷺ مع صحابته ومع أهله ، وعشيرته ، ومع
جيرانه ، أدعوكم لنشهد معاً الإنسان الكامل ونتعرف على صفاته على هذا
المنبر الشريف في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى . وأعود بكم من هناك إلى
هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله
تعالى .

سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مُحِبُّنَهُ وَاتِّبَاعُهُ

- ٨٣ -

الحمد لله الذي فتح أقفال هذا العالم بمفتاح ظهور سيد السادات ،
وجعل أمته وسطا وفضلها على سائر الأمم في العبادات .

فسبحان من فضل بعض النبيين على بعض ، ورفع بعضهم فوق
بعض درجات ، فأعطى آدم الصفوة ، وإبراهيم الخُلَّةَ ، وموسى تسع آيات
بينات ، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات ، واتخذ
سيدنا محمداً حبيباً وشفيعاً ورفعته إلى ما فوق سبع سموات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله تنزه عن الوزير
والنظير والمشير في سائر الحالات .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أزاح بنور وجوده ظلم
الجهالات .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين
لم تأخذهم لومة لائم في سائر الأوقات ، وسلم تسليماً .
أما بعد :

فيارب أعني ولا تعن علي ، وانصرني ولا تنصر علي ، وامكر لي ولا تمكر
علي ، واهدني ويسر لي الهدى وانصرني على من بغى علي ، رب اجعلني لك
ذكراً ، لك شكاراً ، لك رهاباً ، مطواعاً لك ، محبباً إليك ، أو اهاً منيباً .

أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه .

أعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده .

اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحاً ، وأوسطه نجاحاً ، وآخره فلاحاً
يا أرحم الراحمين .

يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى
أنفسنا طرفة عين .

أيها السادة :

قبل أن أبدأ حلقة اليوم أريد أن أرفع التحية ، تحية إكبار وتوقير وتعظيم
للقائد الأعلى للأمة الإسلامية سيدنا محمد ﷺ بمناسبة ذكرى الإسراء
والمعراج فقولوا الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ، الصلاة والسلام عليك
يا حبيب الله .

سريت من حرم ليلاً إلى حرم	كما سرى البدر في داج من الظلم
وبت ترقى إلى أن نلت منزلة	من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
وقدّمك جميع الأنبياء بها	والرسل تقديم مخدم على خدم
وأنت تخترق السبع الطباق بهم	في موكب كنت فيه صاحب العلم
صلى وراءك منهم كل ذي خطر	ومن يفرز بحبيب الله ياتمم
يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به	سواك عند حدوث الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك لي	إذا الكريم تجلّى باسم منتقم
يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا	واغفر لنا ماضى يا واسع الكرم
أيها الإخوة :	

مازلت في حديثي معكم مع أشرف خلق الله وأفضلهم على
الإطلاق ، الذي جمع من الفضائل والمكارم ما لم يجمعه نبي مرسل ، وهو
النبي الخاتم لجميع الأنبياء ، ولهذا أوجب الله على المؤمنين تجاه هذا النبي
واجبين : الواجب الأول : اتباعه ﷺ . والواجب الثاني : محبته ﷺ
كان هذا هو الموجز ، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الثالثة

والثمانين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا عالياً شعار التوحيد :

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

وخير ما نستهل به حلقتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب الله تعالى على موجات الذكر الحكيم :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ /التوبة : ٢٤ .

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ .

إخوة الإيمان :

لا ريب أن محبة النبي من أفضل القربات إلى الله بعد الإيمان به ، ولا ريب أن أسباب المحبة ترجع إلى أنواع الكمالات التي أفرغها الله على نبيه الكريم ، فإذا كنا -معشر الخلق- نحب الرجل لكرمه أو لشجاعته أو لحلمه أو لعلمه أو لتواضعه أو لتعبده وتقواه ، أولزهد وورعه ، أو لكمال عقله أو وفور فهمه ، أو جمال أدبه أو حسن خلقه أو فصاحة لسانه أو حسن معاشرته ، أو كثرة بره وخيره ، أولشفقته ورحمته . وهكذا لبقية صفات الكمال الإنساني ، إذا كنا نحب الرجل لإحدى هذه الصفات فكيف بنا إذا اجتمعت هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والجمال في رجل واحد هو : سيدنا محمد ﷺ الذي طوى الله فيه جميع المحاسن ، حتى إن من يراه يقول : لم يُر قبله ولا بعده مثله :

يا من له الأخلاق ما تهوى العلى منها وما يتعشق الكبراء

زانتك بالخلق العظيم شمائل	يغرى بهن ويولع الكرماء
المصلحون أصابع جمعت يداً	هي أنت بل أنت اليد البيضاء
فإذا رحمت فأنت أم أو أب	هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا خطبت فللمنابر هزة	تعرو الندي وللقلوب بكاء
فإذا سخوت بلغت بالجود المدى	وفعلت ما لم تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادراً ومقدراً	لا يستهين بعفوك الجهلاء
الحرب في حق لديك شريعة	ومن السموم الناقعات دواء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة	للحق لا ضغن ولا شحناء
يا من له عز الشفاعة وحده	وهو المنزه ما له شفعاء
عرش القيامة أنت تحت لوائه	والخوض أنت حياله السقاء
لو أن إنساناً تخير ملة	ما اختار إلا دينك الفقراء

ولذلك كان من الواجب علينا في آخر حلقة نتحدث فيها عن نبينا أن نتعرف إلى جماله وكماله ومحاسنه الخلقية وكمالاته النفسية والروحية والقلبية والعلمية .

فعلينا ونحن نتناول طرفاً من هذه المعرفة أن ندرك أن ذلك مما يزيدنا محبة لسيدنا محمد ﷺ ، ولكي نزداد اتباعاً له واقتداء به يجب علينا البحث عن أعماله وأقواله وأحواله ، والتعرف إلى سجاياه الكريمة ، وأخلاقه العظيمة ليكون اتباعنا له كاملاً شاملاً ، لأن عادات السادات - كما يقولون - سادات العادات فيكف بعادات سيد السادات قولوا عليه أفضل الصلوات .

معشر الإخوة : وقبل أن ألج معكم السراقات إلى حبيب الله أدعوكم جميعاً لتسمعوا معي درر كلماته ولآلى ألفاظه .

أيها السادة : رسول الله يتحدث إليكم فأصغوا إلي بأسماع أفهامكم ، أعيروني أذاناً صاغية وقلوباً واعية وارفعوا تحيتكم إلى سيدنا محمد وقولوا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

رسول الله يقول ناصحاً لنا : « كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر

سبیل» خ- (ت) .

«تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن الصبر على ما تكره خير كثير ، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا» . (أحمد- حسن) .

«بادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً ، أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرمًا مفنداً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» . ت (حسن) .

«صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر» . طب (حسن) .
«اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن» (ت حسن) .

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (ق) (خ : ١٥) .

«دَبَّ إِلَيْكُم دَاءُ الْأُمِّ قَبْلَكُمْ : الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ ، لَا حَالِقَةَ الشَّعْرِ وَلَكِنْ حَالِقَةُ الدِّينِ ، وَالَّذِي نَفْسٌ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ : لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (ت حسن) .

وهكذا -أيها السادة- :

رأينا كيف أعطى الله نبينا الفصاحة والبلاغة ، وكيف بلغ من أرجحية العقل وكماله الغاية القصوى ، وكيف لا يكون عقله فوق كل العقول وقد أنعم الله عليه وأكرمه فخصه بالنبوة الجامعة والخاتمة والرسالة العامة ، ونزول القرآن الجامع للعلوم كلها فإن هذه النعم لا يتحملها إلا من خصه الله تعالى بأكمل العقول وأرجحها وكفى بقول مولانا : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ ن : ٤ / يقول وهب بن منبه التابعي الثقة : (قرأت في أحد وسبعين كتاباً ، (أي من الكتب السابقة فوجدت في جميعها : أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من

بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقل محمد إلا كحبة رمل من جميع رمال الدنيا ، وأن محمداً أرجح الناس عقلاً ، وأفضلهم رأياً) .
والعقل الراجح -أيها السادة- هو الأصل الذي تنشأ عنه الخصال الحميدة والمواهب الرشيدة ، وبه تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل .
إننا معشر السادة مع سيدنا رسول الله الذي كان يقول عن نفسه (م : ٢٣٥٥) : «أنا محمد وأحمد والمقفي (آخر الأنبياء وخاتمهم) والحاشرون نبي التوبة ونبي الرحمة» .

تعالوا أيها الأخوة لنشاهد بعين اليقين والحب سيدنا محمداً ﷺ ، ها هو مطلق الوجد يتسم ، واسمعوا معي إلى هذا التصريح الذي صرح به الناطق بالإيماني على لسان أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها تقول :
(كان رسول الله ألين الناس ، بساماً ضحاكاً ، لم يرقط ماداً رجله بين أصحابه) (ض) .

وإليكم الوصية الأولى التي أوصانا بها هذا النبي الكريم يقول لنا (م) :
«إن الله أوحى إلي : أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا ينبغي أحد على أحد» (صحيح) .
وقال : «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر» (ق) .
وقال : «خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه» . (هـ- ض) .

إننا مع هذا النبي الذي وصفه مولانا بقوله :
«وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» / (الأنبياء : ١٠٧) .
فظهرت رحمته ﷺ بكل من حوله من إنس وجن وحيوان وجماد ، وهو الذي قال عن ذاته ﷺ «أنا رحمة مهداة» (ابن عساكر وهو صحيح) .
قبل مرة الحسن والحسين ابني علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي ، فقال الأقرع :
أتقبلون صبيانكم ، إن لي عشرة ما قبلت منهم أحداً قط . فنظر إليه

رسول الله ﷺ ثم قال : «وأملك أن نزع الله الرحمة من قلبك من لا يرحم لا يرحم» (ق) . . أو كما قال .

يقول أبو مسعود البصري (م - د - ت) : إنني لأضرب غلاماً لي (عبداً له بسبب ذنب أذنبه) إذ سمعت صوتاً من خلفي يقول : اعلم أبا مسعود . قال : فجعلت لا ألتفت إليه من الغضب حتى غشيني ، فإذا هو رسول الله . قال أبو مسعود : فلما رأيته ﷺ وقع السوط من يدي من هيئته فقال لي : والله ، لله أقدر عليك منك على هذا . فقلت : يا رسول الله لا أضرب غلاماً لي بعدها أبداً . ثم قال : هو حر لوجه الله . فقال ﷺ أما لو لم تفعل للفحتك النار .

ولقد بلغ من شدة رحمته وحلمه وصبره ما روي أن أعرابياً قدم إليه فجبذه بردائه جبذة شديدة فحمر رقبتة وقال : احملني على بعيري هذين حملهما طعماً) من مال الله الذي عندك فإنك لا تحملني من مالك ولا من مال أبيك . فقال : لا وأستغفر الله (أي لا أحملك من مالي ولا من مال أبي) (د) . وفي رواية : (هب) : لا أحملك حتى تقيدني من جذبتك التي جذبتني . فقال الأعرابي : والله لا أقيدكها . فقال النبي ﷺ ولم . فقال الأعرابي : لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة .

فسامحه رسول الله فكان هذا من شدة رحمته به حلمه وعفوه ، وكلنا يعلم أنه يوم أحد كسرت رباعيته (أحد أسنانه) وجرح في شفته السفلى وشج في جبهته الشريفة حتى سال منه الدم ، فجعل ينشفه لثلاً ينزل على الأرض ويقول : لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء . فشق ذلك على الصحابة وحزنوا حزناً شديداً فقالوا : لو دعوت عليهم . فقال ﷺ إنما لم أبعث لعناً ، ولكن بعثت داعياً ورحمة ، اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

قام بين يديه رجل فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له النبي ﷺ هون عليك فأنا لست بملك ولا جبار ، وإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة (هـ ٢ / ١١٠١ - ٣٣١٢) .

لهذه الرحمة -أيها السادة- أحب الصحابة نبينا ﷺ حباً عظيماً
ففضلوه على الآباء والأمهات والأولاد والزوجات . سئل سيدنا علي كيف
كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ فقال :

(كان رسول الله ﷺ أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وأبائنا وأمهاتنا .
وأحب إلينا من الماء البارد على الظمأ) .

مر أمامه سيدنا ثوبان وقد نحل جسمه واصفر وجهه ، قال يا ثوبان
مالي أراك مصفراً قد أصابك ما أصابك؟

قال له : يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي ، وإني لأذكرك فما
أصبر حتى أجيء إليك ، فيطمئن قلبي وتقر عيني ، وإني ذكرت موتي وموتك
فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لأراك لأنك في مقام
لا يصل إليه أحد (هذا الذي أنحل جسم ثوبان حب رسول الله) .

فمن الذي أجاب عن هذه القضية الإيمانية ، إن الذي أجاب عنها الله
رب العالمين أرسل أمين وحي السماء وسفير الأنبياء فنزل على حبيبه سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : ﴿ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ / النساء : ٦٩ / فالمرء مع من أحب (خ :
٦١٦٩) .

فقرت عين ثوبان وأرجو الله أن يقر أعيننا .
فما هي النصيحة الأخيرة؟ أدعكم أولاً لتصلوا على الحبيب الأعظم .
قال أبو هريرة : يا رسول الله إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني
فأنبئني عن أمر إذا عملته دخلت الجنة .

فقال صلى الله عليه وسلم : أفش السلام ، وأطعم الطعام ، وصل
الأرحام وقم بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام (خ : الأدب المفرد) .
هنا مدرسة التوحيد من مدرسة سيدنا محمد ، الجالس فيها عليه أن
يؤخذ الله تعالى .

الحقیقة فی وفاة سیدنا رسول الله
سیدنا محمد ﷺ
- ٨٤ -

الحمد لله المنفرد بالبقاء الذي حكم على جميع خلقه بالانتقال عن دار الشقاء . أحمده سبحانه وتعالى وأشكره في السراء والضراء .

أحمدك يا من ذلت بالموت رقاب الجبابرة ، ويا من أنهيت بالموت آمال القياصرة ، فنقلتهم بعظمة الموت من القصور إلى القبور ، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحد ، ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان .
سبحانك سبحانك كل شيء هالك إلا وجهك ، كل باك فسيبكي ، وكل ناعٍ فسینعی ، وكل مذكور سينسى ، وكل مذكور سيفنى ، ليس غير الله يبقى من علا فالله أعلى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا تأخذه سنة ولا نوم ولا فناء .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أدى الرسالة ، وبلغ الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد الله حتى لبي داعيه وأنزل عليه مولانا : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ فإننا لله وإنا إليه راجعون .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يا مليكنا المقتدر ، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين ، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

وقفت معكم طيلة حلقات ممتدة من الحلقة الخامسة والخمسين إلى

الحلقة الثالثة والثمانين في روضة الحبيب الأعظم ، أقطف معكم الأزهار والرياحين التوحيدية ، نتنسم عيبرها ممتزجاً بعبير الحبيب الأعظم ، بقينا مع رسول الله نحاوره ويحاورنا ، ويحدثنا عن ذاته الشريفة ، كنا معه نحيا بذكره ونتخلق بأخلاقه ونزداد محبة له واتباعاً .

أقف اليوم معكم وقفة العقيدة والدين مع الحلقة الرابعة والثمانين في سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لترفعوا شعار التوحيد .

لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله

قضية اليوم تقول : إن لكل بداية نهاية ، ولو كانت بدايتك نزولك إلى هذه الحياة الدنيا فلا بد أن تعلم علم اليقين أن نهايتك عند الله عز وجل . ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾ / الانشقاق : ٦ / ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾ ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾ / السجدة : ١١ / . ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ .

أيها السادة : عاش رسول الله حياته في مكة يدعو إلى الله تعالى مدة ثلاث عشرة سنة ، فلما انتقل إلى المدينة المنورة بنى في السنة الأولى مسجد قباء ومسجد المدينة المنورة مقر القيادة العامة الإسلامية ، ومن المسجد انطلقت الغزوات والسرايا .

ففي السنة الثانية غزا سبع غزوات وبعث السرايا ، فكانت غزوة بدر الكبرى وفرضت الزكاة والصيام ، وصلاة العيد ، وحولت القبلة ، وتزوج رسول الله بالسيدة عائشة رضي الله عنها .

وفي السنة الثالثة غزا سبع غزوات منها غزوة أحد ، وبني النضير ،
وبني قينقاع ، وتزوج السيدة حفصة وزينب بنت خزيمة .
وفي السنة الرابعة غزا ست غزوات ، وتزوج بأم سلمة .
وفي السنة الخامسة غزا ثلاث غزوات ، وتزوج زينب بنت جحش
وبجويرية بنت الحارث .

وفي السنة السادسة غزا غزوتين وبعث السرايا ، وكانت فيها بيعة
الرضوان ، وكاتب ملوك الأرض .

وفي السنة السابعة : كانت فيها عمرة القضاء وغزوة خيبر وتزوج
بصفية بنت حيي وميمونة بنت الحارث .

وفي السنة الثامنة غزا ست غزوات ، وولد سيدنا إبراهيم ، وتوفيت
زينب أكبر بناته ، وعمل المنبر لرسول الله ، وحن الجذع إليه ، وفيها تحدد عدد
الزوجات بأربع .

وفي السنة التاسعة : بعث أربع سرية وغزا تبوك ، ووفدت إليه وفود
العرب من أنحاء الجزيرة العربية .

وفي السنة العاشرة : بعث أصحابه إلى اليمن قضاة وأمراء ، وتوفي من
أولاده إبراهيم وأم كلثوم ، وتوفي النجاشي أيضاً ، وحج رسول الله حجة الوداع .
وها هو في بداية السنة الحادية عشرة قد بلغ الثالثة والستين ، وقد عاد
من حجة الوداع مصحوباً بالعافية مع ألف الصحابة ، وقد طابت نفسه
لرسوخ الإسلام في الجزيرة العربية ، لكنه عاد ليجد أن بعض الذين فتنهم
الله ادعوا النبوة منهم : طليحة حقيр بني أسد ، ومسيلمة الكذاب ، والأسود
العنسي من اليمن ، وأراد كل منهم أن يقتسم أراضي الدولة الإسلامية في
الجزيرة العربية مع سيدنا رسول الله ، فقد بعث مسيلمة رسوله ليقول لنبينا
العظيم : إنه نبي مثله وإن له نصف الأرض ولقریش نصف الأرض ، فلما قرأ
النبي هذا الكتاب التفت إلى رسولي مسيلمة الكذاب وقال : «لولا أن الرسل
لا تقتل لأمرت بقتلكما» ، وأعطاهما جواباً لمسيلمة الكذاب كتب فيه :

«من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين والسلام على من اتبع الهدى» .
أيها السادة : لم يهتم النبي لأمر الكذابين كثيراً لأن اهتمامه الأكبر كان تثبيت دعائم الدولة في الشمال ضد الروم ، ولأجل ذلك جهز جيشاً بقيادة أسامة بن زيد ، وجعله قائداً على المهاجرين والأنصار ، فعسكر بمنطقة الجرف بجوار المدينة حين وصل إليه نبأ أقلقهم وهو مرض سيدنا رسول الله ، فتوقف حتى تطمئن نفوس الصحابة إلى ما يكون من أمر الله في نبيه ورسوله ﷺ ، وخاصة أن رسول الله لمح في أكثر من مكان بانتهاء أجله ، فقد وقف في عرفة في حجة الوداع يودع الناس ويلمح بالرحيل ، فقال : «إني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً» (م) .
وقال عند جمره العقبة : «لتأخذوا عني مناسككم فإنني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» (م) .

وفي غدير خم في أثناء عودته إلى المدينة قال : «أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم ثقلين : كتاب الله وعترتي» (صحيح) .

وفي صحيح مسلم : «والذي نفس محمد في يده ليأتين علي أحدكم يوم ولا يراني ، ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم» .
وعند الإمام أحمد ٣ / ١٠٤ : «أتزعمون أنني من آخركم وفاة ، ألا وإني من أولكم وفاة» (حب ٨ / ٢٢٣) .

وأُنزل الله عليه أخيراً مع جبريل قوله : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ...﴾ ، فقال : «يا جبريل ، لقد نعت إلي نفسي» .
فقال جبريل : ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ / الضحى : ٤ / (خ ٤٩٧٠ - ٤٩٦٩ - ٤٩٦٨) .

وراح رسول الله يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار فكان يعد عليه الاستغفار في المجلس الواحد سبعين أو مئة مرة .

وبقي بعد حجة الوداع واحداً وثمانين يوماً فإذا بليلة يقول لمولاه أبي مويهبة : «إني أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي» ، فلما وقف على المقابر خاطب أهلها فقال : «السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنئ لكم ما أنتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى» ، واستغفر لأهل البقيع ثم عاد مع مولاه فقال له : «يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلود فيها ، ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي عز وجل» . قال أبو مويهبة : بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة .

فقال رسول الله : «لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة» فتح الباري عند حديث (٤٤٣٧) .

أيها السادة : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأشهد معكم الحبيب الأعظم وسيد الكائنات وقائد السادات وخير من مشى على وجه الأرض والسموات ، أنتقل بكم إلى قدوتنا من الأزل إلى الأبد ، لأشهد معكم وداع رسول الله لأصحابه الكرام ، فقد نادى بلال المسلمين للاجتماع في المسجد : الصلاة جامعة . فاجتمع المهاجرون والأنصار فصلى بهم رسول الله ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم خطب خطبة وجلت منها القلوب ، وبكت منها العيون ثم قال :

«يا أيها الناس : أي نبي كنت لكم؟» .

قالوا : جزاك الله من نبي خيراً فلقد كنت لنا كالأب الرحيم وكالأخ الناصح المشفق ، أديت رسالات الله ، وأبلغتنا وحيه ، دعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، فجزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته .

فقال لهم : «ألا فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد (ليقتص) ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد ، ولا يقولن قائل أخاف الشحناء (العداوة) من قبل رسول الله ، ألا وإن الشحناء ليست من شأني ولا من خلقي وإن أحبكم إلي من أخذ حقاً إن كان له علي ، أو حللني فلقيت الله عز وجل وليس لأحد علي عندي مظلمة» .

ألا فلتشهد الدنيا وحكام العالم إلى أي حد وصل عدل الحاكم مع المحكوم وإلى أي حد بلغت المساواة .

ثم مرض رسول الله من يومه ثمانية عشر يوماً يعوده الناس ، وكان في مرضه يحمل في ثوب فيطاف به على نسائه ، يقسم بينهن ، [ودخل مرة على عائشة فوجدها تشكو صداً في رأسها وهي تقول : وأرأساه . فقال لها : «بل أنا والله يا عائشة وأرأساه»] (خ : ٧٢١٧) . وكان الألم في أول الأمر يتردد عليه ويعاوده مرة بعد مرة ، حتى رأى في نفسه أنه بحاجة إلى التمريض ، فكان يقول : «أين أنا غداً ، أين أنا غداً» حرصاً على بيت عائشة (م : ٢٤٤٣) ، ففهم أزواجه مراده فأذن له أن يكون حيث شاء وقلن : يا رسول الله قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة . فخرج رسول الله يمشي بين رجلين من أهله أحدهما العباس والآخر علي ، عاصباً رأسه تخط رجلاه في الأرض ، حتى دخل بيت عائشة فمكث الأسبوع الأخير من حياته عندها ، فكانت تقرأ بالمعوذات وتنثف على رسول الله بهن وتمسح بيده رجاء بركتها (خ) .

(خ) وكان وهو يصلي بأصحابه يسمع همساً عن أسامة وإمارته للجيش ، وأنه أمر شاباً عمره عشرون سنة ، ف شعر بضرورة التحدث إلى الناس فأمر أزواجه بإحضار سبع قرب من أبار شتى لكي يغتسل بها ، فأقعده في منخضب وصبوا عليه الماء من شدة الحمى التي كانت تعتريه وكان يقول :

«إنا كذلك معشر الأنبياء يضاعف علينا الوجع ليضاعف لنا الأجر» (خ) .
فلما غسلوه بالقرب السبعة قال : «حسبكم حسبكم» ، ولبس ثيابه وعصب
رأسه ، وخرج فخطب الناس بعد حمد الله وأثنى عليه ثم قال : («أيها الناس
انفذوا بعث أسامة فلمعري لئن قلت في إمارته لقد قلت في إمارة أبيه من
قبله ، وإنه لخليق للإمارة وإن كان أبوه لخليقاً لها .») (م : ٢٤٢٦) ثم قال :

ق (م : ٢٢٩٦) («إني بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن
موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه من مقامي هذا ، وإنني أعطيت مفاتيح
خزائن الأرض ، وإني لا أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكنني أخشى
عليكم الدنيا أن تنافسوها كما تنافسوا فيها (أي من قبلكم) فتهلككم كما
أهلكتهم») ، وأوصاهم أن يخرجوا المشركين من الجزيرة ثم قال :

«إن عبداً من عباد الله خيرٌ الله بين الدنيا والآخرة وبين ما عنده
فاختار ما عند الله» ، وسكت الناس إلا الصديق لم يستطع لركة قلبه وعظيم
حبه وصداقته للنبي أن يمسك عن البكاء ، وقال : بل نحن نفدك بأنفسنا
وأبنائنا ، فعجب الصحابة ، وقالوا : «ما يبكي أبا بكر؟» يقول أبو سعيد
الخدري : فكان رسول الله هو العبد وكان أبو بكر أعلمنا . وهنا أسكت النبي
الصديق وقال : «على رسلك يا أبا بكر (لا تبك) إن من أمن الناس علي في
صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر
خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ومودته حتى يجمع الله بيننا عنده ، لا يبقين
في المسجد باب إلا سددهم إلا باب أبي بكر» . ثم أوصى رسول الله
بالمهاجرين والأنصار خيراً وعاد إلى بيته (ق) .

(خ) وبدأت وطأة الحمى تشتد على رسول الله ، حتى كانوا يجدون
حرارتها من فوق ثيابه ، فقال : «مروا أبا بكر أن يصلي بالناس» . وحاولت
السيدة عائشة أن تجعل الفاروق يصلي ، لكن رسول الله أصر قائلاً : «مروا أبا

بكر يصلي بالناس» ، فصلى الصديق سبع عشرة صلاة . وكانت ابنته السيدة فاطمة تعود يومياً ، فكانت إذا دخلت عليه أسرعته إليه فقبلته ، وكان يجلسها بجواره ويسرُّ إليها بالحديث ، وأنها أول أهله لحوقاً به ، فلما اشتدت به الحمى ورأته يعاني شدة المرض قالت : واكرب أبتاه . فقال لها : لا كرب على أبيك بعد اليوم . وفي رواية قال لها : «يا فاطمة أخبرني جبريل أنه ليست امرأة من نساء المسلمين أعظم مصاباً منك بي بعدي ، فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبراً ، فاصبري يا بنتي واحتسبي عند الله أجرك ، تكوني أول الناس لحوقاً بي» . فقالت السيدة فاطمة : احتسبتك عند الله يا رسول الله ، احتسبتك عند الله ، وصار الناس يزورون الحبيب الأعظم ، وهو يوصيهم ويدعو لهم ، ويقول لهم : «أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم وأستخلفه عليكم ، إني لكم منه نذير مبين ، أن لا تعلو على الله في عباده وبلاده ، فإن الله قال لي ولكم ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ / القصص : ٨٣ ، وكان يوصيهم بالصلاة ويقول : «الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم» .

وفي صباح يوم من أيام مرضه في أثناء صلاة المسلمين للفجر وجد رسول الله خفه فدخل معتمداً على علي والفضل ، وكان يصلي بالناس الصديق ، فلما رآه المسلمون فرحوا فرحاً شديداً فصاروا يحمدون الله تعالى بصوت مرتفع ، وأحسَّ الصديق بأن هذا الحمد لخروج رسول الله ، فراجع إلى الخلف ليفتح الطريق لرسول الله ليتابع الصلاة بالناس ، فدفعه رسول الله في ظهره قائلاً : «صل بالناس» ، ثم جلس إلى جنبه قاعداً مقتدياً بالصديق ، فلما فرغ من الصلاة خطب الناس : «أيها الناس سعرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإني والله ما تَمَسُّكُون عليّ بشيء ، وإني والله لم أحلّ إلا ما أحلَّ القرآن ، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن ، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم هل خُلدَ نبي قبلي فيما بعث إليه فأُخِلدَ فيكم ، ألا وإنني لاحق بربي عز وجل ألا وإنكم لاحقون بي فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصي المهاجرين فيما بينهم خيراً ، فإن الله يقول : ﴿والعصر ، إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ .

إن الأمور تجري بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله ، إن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ، ومن غَالَبَ الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ / محمد : ٢٢ / .

أيها الناس : إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فإذا بر الناس برهم أثمتهم ، وإذا فجروا عقَّهم أثمتهم .

وراح رسول الله يدعو لأصحابه قائلاً : «حيّاكم الله بالسلام ، رحمكم الله ، جبركم الله ، رزقكم الله ، نصركم الله ، أواكم الله ، أوصيكم بتقوى الله ، أستخلفه عليكم أحذركم الله ، إني لكم نذير مبين» . فقال علي : يا رسول الله إذا أنت قبضت فمن يغسلك ، وفيم نكفئك ، ومن يصلي عليك ومن يدخلك القبر؟

فقال : «يا علي أما الغسل فاغسلني أنت وابن عباس يصبُّ لك وجبريل ثالثكما ، فإذا فرغتم من غسلي فكفونوني في ثلاثة أثواب جدد وجبريل عليه السلام يأتييني بحنوط من الجنة ، فإذا أنتم وضعتوني على السرير فضعوني في المسجد واخرجوا عني ساعة ، فإن أول من يصلي علي رب العالمين من عليائه ، ثم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم الملائكة زمراً زمراً ، ثم ادخلوا فقوموا صفوفاً صفوفاً لا يتقدم علي أحد ، واقروا مني السلام على من تبعني على ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة» .
[وعليك السلام يا سيدي يا رسول الله ورحمة الله وبركاته] .

معاشر المسلمين : أستودعتكم الله ، أنتم في رجاء الله وأمانه ، والله خليفتي عليكم فأني مفارق الدنيا ، هذا أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا .

أيها الإخوة : فرح المسلمون لنشاط رسول الله واطمأن الصديق عليه واستأذنه بالخروج إلى خارج المدينة ، وتفرق المسلمون كل لشأنه ، وعاد النبي إلى بيت عائشة ، وكان ذلك ليلة الأحد .

وعند الفجر وأبو بكر يصلي بالناس لم يفجأهم إلا رسول الله وقد كشف ستر الحجرة وقام على الباب ينظر إليهم وهم صفوف في الصلاة .

قال أنس : كان وجهه كأنه ورقة مصحف . ثم تبسم يضحك سروراً . رأى من هيثهم في الصلاة . قال : فهممنا أن نفتن في الصلاة من الفرح برؤية رسول الله ، وأشار النبي أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر . وصار الناس يقولون : أصبح رسول الله بحمد الله بارئاً . فانصرفوا إلى حوائجهم مستبشرين . أما العباس فقد عرف الموت يومئذ في وجه النبي فأخذ بيد علي وقال : إني والله لأرى رسول الله سوف يتوفى من وجعه هذا إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت (خ) .

أيها السادة : هذا هو آخر مشهد رآه رسول الله مشهد الصلاة ، وكان هذا هو العهد الأخير - فيا أيها الأحبة ، يا أحباب رسول الله - العهد العهد الذي فارقنا عليه رسول الله وهو راض يتسم . من كان يحب الله ورسوله فلا يترك الصلاة ، فإنها عهد الله ورسوله ، فهل تعاهدون على أداء الصلاة؟ . قولوا : نعم .

إننا - أيها الإخوة - في يوم الاثنين ٨ حزيران سنة ٦٣٢م وكان يوماً شديداً حاراً ، فدعا النبي بإناء فيه ماء بارد راح يضع يده فيه ويمسح بمائه وجهه ، وهو يكرر يقول : «اللهم أعني على سكرات الموت» (خ) .

لقد كان من الیسیر علی الله - أيها الأخوة - أن يجعل مرتبة رسوله فوق مستوى الموت وآلامه ولكن الحكمة الإلهیة شاءت أن يكون قضاء الله تعالى في تجرع هذا الكأس بشدتها وآلامها عاماً لكل أحد مهما كانت درجة قربہ من الله جل جلاله ، حتى يعيش الناس في معنى التوحيد وحقیقته وحتى يدركوا جيداً أن كل من في السموات والأرض إلا أني الرحمن عبداً ، فليس لأحد أن يتمطی ليعلو بنفسه عن مستوى العبودیة بعد أن عاش رسول الله خاضعاً لحكمها ونزل به قضاؤها ، وليس لأحد أن لا یكثر من ذكر الموت وسكرته بعد أن عانى حبیب الله من برحائها وغشيتها آلامها . إن سلطان الموت يقهر الجبابرة والمتألهين الذين يشيدون لأنفسهم صروحاً عالیة من الجبروت والطغیان والتأله والكفران ، سوف يموتون ، كلهم سوف يموتون ، ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ / آل عمران : ١٨٥ - العنكبوت : ٥٧ / الله أكبر لن ینجو أحد من تلك القبضة ولا تلك الحقیقة ، إن الله قهر بالموت سكان الدنيا منذ فجر الوجود إلى أن تغیب شمسہ .

وأما رسول الله وأما حبیب الله فإن الباب یطرق الآن علیه ، وهو في غمرات الموت وسكراته ، ها هو أعرابي یستأذن لیزور الحبيب محمداً ، قائلاً : السلام علیکم یا أهل بیت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة أأدخل؟ فقالت عائشة : یا فاطمة أجیبي الرجل . فقالت فاطمة : أجرك الله في بمشاك یا عبد الله ، إن رسول الله مشغول بنفسه . فإذا به بعد قليل ینادي الثانية فتجیبه بالجواب نفسه ، ثم نادى الثالثة : السلام علیکم یا أهل بیت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة أأدخل فلا بد من الدخول . وسمع رسول الله صوت الأعرابي فقال : «یا فاطمة من بالباب؟» فقالت : یا رسول الله إن رجلاً بالباب یستأذن بالدخول فأجبناه مرة بعد مرة ونادى الثالثة صوتاً اقشعر منه جلدي وارتعدت فرائصي . فقال لها النبی : «یا فاطمة

أتدريين من الباب؟ هذا هادم اللذات ومفرق الجماعات ، هذا مرمم الأزواج وميتم الأولاد ، هذا مخرب الدور وعامر القبور ، هذا ملك الموت عليه السلام ادخل يرحمك الله يا ملك الموت . فدخل ملك الموت على سيدنا رسول الله بزي أعرابي ، فقال له الحبيب الأعظم : «يا ملك الموت جئتني زائراً أم قابضاً؟» . قال : جئتك زائراً وقابضاً وأمرني ربي عز وجل أن لا أدخل عليك إلا بإذنك ولا أقبض روحك إلا بإذنك ، فإن أذنت وإلا رجعت إلى ربي . فقال رسول الله : «يا ملك الموت أين خلفت حبيبي جبريل؟» فقال : خلفته في السماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك . قال : فما كان أسرع أن أتاه جبريل فقعده عند رأسه . فقال رسول الله : «يا جبريل ، هذا الرحيل من الدنيا» . فقال جبريل : ﴿وللاخرة خير لك من الأولى﴾ . قال : «فبشرني ما لي عند الله؟» . قال : أبشرك يا حبيب الله أنني تركت أبواب السماء قد فتحت ، والملائكة قد قاموا صفوفاً صفوفاً بالتحية والريحان يحيون روحك يا محمد . فقال : «لوجه ربي الحمد ، فبشرني يا جبريل» . قال : أبشرك أن أبواب الجنة قد فتحت وأنهارها قد اطردت ، وأشجارها قد تدلت ، وحورها قد تزينت لقدوم روحك يا محمد . قال : «لوجه الله الحمد فبشرني يا جبريل» . قال : أبواب النيران قد أطبقت لقدوم روحك يا محمد . قال : «لوجه الله الحمد فبشرني يا جبريل» . قال : أنت أول شافع وأول مشفع في القيامة . قال : «لوجه ربي الحمد فبشرني يا جبريل» . قال جبريل : يا حبيبي عم تسألني؟ قال : «أسألك عن همي وغمي من لقراء القرآن من بعدي ، من لصوم شهر رمضان ، من بعدي من لحجاج بيت الله الحرام من بعدي ، من لأمتي المصطفاة من بعدي؟» . قال : أبشريا حبيب الله فإن الله عز وجل يقول : قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك .

قال رسول الله : ((الآن طابت نفسي ادن يا ملك الموت فانتبه إلى ما أمرت» .

م (٢٤٤٤) (تقول السيدة عائشة : توفي رسول الله بين سحري صديري) ونحري وأحسست بثقله وأنا أنظر إليه وهو يشخص ببصره إلى السماء وهو يقول : «اللهم الرفيق الأعلى» ، وكان يحدثهم أن «النبي لا يموت حتى يخيره الله بين الدنيا والآخرة» . تقول عائشة : فعلمت أنه اختار الآخرة على الدنيا ، حتى قبض ومالت يده ﷺ .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ، الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله ، اذكرنا عند ربك يا نبي الله .

وسمع في جنبات البيت قائلاً يقول : إن في الله عزاءً من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، ودركاً من كل فائت ، فبالله فثقوا وإياه فارجو ، وإنا المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وما إن شعرت السيدة عائشة ب وفاة الحبيب الأعظم حتى وضعت رأسه الشريف على الوسادة وغطته ببردة ، وفاحت رائحة المسك منه ﷺ ، تقول عائشة رضي الله عنها : فخرجت أبكي وأضرب وجهي ، وصاح رجل على باب المسجد (وارسلوا الله) وضج الناس بخبر وفاته . وجاء عمر وقد أخذ سيفه وهو يصيح : من يقول رسول الله مات علوته بسيفي هذا . وأقبل الصديق إلى الحجرة فرأى رسول الله وهو مغشى ، فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه فقبله وبكى ، ثم قال : بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها .

وجاء عثمان إلى المسجد وقد أسكت لسانه من هول المصيبة لا يستطيع أن يتكلم ، وأما جدي سيدنا علي فقد أقعد لا يستطيع القيام ، وأما عبد الله بن أنيس فقال : اللهم إن كان هذا الخبر صادقاً فاقبضني لساعتي فوقع ميتاً على الأرض .

وقال رجل من الأنصار : اللهم إن كان هذا صحيحاً فأعمني بصري حتى لا أرى أحداً بعد نبيك ، فأعمني بصره لساعته .

فصعد الصديق إلى المنبر وعمر يجول كالأسد الهصور ، ولا يريد أن يصدق أن رسول الله قد مات ، فاجتمع الناس حول الصديق وهو يناديهم : أيها الناس إليّ إليّ . ثم خطب فيهم : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما ترك وأن الحديث كما حدث ، وأن الله هو الحق المبين .

أيها الناس من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتنكم عن دينكم . إن الله نعى نبيكم إلى نفسه وهو حي بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم فهو الموت حتى لا يبقى أحد إلا الله ، أنسيتم قوله تعالى : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾ آل عمران : / .

فكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها الصديق فخرجوا وهم يتلون هذه الآية الكريمة ، يقول عمر : والله ما هو إلا سمعت أبا بكر تلاها فعقرت ما تقلني رجلاي ، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها وعلمت أن النبي قد مات (خ) .

أيها الأخوة : وغسل رسول الله كما أمر بشيابه ، كانت تفوح منه رائحة الطيب فكان عليّ يقول : بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً . وكفن ووضع على سريريه في المسجد ، ثم دخل الناس يصلون عليه أفواجاً أفواجاً . وجاء الناس إلى سقيفة بني ساعدة فبايعوا الصديق على الخلافة قالوا : رضيه لنا رسول الله إماماً لنا في الدين أفلا نرضاه إماماً لنا في الدنيا . ودخل الصديق على الحبيب الأعظم مع خلص أصحاب النبي وقد علاهم الصمت فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته نشهد

أن نبي الله ورسوله قد بلغ رسالة ربه ، وجاهد في سبيله حتى أتم من النصر لدينه ، وأنه وُفِّي بوعده وأمر ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له ، فصار الناس يقولون آمين آمين .

وقال لمن حوله : ادفنوا رسول الله في حجرته فقد سمعته يقول : « ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض » . فرفع فراش رسول الله وحفر له القبر ودفن فيه ورش بالماء ورفع عن الأرض شبراً .
أيها الإخوة :

هذه هي الحقيقة الكبرى في هذا الوجود ، الحقيقة التي يسقط عندها جبوت المتجبرين وعناد الملحدّين وطغيان البغاة والمتألهين . اسمع إلى مولاك يقول : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ / آل عمران : ١٨٥ - العنكبوت : ٥٧ .
لتسمع الدنيا : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ ، ليسمع المتكبرون على الأرض والذين يظنون أنهم سيعيشون إلى الأبد ، ليسمعوا قول الله تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ / الرحمن : / .

فلا ألوهية إلا لله وحده ، ولا حاكمية إلا للذي تفرد بالبقاء ، فلا يغلب الله غالب ، ولا يرد قضاءه أحد .
هنا وستبقى هنا كلمة التوحيد مرفوعةً عالية ، فمن كان معنا فليوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله سيدنا محمد ﷺ رسول الله

فهرست رموز الأحاديث النبوية الشريفة

الموطأ	: للإمام مالك
خ	: البخاري
م	: لمسلم
ق	: بخاري ومسلم (متفق عليه)
د	: أبو داود
ت	: الترمذي
ن	: النسائي
ه	: ابن ماجه
الأربعة	: لهم
(أحمد) حم	: الإمام أحمد في مسنده
حا (أوك)	: حاكم
حب	: ابن حبان في صحيحه
طب	: الطبراني في الكبير
طس	: الطبراني في الأوسط
قط	: الدارقطني
هب	: البيهقي

بز	: البزار
المشكاة	: مشكاة المصابيح
أبو يعلى	: في مسنده
الفتح	: فتح الباري لابن حجر
عد	: ابن عدي
ابن جرير	: الطبري
الحميدي	: في مسنده
خزيمة	: ابن خزيمة في مسنده
الطيالسي	: أبو داود
الدارمي	: في مسنده

المصادر والمراجع

القرآن الكريم : تفسير الإمام فخر الدين الرازي : التفسير الكبير

تفسير الإمام محمد الألوسي : روح المعاني

تفسير الإمام عبد الرحمن السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالأنور

تفسير الخازن : لباب التأويل في معاني التنزيل، الإمام علي بن محمد البغدادى

الخطيب الشربيني : السراج المنير

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن

الحديث النبوي الشريف : الإمام مالك : الموطأ

الإمام الشافعي : في مسنده

الإمام أحمد بن حنبل : في مسنده

الإمام البخاري : في صحيحه وتاريخه

الإمام مسلم : في صحيحه

الإمام أبو داود السجستاني : في سننه

الإمام الترمذي : في سننه الجامع الصحيح

الإمام النسائي : في سننه

الإمام ابن ماجه : في سننه

ابن حبان : في صحيحه

الإمام علي بن عمر الدارقطني : في سننه

الإمام الحميدي : في سننه

ملا علي القاري : مرقاة المفاتيح ، شرح مشكاة المصابيح

الحاكم النيسابوري : المستدرک علی الصحیحین

الإمام عبد الرحمن السيوطي : جامع الأحاديث

أبو يعلى الموصلي : في مسنده

الطبراني سليمان بن أحمد : في معجمه الكبير

ابن خزيمة : في صحيحه

عبد الله بن محمد بن أبي شيبة : في مصنفه

شروح الحديث النبوي : شرح ابن حجر العسقلاني : فتح الباري

شرح صحيح مسلم : الإمام النووي

المعاجم : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي

موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف : محمد السعيد بن بسيوني زغلول

الترغيب والترهيب : للإمام عبد العظيم المنذري

السيرة النبوية : سيدنا محمد : الشيخ عبد الله سراج الدين

سيرة ابن هشام

السيرة النبوية : الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة

فقه السيرة : للدكتور محمد سعيد البوطي

مصادر العقيدة ومراجعها :

الإمام أحمد بن الحسين البيهقي

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد

للإمام محمد الغزالي

الاقتصاد في الاعتقاد

للإمام البيهقي

الأسماء والصفات

للإمام أبي بكر الباقلاني

الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به

للإمام أحمد بن الحسين البيهقي

الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة

العلامة كمال الدين أحمد البياضي الحنفي

إرشاد المرام من عبارات الإمام

للشيخ عبد الله سراج الدين

الإيمان بالملائكة

الشيخ ميمون محمد النسفي

بحر الكلام

البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين	الشيخ نور الدين الصابوني
البيهقي وموقفه من الإلهيات	الدكتور أحمد بن عطية الغامدي
تعريف عام بدين الإسلام	العلامة الشيخ علي الطنطاوي
تاريخ المذاهب الإسلامية	العلامة الشيخ محمد أبو زهرة
التمهيد في أصول الدين	أبو المعين النسفي
التفكير في الأسماء طريق العلماء	الدكتور ضياء الدين الجماس
جواهر العقائد	الشيخ عبد القادر القصاب وشرح الشيخ محمد القصاب
جوهره التوحيد	للإمام اللقاني
حياة الأنبياء	للإمام أحمد بن الحسين البيهقي
حاشية الكليني على شرح جلال الدين الدواني على العقائد العضدية	
حاشية الأمير على شرح عبد السلام على الجوهرة	محمد بن محمد الأمير
حاشية الشيخ عبد الله بن حجازي الشرقاوي على شرح المدهدي على أم البراهين للإمام السنوسي	
حاشية الإمام الباجوري على أم البراهين	للإمام السنوسي
دلائل النبوة	للإمام أحمد بن الحسين البيهقي
دلائل النبوة	للإمام أبي نعيم الأصبهاني
الداعي إلى الإسلام	لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري
دراسة الكتب المقدسة	موريس بوكاي
شرح جوهره التوحيد	للإمام إبراهيم الباجوري
شرح جوهره التوحيد	للإمام عبد السلام اللقاني
شرح جوهره التوحيد	للإمام أحمد بن محمد الصاوي
شرح جوهره التوحيد	الشيخ عبد الكريم تان محمد أديب الكيلاني

شرح الطحاوية في العقيدة السلفية	صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي
شرح المواقف للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الأيبي	للشيخ علي بن محمد البزجاني
شرح العقائد النسفية	الشيخ سعد الدين بن مسعود بن عمرو النفتازاني
شرح الأربعين في أصول الدين	الدكتور محمد عبد الله خراز
شرح الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد	لأبي بكر بن ميمون
شرح الفقه الأكبر	لأبي علي القاري
شرح ضوء المعالي على منظومة باء الأمل	للشيخ نور الدين علي القاري
عقيدة السلف والخلف في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله	ابن خليفة عليوي
العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية	للإمام الجويني عبد الملك بن عبد الله
العقد المتقن والعقد الثمن بشرح عقيدة العارف بالله أبي مدين	محمد شمس الدين ابن أبي اللطف
العقيدة الإسلامية	للعلامة الشيخ عبد الرحمن حبيكة الميداني
العقائد الإسلامية	للسيد السابق
الفرق بين الفرق	الشيخ عبد القاهر البغدادي
قصص الأنبياء	للإمام ابن كثير الدمشقي
قصص الأنبياء لمولاي السيد الوالد الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني رحمه الله تعالى	
قصص الأنبياء	للشيخ عبد الوهاب النجار
كتاب التوحيد	للإمام محمد بن محمود الماتريدي
مفتاح اللجنة شرح عقيدة أهل السنة	للعلامة الشيخ محمد بن الهاشمي رحمه الله تعالى
المسامرة بشرح المسامرة	الشيخ محمد بن محمد المعروف بابن أبي شريف المقدسي
المعالم الدينية في العقائد الإلهية	للإمام يحيى بن حمزة
مقدمة فتح العلم شرح مرشد الأنام	للإمام عبد الله الجرדاني

مع الأنبياء والرسل

مذاهب الإسلاميين

نيل الأرب في معرفة الأدب

النصرانية من التوحيد إلى التثليث

نهاية الأقدام في علم الكلام

الدكتور عبد الحليم محمود

الدكتور عبد الرحمن البدوي

الشيخ محمود المرعشي

د . محمد أحمد الحاج

الإمام عبد الكريم الشهرستاني

طدر للمؤلف

صدرت مجموعة من كتب والده الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني رحمه الله تعالى وقمت بتحقيقها ما أمكن :

- ١ - كتاب الإسراء والمعراج .
- ٢ - كتاب مناسك الحج والعمرة .
- ٣ - كتاب الدعوات .
- ٤ - الوصية الواجبة .

أصدرت مجموعة من كتبه منها :

- ٥ - ضم ثلاثة أقمار على متن غاية الاختصار في الفقه على المذاهب الأربعة .
- ٦ - مناسك الحج والعمرة على المذهب الشافعي .
- ٧ - سور من القرآن وأدعية مختارة من الكتاب والسنة . طبع عدة مرات .
- ٨ - ميزان الأخيار في التجارة والتجار «على المذهب الحنفي» .
- ٩ - النفحة العلية في أناشيد الحضرة الشاذلية .
- ١٠ - مع الله في الأذكار والأوراد . طبع مرتان .
- ١١ - زاد المسلم من أذكار الكتاب والسنة .
- ١٢ - أحكام الصيام على المذاهب الأربعة . طبع عدة مرات .
- ١٣ - أربعون حديثاً في خصائص سيدنا النبي ﷺ .
- ١٤ - شرح ابن قاسم الغزي .
- ١٥ - نفحات منبرية في تاريخ المئة الأولى الهجرية ، يتضمن السيرة النبوية بأكملها ثم تاريخ الخلفاء حتى سيدنا : عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .
- ١٦ - غرر الشام في تاريخ آل الخطيب الحسينية ومعاصريهم في مجلدين .
- ١٧ - الجوهرية في شرح الجوهرية (مذكورة في عقيدة أهل السنة والجماعة) .
- ١٨ - مراقي العبودية في توحيد رب البرية .
- ١٩ - ديوان الشيخ عبد القادر الحمصي .
- ٢٠ - نفحات منبرية في سيرة أئمة المذاهب الفقهية .
- ٢١ - الأدلة المؤتلفة في مبيت مزدلفة .
- ٢٢ - الأدلة المجمعّة في صلاة الظهر بعد الجمعة .
- ٢٣ - كيف تكون خطيباً ناجحاً .

وأما ما هو تحت الإعداد والطبع :

- ٢٤ - ميزان الأخيار في التجارة والتجار على المذاهب الأربعة (رسالة الماجستير) .
- ٢٥ - فقه العبادات على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه .

- ٢٦ - حاشية على كفاية الأختيار للعلامة تقي الدين الحصني في الفقه الشافعي .
- ٢٧ - الفتاوى (على المذاهب الأربعة) .
- ٢٨ - حاشية على مفيد العوام للجرداني في أدلة المذهب .
- ٢٩ - مختصر حاشية الإمام الباجوري على شرح ابن قاسم .
- ٣٠ - رسم المفتي في المذهب الشافعي .
- ٣١ - رسالة في مصطلح الحديث النبوي الشريف .
- ٣٢ - مختصر الإسرائيليات في التفسير والحديث الشريف .
- ٣٣ - مختصر تربية الأولاد في الإسلام .
- ٣٤ - الخطب الجمعية .
- ٣٥ - براعة الاستهلال في الخطابة .
- ٣٦ - آيات المجالس .
- ٣٧ - مختصر خصائص اللغة العربية وطرق تدريسها .
- ٣٨ - أحكام تجويد القرآن الكريم .
- ٣٩ - مختارات من الشعراء الإسلاميين .
- ٤٠ - مبادئ الإملاء .
- ٤١ - أمهات المؤمنين .
- ٤٢ - البدر فيمن حضر غزوة بدر .
- ٤٣ - مختصر تاريخ المذاهب الإسلامية في العقائد .
- ٤٤ - نفحات منبرية في القضايا الإيمانية .
- ٤٥ - مجالس رمضان .
- ٤٦ - فهرسة كتاب مغني المحتاج للخطيب الشربيني .
- ٤٧ - حاشية على عمدة السالك لابن النقيب .
- ٤٨ - فهرسة كتاب إعانة الطالبين في الفقه الشافعي .
- ٤٩ - فهرسة كتاب روضة المحتاجين في الفقه الشافعي .
- ٥٠ - فهرسة كتاب فتح العلام في الفقه الشافعي .
- ٥١ - تحقيق شرح ابن قاسم الغزي .
- ٥٢ - فهرسة كتاب كفاية الأختيار في الفقه الشافعي .
- ٥٣ - مختصر حاشية الباجوري على جوهر التوحيد .
- ٥٤ - رسائل ابن الخطيب .
- ٥٥ - أمهات العقائد في قصص الأنبياء والرسل .
- ٥٦ - معجم ألفاظ الطلاق .
- ٥٧ - متن ابن الخطيب الحسني في المذهب الشافعي .

الفهرس

٤٤٨	٤٣ - سيدنا موسى ونهاية السامري	٤٢٨	٤١ - الآيات التسع ونهاية فرعون
	والعجل	٤٢٩	هامان يبني الصرح
٤٤٩	معبودهم الذهب	٤٣٠	آية الجلب
٤٥٠	العجل وموسى السامري	٤٣٠	آية الطوفان
٤٥٣	الخيار هكذا ؟	٤٣١	الجراد
٤٥٥	صفات أمة سيدنا محمد ﷺ	٤٣١	القمل
٤٥٥	كلمة التوحيد أثقل في الميزان	٤٣٢	الضفادع
٤٥٦	٤٤ - سيدنا موسى ونهاية قارون	٤٣٢	الدم
٤٥٧	القضية الأولى : لا يرضخون إلا	٤٣٣	موسى يدعو على آل فرعون وأموالهم
	للقهر	٤٣٨	٤٢ - سيدنا موسى في سيناء
٤٥٨	رفع جبل الطور فوقكم	٤٣٩	اليهود والشیطان
٤٥٨	حبهم للعالم - قتل بني إسرائيل	٤٣٩	مخزيات اليهود
	والبقرة	٤٤٠	١ - اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة
٤٦٠	أنا - لي - عندي	٤٤١	٢ - الخيانة الثانية : اذهب أنت
٤٦١	قارون موسى		وربك فقاتلا
٤٦٤	٤٥ - سيدنا الخضر صاحب سيدنا	٤٤٢	٣ - الحرص على الحياة
	موسى	٤٤٣	٤ - البخل
٤٦٥	سيدنا الخضر عليه الصلاة والسلام	٤٤٣	٥ - الجبن والذل
٤٦٨	العلم علمان علم الشريعة ويمثله	٤٤٤	الكلمات العشر
	سيدنا موسى ، وعلم الحقيقة ويمثله	٤٤٥	رب أرني أنظر إليك
	سيدنا الخضر	٤٤٦	موسى يتمنى أن يكون من أمة
٤٦٩	التقاء سيدنا موسى الخضر		سيدنا محمد ﷺ

٤٩١	معجزات سيدنا سليمان	٤٧٣	سيدنا الخضر نبي
٤٩١	ملك الأرض كلها	٤٧٤	٤٦ - سيدنا موسى ونهاية بلعام بن باعوراء
٤٩١	بساط الريح	٤٧٦	المرأة فتنة اليهود
٤٩١	تعليمه منطق الطير	٤٧٨	ثوبي يا حجر
٤٩٢	ملك على جميع طبقات الدنيا من مخلوقات	٤٧٨	رجل بني إسرائيل يغفر الله له
٤٩٣	سيدنا سليمان والمهدد	٤٧٩	لحبه سيدنا محمد ﷺ
٤٩٦	سيدنا آصف بن برخيا وزير	٤٧٩	نقباء بني إسرائيل
	سيدنا سليمان	٤٧٩	يوشع بن نون يفتح بيت المقدس
٤٩٧	السيدة بلقيس	٤٨٠	وفاة سيدنا موسى بعد التقائه بملك الموت
٤٩٨	٤٩ - وفاة سيدنا سليمان	٤٨٢	٤٧ - سيدنا إلياس واليسع وداود
٤٩٩	تسخير الجن والشياطين	٤٨٣	النبي شموئيل
٤٩٩	إسالة عين النحاس	٤٨٤	الملك سيدنا طالوت وآية ملكه
٤٩٩	الريح غدوها شهر ورواحها شهر	٤٨٥	سيدنا داود مقاتلاً
٤٩٩	بناؤه لبيت المقدس	٤٨٥	معجزات سيدنا داود
٥٠٠	دعوات سيدنا سليمان	٤٨٥	- ألان له الحديد
٥٠١	قضية (فقهناها سليمان)	٤٨٦	- طاعته وقيام الليل
٥٠٢	زوجاته عليه الصلاة والسلام	٤٨٦	- تسبيح الجبال معه الطير
	/١٠٠٠/ امرأة	٤٨٦	- الملك العظيم
٥٠٢	فتنة سيدنا سليمان	٤٨٧	- القضاء النافذ
٥٠٣	سيدنا سليمان وملك الموت	٤٨٧	- سلسلة القضاء
٥٠٤	الآية العظيمة بموت سيدنا سليمان	٤٨٨	- الخصمان
٥٠٦	٥٠ - سيدنا زكريا وولده سيدنا يحيى	٤٨٩	وفاة سيدنا داود
		٤٩٠	٤٨ - سيدنا سليمان بن داود

٥٤٠	لم تنته مهمة السيد المسيح	٥٠٧	آل عمران
٥٤٢	٥٤ - القرآن يتحدث عن اليهود	٥٠٧	السيدة حنة والدة السيدة مريم
٥٤٣	حقيقة اليهود	٥٠٩	سيدنا زكريا وتمنيه للولد
٥٤٥	هرطقتهم	٥١١	سيدنا يحيى
٥٤٥	المرأة عند اليهود	٥١١	مقتل سيدنا زكريا
٥٤٦	في عيدي اليهود يقتلون الشبان	٥١٢	كلمات سيدنا يحيى
٥٤٧	شركهم وأكلهم الربا	٥١٣	مقتل سيدنا يحيى
٥٤٧	تأسيس دولتهم ؟	٥١٤	٥١ - سيدنا عيسى
٥٤٩	أركان الدولة :	٥١٥	مكانة السيدة مريم
	أرض - شعب - اقتصاد	٥١٦	حمل السيدة مريم
٥٤٩	مصادر دولتهم	٥١٧	الكرامة
٥٥٢	٥٥ - سيدنا ومولانا محمد ﷺ	٥١٨	ولادته
٥٥٣	أسماءه صلى الله عليه وسلم	٥١٩	سيدنا عيسى في الكتاب
٥٥٤	أهل الفترة	٥٢١	أوائل الكلمات والبشارة بسيدنا محمد
٥٥٤	أقوال العلماء فيهم		
٥٥٦	زيد بن عمرو بن نفيل	٥٢٤	٥٢ - معجزات سيدنا عيسى
٥٥٧	أهل الفترة ثلاثة	٥٢٥	خبر المعجزة ومعناه
٥٥٨	آبائهم وأجداده ﷺ	٥٢٩	معجزة المائدة
٥٥٩	ولادته ﷺ	٥٣٠	من كلماته
٥٦٢	٥٦ - الإرهاصات من الخوارق السبع	٥٣٠	وصية سيدنا عيسى للحواريين
٥٦٢	الكرامة - المعونة	٥٣٢	٥٣ - العقيدة الصحيحة في سيدنا عيسى
٥٦٤	الاستدراج - الإهانة - السحر	٥٣٤	رفع سيدنا عيسى إلى السماء
	إرهاصات سيدنا رسول الله	٥٣٦	قضية صلب السيد المسيح
٥٦٤	- عند جده شبيه الحمد	٥٣٦	ألوهية السيد المسيح المزعومة

٥٨٨	٥٩ - العقيدة في موضوع الإسراء	٥٦٧	- إرهابات كفالة أبي طالب
	والمعراج	٥٦٨	- إرهابات في تجارية خديجة
٥٨٩	أهل الطائف	٥٦٩	- إرهابات ما قبل البعثة
٥٩٠	إيمان الجن	٥٧٠	٥٧ - العقيدة في ظاهرة الوحي
٥٩١	الحكمة من الإسراء والمعراج	٥٧٠	الوحي
٥٩٣	الأدلة على الرحلة السماوية	٥٧٠	منظومة الشرنوبى
٥٩٦	البيعة في العقبة الأولى والثانية	٥٧٢	المعجزة نشأته على الأمية
٥٩٦	الهجرة - عاطفة الحب الإيماني	٥٧٢	قضية الوحي
٥٩٧	فرحة أهل المدينة بهجرة الحبيب	٥٧٣	تعليم الوحي للنبي
	واستقبالهم	٥٧٤	اقرأ وقضاياها الثلاث
٦٠٠	٦٠ - العقيدة في الأعمال الأولى	٥٧٥	موقف ورقة بن نوفل وإيمانه
	بعد الهجرة	٥٧٦	فترة الوحي وتثبيت خديجة
٦٠٠	الأذان - حكمة	٥٧٧	الحكمة من فترة الوحي
٦٠١	معاني الهجرة	٥٧٨	٥٨ - المعجزات دليل صدقة صلى
٦٠٢	الأعمال الأولى بعد الهجرة		الله عليه وسلم
٦٠٣	الوثيقة التشريعية	٥٧٩	دعوته لقرش ومبادئها
٦١٠	٦١ - العقيدة في الغزوات والسرائيا	٥٨٠	الطلائع الأولى للمسلمين
٦١٠	آية النصر	٥٨١	أسد الله حمزة والفاروق عمر
٦١١	الناصر هو الله وليس الوسائل	٥٨١	أشد الناس عداوة لرسول الله
	المادية	٥٨٢	استمالة النبي ومحاورته
٦١٢	من أسباب النصر : الدعاء	٥٨٣	انشقاق القمر المعجزة الكونية
٦١٢	العقيدة هي أساس النصر	٥٨٤	الأراشي
٦١٣	الكثرة لاتغني عنا شيئاً	٥٨٥	جاءت لدعوته الأشجار ساجدة
٦١٤	مشاركة الملائكة في المعركة	٥٨٥	الحرب الأهلية - والصحفية
٦١٥	قضية الأسرى	٥٨٦	فشل الحصار

٦٣٤	بين سيدنا علي والزبير	٥١٦	اتهام فيه إساءة أدب يرد عليه
٦٣٤	بين سيدنا علي ومعاوية		علماء أهل الشام
٦٣٤	الملك العضوض	٦٢٠	آية الإذن
٦٣٥	الكذابون الثلاثون	٦٢٢	٦٢ - خصائص سيدنا محمد صلى
٦٣٥	الحصار الاقتصادي لبعض الأقطار		الله عليه وسلم
٦٣٥	فتوحات للأمة الإسلامية	٦٢٣	أول النبيين في الخلق
٦٣٦	أشراط الساعة الوسطى	٦٢٣	خاتم النبيين
٦٣٨	بناء المزة	٦٢٣	أخذ العهد على الأنبياء
٦٣٨	نصيحة رسول الله لنا	٦٢٤	سيدنا آدم
٦٤٠	٦٤ - أمهات المؤمنين وأسباب	٦٢٤	ذكره في الأذان والإقامة
	تعدددهن	٦٢٥	صلاته بأهل السموات
٦٤١	الرد على المستشرقين	٦٢٦	نخص بعشر خصال
٦٤٢	حياته أكبر دليل على عفته ﷺ	٦٢٦	فضل الصلاة على النبي
٦٤٣	التزوج بأكثر من أربع بقي حتى	٦٢٧	بشر برسالة الإنس والجن والملك
	السنة الثامنة		والحيوان
٦٤٤	أسباب تزوجه ﷺ	٦٢٨	فضلت على الأنبياء بست
٦٤٤	أسباب تعليمية	٦٢٩	نهر الكوثر والحوض
٦٤٥	رواية السنة	٦٣٠	٦٣ - دلائل نبوته صلى الله عليه
٦٤٦	كسب تأييد القبائل		وسلم
٦٤٧	تأليف قلوب أهل الكتاب	٦٣٠	الفتن
٦٤٧	اكتمال التشريع	٦٣٠	خطبة للنبي استمرت يوماً كاملاً
٦٤٨	حياة أمهات المؤمنين معه	٦٣١	ملك الأمة الإسلامية
٦٥٠	٦٥ - أحكام أمهات المؤمنين	٦٣٢	فتن أربعة في هذه الأمة
٦٥٢	لا يجوز نكاحهن بعده ﷺ	٦٣٤	التبشير بخلافة الخلفاء
٦٥٣	إلا من وراء حجاب	٦٣٤	كلاب الحوآب

٦٨٤	٦٩ - فضائل السيدة خديجة	٦٥٣	لا يجوز كشف حجابهن رضي الله عنهن
	ووفاتها رضي الله عنها	٦٥٤	تخيرهن رضي الله عنهم
٦٨٥	الرد القاصم على المستشرقين	٦٥٥	وعظهن رضي الله عنهن
٦٨٦	البعثة وموقف السيدة خديجة	٦٥٥	نزول الوحي في بيوتهن
٦٨٩	سلام من رب العالمين للسيدة خديجة	٦٥٦	بعضهن زوجهن مولانا عز وجل
٦٩٠	سلمي على ضرائك في الجنة	٦٥٦	منزلتهن عند الله
٦٩٠	رسول الله يتذكر خديجة ويعدد فضائلها	٦٥٧	٦٦ - الغيرة بين أمهات المؤمنين
٦٩٢	٧٠ - السيدة سودة بنت زمعة	٦٦٠	صنوف النساء اللواتي أحلهن الله لنبيه
٦٩٣	نسبها - هجرتها مع زوجها - رؤياها	٦٦٢	رسول الله في منزله
٦٩٥	خطبتها من قبل خولة بنت حكيم	٦٦٤	حزبا أمهات المؤمنين
٦٩٥	سبب تزويجها : تدبير شؤون بيته	٦٦٦	هجرته شهراً
٦٩٥	طيبتها وسداجتها	٦٦٨	٦٧ - السيدة خديجة قبل الإسلام
٦٩٦	اعتناء السيدة سودة بالسيدة عائشة	٦٦٩	نسبها - والدها - أولادها - ثروتها
٦٩٧	بقيت حتى بلغت مئة عام	٦٧٢	تجارتها مع سيدنا محمد ﷺ
٦٩٨	٧١ - السيدة عائشة بنت الصديق	٦٧٢	صفات التجار المسلمين
٦٩٨	والدتها	٦٧٦	إرهاصات بعثته ﷺ
٦٩٩	الرد على المستشرقين	٦٧٧	٦٨ - السيدة خديجة المسلمة
٧٠٠	مولانا عز وجل مهد للزواج منها	٦٧٧	صفات سيدنا محمد ﷺ الخلقية
٧٠١	حجراته ﷺ	٦٧٩	خطبة سيد قريش
٧٠١	مراعاة سننها	٦٧٩	خطبة ورقة بن نوفل
٧٠٢	فضائل السيدة عائشة	٦٨٠	رسول الله عند الزوجة الأولى
٧٠٦	٧٢ - حديث الإفك	٦٨٠	أولاده صلى الله عليه وسلم منها

- ٧٢٨ أيهما الأفضل السيدة خديجة أم
 السيدة عائشة أم السيدة فاطمة
 ٧٣١ زواجها قبله بخنيس بن حذافة
 ٧٣١ عرض سيدنا عمر ابنه علي
 الصديق وعثمان
 ٧٣٣ زواجها به سنة ثلاث من الهجرة
 ٧٣٣ فقه السيدة حفصة
 ٧٣٤ طلاق حفصة
 ٧٣٤ المصحف عند السيدة حفصة
 ٧٣٥ وفاتها سنة ٤٧ هـ
 ٧٣٦ ٧٥ - السيدة زينب بنت خزيمة
 ٧٣٧ نسبها - كرمها - إسلامها
 ٧٣٧ زوجها الأول - استشهاده
 ٧٣٩ سبب تزوجها
 ٧٤٠ الرد على المستشرقين
 ٧٤٢ ٧٦ - السيدة أم سلمة هند
 ٧٤٢ والدها - أمها - زوجها الأول
 ٧٤٣ هجرتها إلى الحبشة ثم إلى المدينة
 ٧٤٥ أبو سلمة يوصي زوجته
 ٧٤٥ رسول الله ﷺ يخطب أم سلمة
 ٧٤٦ روت عنه ٣٧٨ حديثاً
 ٧٤٦ السيدة أم سلمة وسيدنا عمر
 ٧٤٦ مراعاة رسول الله ﷺ لأولادها
 ٧٤٦ رجاحة عقلها يوم الحديبية
 ٧٤٧ بلغت ٨٤ سنة
- ٧٠٦ فضل آل أبي بكر الصديق
 ٧٠٨ كان رسول الله ﷺ يقرع بين نسائه
 ٧٠٩ كلام أهل الإفك :
 مسطح بن أثانة وحملة بنت
 جحش وحسان بن ثابت
 ٧١٠ استشارة النبي أصحابه
 ٧١٠ قيامه خطيباً بأصحابه
 ٧١١ التقاؤه بالسيدة عائشة وجوابها
 ٧١٢ أبشري يا عائشة أمّا الله فقد برأك
 ٧١٤ نهاية حديث الإفك
 ٧١٥ أدب مولانا المؤمنين
 ٧١٧ من سب عائشة أو رماها فهو
 كافر
 ٧٢٠ ٧٣ - معركة الجمل
 ٧٢١ فضائل السيدة عائشة
 ٧٢٢ عاشت السيدة عائشة ٤٧ سنة
 بعد الرسول
 ٧٢٢ سبب المعركة تسليم قتلة الشهيد
 عثمان
 ٧٢٣ مسير عائشة إلى البصرة
 ٧٢٣ السيدة عائشة تخطب في الناس
 ٧٢٤ ما أردت إلا الإصلاح
 ٧٢٥ أرق السيدة عائشة
 ٧٢٦ وفاتها بعد السبعين من عمرها
 ٧٢٨ ٧٤ - السيدة حفصة بنت سيدنا عمر

٧٦٨	٨٠ - السيدة أم حبيبة	٧٤٨	٧٧ - السيدة زينب بنت جحش
٧٦٩	نسبها - أمها - هجرتها	٧٤٨	زواج تشريعي
٧٧٠	ردة زوجها	٧٤٩	زيد بن سيدنا محمد ﷺ
٧٧١	سبب زواجها	٧٤٩	ضربات وصفعات
٧٧١	زواجها الذي عقده النجاشي	٧٥٠	نسف الموارث الجاهلية
٧٧٢	أبو سفيان وموقفه من الزواج	٧٥١	وتخفي في نفسك
٧٧٣	روايتها ٦٥ حديثاً	٧٥٢	الزواج كان بأمر مولانا عز وجل
٧٧٣	أبو سفيان وصلح الحديبية	٧٥٤	الرد على المستشرقين
٧٧٤	مشهد فريد: إنه فراش رسول الله	٧٥٥	روت ١١ حديثاً
٧٧٥	زواج سياسي	٧٥٥	أول نساء النبي لحوقاً به
٧٧٥	السيدة رملة تودع ضرائرها	٧٥٦	٧٨ - السيدة جويرية بنت الحارث
٧٧٦	٨١ - السيدة مارية وربانة	٧٥٦	سؤال يطرح نفسه
٧٧٧	نساء النبي	٧٥٦	لم تشغله حياته الزوجية عن
٧٧٨	ربانة بنت زيد		الدعوة والجهاد
٧٧٨	السيدة مارية	٧٥٨	غزوة بني المصطلق
٧٧٩	٤٠ رسول للملوك والأمراء	٧٥٨	غنائم بني المصطلق
٧٧٩	المقوقس وهداياه	٧٥٩	زواجه من جويرية
٧٨٠	الغيرة من جديد	٧٦٠	إسلام قوم جويرية
٧٨١	الحديث السعيد	٧٦٠	عبادة السيدة جويرية
٧٨١	ولادة سيدنا إبراهيم وحلق شعره	٧٦١	بقيت حتى الخامسة والستين
	والتصدق بوزنه	٧٦٢	٧٩ - السيدة صفية بنت حيي
٧٨٢	تنافس الأنصار فيمن يرضعه	٧٦٣	عداوة اليهود
٧٨٢	وفاة سيدنا إبراهيم وكلمات	٧٦٣	من بني النضير إلى بني قريظة
	رسول الله في تعزية أمه	٧٦٤	رؤيا حق من صفية
٧٨٣	انكشاف الشمس	٧٦٥	بعد خير
٧٨٣	وفاة السيدة مارية	٧٦٦	غيرة أمهات المؤمنين
٧٨٤	٨٢ - السيدة ميمونة بنت الحارث	٧٦٦	السيدة صفية تصل أرحامها
٧٨٥	زوجات أخر	٧٦٧	عاشت حتى جاوزت الستين

٨٠٥	أين أنا غداً	٧٨٦	أكرم عجزوز في الأرض
٨٠٦	الأنبياء يضاعف عليهم الوجع	٧٨٧	السنة السابعة
٨٠٦	خير الله نبيه بين الخلود والموت	٧٨٧	الافتاف المؤمن
٨٠٧	احتسبتك عند الله يا رسول الله	٧٨٨	كان اسمها برة
٨٠٧	رسول الله يوصي الناس ويخطب فيهم	٧٨٩	عقد عليها وهو محرم وبني بها
٨٠٨	رسول الله يدعو لأصحابه		وهو حلال
٨٠٨	سيدنا علي يسأله : من يغسلك ، من يكفنك ، ومن يصلي عليك	٧٨٩	في منطقة سرف خارج مكة
٨٠٩	آخر منظر رآه رسول الله : المسلمون وهم يصلون	٧٨٩	هي أخت السيدة زينب بنت خزيمة
		٧٨٩	فضائلها رضي الله عنها
		٧٩٠	حتى بلغت الثمانين
٨٠٩	الإثنين ٨ حزيران سنة ٦٣٢ م	٧٩٠	روت ٧٦ حديثاً
٨١٠	العقيدة في وفاته صلى الله عليه وسلم	٧٩٠	يتزوج رسول الله بعدها أحد
٨١١	ملك الموت يستأذن على رسول الله	٧٩١	لكل زواج هدف وحكمة
٨١١	بشرني يا جبريل	٧٩٢	٨٣ - أخلاقه ووجوب محبته وإتباعه
٨١٢	بل الرفيق الأعلى		ودعواته الطاهرات
٨١٢	تعزية آل الرسول	٧٩٥	الواجبات على كل مسلم
٨١٢	وارسول الله	٧٩٥	درر كلماته وآلئ ألقاظه
٨١٢	سيدنا عمر رضي الله عنه	٧٩٦	بعض أخلاقه ﷺ
٨١٢	الصدیق رضي الله عنه	٧٩٦	رحمته بكل من حوله
٨١٢	عثمان ذو النورين رضي الله عنه	٧٩٩	حب الصحابة له ﷺ
٨١٢	اللهم أعمي لي بصري كي لا أرى أحداً بعده	٧٩٩	سيدنا علي - ثوبان - أبو هريرة
٨١٢	اللهم اقبضني لكي لا أرى أحداً بعده	٨٠٠	٨٤ - العقيدة في وفاة سيدنا محمد رسول الله
٨١٣	خطبة الصديق ومبايعته رضي الله عنه	٨٠١	أهم أحداث السيرة
	على الخلافة	٨٠٢	الكذابون الثلاثة
٨١٣	تجهيز رسول الله ﷺ ودفنه	٨٠٣	النبي الكريم يلح بالرحيل
٨١٤	الحقيقة الكبرى في الوجود	٨٠٤	النبي الكريم يودع الناس
٨١٤	لألوهية إلا لله وحده	٨٠٥	مرض رسول الله ثمانية عشر يوماً

جدول الصواب في الجزء الثاني

٤٤٠	٢٢	اثنتا عشرة عيناً	٥٤٩	٢١	ينفذ حكمه فيهم
٤٤٥	١٧	جائزة عقلاً ودنيا وأخرى	٥٥٣	١١	الذي قال عن ذاته
٤٥٠	١٨	والله عز وجل باق حي	٥٥٩	١٨	ولو عند ذكر مولده
٤٥٢	١٧	كلما اقرب	٥٦٢	٤	مقسماً بآية
٤٥٨	٣	على أعقابهم	٥٨٦	٩	بإسناد حسن
٤٧٢	٢	فيما يكره خير له	٥٨٧	٢	قبل البعثة
٤٨٢	٤	عبده ورسوله		٣	الخوارق في الدنيا سبع
٤٨٣	٢٢	أرادوا النصر على الأعداء	٥٨٩	٢١	النبي المجتبي
٤٨٤	٢١	إلا من اعترف	٥٩٥	٢٠	الذي أجبتك إليه
٤٨٦	١٧	سورة ص	٥٩٦	١	فدخلوا في الإسلام ومشافهم
٤٩١	١٤	أنبي الخادي والعشرين	٦٠٠	١٣	وسلم تسليمًا
٤٩٣	١٦	يتبين فيها عذره	٦٠٣	٦	بين المسلمين واليهود
٤٩٦	٥	أنا آتيك	٦٠٣	١٧	ومن كان معه ممن يعبد
٥٠٠	١٣	من المعلوم - سليمان بن داود	٦٠٤	٢٢	هذه الدعاوي الباطلة
٥٠٠	١٩	فعنه ﷺ	٦١٤	١٧	إن عقيدتنا هي
٥٠٣	٦	فأعط من شئت وامنع من شئت	٦١٥	١٢	فأرسلنا عليهم
٥٠٥	٥	النبي الثاني والعشرين	٦٤٩	٤	أعلق هذا السؤال
٥١٢	٢٠	وإن العبد أحصن	٦٥٢	١	قل لا أسألكم
٥١٥	١٣	يا مريم اقنتي	٦٦١	١	ثم يعالجونها
٥١٩	٧	عيسى ابن مريم	٧٠٠	٧	ابن أبي طالب
٥٢٣	١١	فصل الخطاب	٧٠٥	٣	من وجهة تقاليد الغرب
٥٣٢	٤	لا أحد يناله	٧٠٥	٨	الواهبات أنفسهن
٥٣٢	١١	ابن مريم	٧٠٥	٩	يفلي ثوبه
٥٤٣	١٨	لخطة سرية	٧٠٦	٥	وقرة أعيننا

تتميم محمد الله

الجزء الثاني

ويليه الجزء الثالث

صدر للمؤلف

صدرت مجموعة من كتب والده الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني رحمه الله تعالى وقام

بتحقيقها:

- ١ — كتاب الإسراء والمعراج.
- ٢ — كتاب مناسك الحج والعمرة (طبع عدة مرات).
- ٣ — كتاب الدعوات.
- ٤ — الوصية الواجبة.

صدرت مجموعة من كتبه منها:

- ٥ — الأجوبة الجلية عن المسائل الاعتقادية.
- ٦ — الأجوبة العلمية عن المسائل الفقهية.
- ٧ — أحكام التجارة والتجار في الإسلام على المذاهب الأربعة (رسالة دكتوراه).
- ٨ — أحكام الصيام على المذاهب الأربعة (طبع عدة مرات).
- ٩ — الأدلة المؤتلفة في مبيت مزدلفة.
- ١٠ — الأدلة الجمعة على صلاة الظهر بعد الجمعة.
- ١١ — أربعون حديثاً في خصائص سيدنا النبي ﷺ (طبع عدة مرات).
- ١٢ — تحرير المسالك الى عمدة السالك في الفقه الشافعي.
- ١٣ — تنبيه الأبرار إلى كفاية الأخيار (مجلدان) في المذهب الشافعي.
- ١٤ — بُتت بالمسائل غير المفتى بها في كتاب عمدة السالك في المذهب الشافعي.
- ١٥ — الجوهرة في شرح الجوهرة (مذكورة في عقيدة أهل السنة والجماعة) (طبع عدة مرات).
- ١٦ — دليل الحاج الطهي.

- ١٧ — دليل الحاج مختصر لأهم الأحكام والأدعية في الحج والعمرة.
- ١٨ — ديوان الشيخ عبد القادر الحمصي.
- ١٩ — رسائل ابن الخطيب الحسني في مجلدين.
- ٢٠ — رسم المفتي (شرح لأهم المصطلحات والقواعد الفقهية، وترجمة لأعلام الشافعية).
- ٢١ — زاد المسلم من أذكار الكتاب والسنة (طبع عدة مرات).
- ٢٢ — سور من القرآن وأدعية مختارة من الكتاب والسنة (طبع عدة مرات).
- ٢٣ — شرح ابن قاسم الغزي (فهرسة ومقدمات) (طبع عدة مرات).
- ٢٤ — ضم ثلاثة أثمار على متن غاية الاختصار في الفقه على المذاهب الأربعة (رسالة الماجستير).
- ٢٥ — عمدة المفتي: متن ابن الخطيب الحسني في معتمد فقه المذهب الشافعي ط ٤.
- ٢٦ — غرر الشام في تاريخ آل الخطيب الحسنية ومعاصريهم في مجلدين.
- ٢٧ — كيف تكون خطيباً ناجحاً.
- ٢٨ — مختصر حاشية الباجوري على ابن قاسم في المذهب الشافعي.
- ٢٩ — مختصر حاشية الباجوري على جوهر التوحيد.
- ٣٠ — مراقي العبودية في توحيد رب البرية (طبع عدة مرات).
- ٣١ — مشجرات الفقه الشافعي.
- ٣٢ — مشجرات عقيدة أهل السنة والجماعة. (مرفق مع مشجرات الفقه الشافعي).
- ٣٣ — مع الله في الأذكار والأوراد (طبع عدة مرات).
- ٣٤ — مناسك الحج والعمرة على المذهب الشافعي.
- ٣٥ — ميزان الخيار في التجارة والتجار "على المذهب الحنفي" (رسالة دبلوم).
- ٣٦ — الديوان الأول في الخطب: نفحات منبرية في تاريخ المئة الأولى الهجرية، يتضمن السيرة النبوية بأكملها ثم تاريخ الخلفاء حتى سيدنا: عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ومواقف من السيرة.
- ٣٧ — الديوان الثاني في الخطب نفحات منبرية في سيرة أئمة المذاهب الفقهية (طبع مرات).

- ٣٨ — الديوان الثالث في الخطب: نفحات منبرية في القضايا التربوية.
- ٣٩ — الديوان الرابع في الخطب: نفحات منبرية في القضايا الإيمانية (أربعة أجزاء). فيها استعراض لأركان الإيمان الستة مستمد من الكتب المعتمدة عند الأشاعرة والماتريدية.
- ٤٠ — الديوان الخامس في الخطب: نفحات منبرية في القضايا العراقية.
- ٤١ — الديوان السادس في الخطب: ردود على أباطيل في الأحوال الشخصية.
- ٤٢ — الديوان السابع في الخطب: الانتصار للنبي المختار.
- ٤٣ — الديوان الثامن في الخطب: نفحات منبرية في الشخصيات الإسلامية.
- ٤٤ — الديوان التاسع: قصص الأنبياء.
- ٤٥ — الديوان العاشر نفحات منبرية في أعلام الشخصيات الإسلامية (ثلاث مجلدات).
- ٤٦ — الديوان الحادي عشر نفحات منبرية في الحرب اللبنانية.
- ٤٧ — الديوان الثاني عشر: نفحات منبرية في الأوامر والنواهي الشرعية.
- ٤٨ — النفحة العلية في أناشيد الحضرة الشاذلية.
- ٤٩ — دليل المؤمنين لأحاديث سيد المرسلين في العقيدة والفقه والأخلاق (١٠٠٠٠ حديث).
- ٥٠ — معجم المصطلحات الفقهية على المذهب الشافعي.
- ٥١ — النور السافر في مناقب أهل البيت الأكابر.
- ٥٢ — حكم التوسل في الإسلام.
- ٥٣ — كشف الران عن الوقت الضروري.
- ٥٤ — أحكام الشهيد في الفقه المقارن.
- ٥٥ — صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٥٦ — حكم إمامة المرأة في الصلاة.

٥٧ — التجديد في الفقه

٥٨ — اعرف نبيلك (مترجم إلى الانكليزية)

وأما ما هو تحت الإعداد والطبع:

٥٩ — الأجزاء الفقهية في المذهب الشافعي.

٦٠ — أحكام تجويد القرآن الكريم.

٦١ — أمهات المؤمنين.

٦٢ — آيات المجالس.

٦٣ — البدر فيمن حضر غزوة بدر.

٦٤ — براعة الاستهلال في الخطابة مضموم لكتاب كيف تكون خطيباً ناجحاً.

٦٥ — تحقيق كتاب فتح العلم في الفقه الشافعي (فقه مقارن).

٦٦ — حاشية على الروض المربع للبهوتي (فقه الحنابلة) في الفقه المقارن.

٦٧ — حاشية على الهدية العلائية (فقه العبادات للحنفية) في الفقه المقارن.

٦٨ — حاشية على شرح عبد السلام على جوهر التوحيد في العقيدة.

٦٩ — حاشية على شرح الصاوي على جوهر التوحيد.

٧٠ — حاشية على فقه الشقفة في المذهب المالكي في الفقه المقارن.

٧١ — حاشية على مفيد العوام للجرדاني في أدلة المذهب.

٧٢ — الخطب الجمعية.

٧٣ — رسالة في مصطلح الحديث النبوي الشريف.

٧٤ — السيف الصارم الصمصام في الرد على المدّعي هشام.

٧٥ — الفتاوى (على المذاهب الأربعة).

- ٧٦ — فقه العبادات على مذهب الإمام مالك رحمه الله.
- ٧٧ — فهرسة كتاب إعانة الطالبين في الفقه الشافعي.
- ٧٨ — فهرسة كتاب الأسماء واللغات للإمام النووي.
- ٧٩ — فهرسة كتاب روضة المحتاجين في الفقه الشافعي.
- ٨٠ — فهرسة كتاب فتح العلم في الفقه الشافعي.
- ٨١ — فهرسة كتاب مغني المحتاج للخطيب الشربيني.
- ٨٢ — مبادئ الإملاء.
- ٨٣ — مجالس رمضان.
- ٨٤ — مختارات من الشعراء الإسلاميين.
- ٨٥ — مختصر الإسرائيليات في التفسير والحديث الشريف.
- ٨٦ — مختصر تاريخ المذاهب الإسلامية في العقائد.
- ٨٧ — الأسر الدمشقية المنسوبة لخير البرية.
- ٨٨ — مختصر حاشية الأمير على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد.
- ٨٩ — مختصر حاشية الباجوري على السنوسية الصغرى.
- ٩٠ — مختصر خصائص اللغة العربية وطرق تدريسها.
- ٩١ — معجم ألفاظ الطلاق.
- ٩٢ — الموسوعة الفقهية: مسائل الفقه المعتمدة الراجحة في المذهب مرزعة على أبواب الفقه المختلفة من تسعة كتب في المذهب الشافعي.
- ٩٣ — مختصر شرح إحياء علوم الدين.
- ٩٤ — الديوان الثالث عشر : ديوان حرب غزة .

انظر موقعنا على الانترنت

www.alkhatib.org



المؤلف في سطور

- عبد العزيز بن العلامة الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني نسباً
- الدمشقي مولداً ، الشافعي مذهباً ، الأشعري عقيدةً ، الشاذلي مشرباً
- تتلمذ على شيوخ دمشق الأثبات ونال منهم الإجازات ومنهم :
- والده الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني - الشيخ محمد صالح الخطيب
- الشيخ أحمد نصيب المحاميد - الشيخ عبد الرحمن التلمساني
- الشيخ عبد الوكيل الدروبي - الشيخ أديب كلاس - الشيخ صادق حبيكت الميداني
- الشيخ عبد الرحمن الشاغوري - الشيخ رفيق السباعي
- الشيخ عبد الرزاق الحلبي - الشيخ شكري اللحفي وغيرهم ...
- جزاهم الله تعالى عنا كل خير .
- تابع تحصيله العلمي في كلية الآداب قسم اللغة العربية
- نال الدبلوم من كلية الأوزاعي ببلنات
- سافر إلى الكويت و أتم الماجستير ثم الدكتوراه ونالها بمرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٩٧ م
- خطيب جامع الدرويشية ثم جامع دنكر بدمشق
- وله من المؤلفات مؤلف ونيف في العقيدة والفقه الشافعي
- والتفسير والسيرة النبوية والتاريخ والتربية وتاريخ التشريع وعلوم القرآن
- شارك في العديد من المؤتمرات والندوات في دول العالم الإسلامي والغربي
- ومنها : ماليزيا - سنغافورة - الجزائر - المغرب - باكستان - أمريكا وغيرها ...
- وله برامج تلفزيونية في العلوم الشرعية على الشاشات الإيمانية
- تقبلها الله تعالى بقبول حسن ونفع بها عباده المؤمنين آمين.

